مجلة
مجمع اللغة العربية الأردني

العـــدد الثاني
شعبان / ١٨٩٣هـ.

المجلـــد الأول
تمـــوز / ١٩٧٨م.

المشتمل

		الصفحة
١ ــ كلمة العدد : اصداء وامنيات	المحـــرر	٥
٢ ــ في العربيـــة التاريخية	للدكتور ابراهيم السامرائي	٧
٣ ــ حول تنمية المهارات القرائية لدى الطلبة في الاردن	للدكتور امـــين الكخن	٢٩
٤ ــ الثنائية والميزان الصرفي في اللغات العربية في الجزيرة العربية	للدكتورة باكزة رفيق حلمي	٥٨
٥ ــ استدراكات على النصوص الشعرية في كتاب « شعراء عباسيون »	للمهندس السيد حاتم غنيم	٧٩
٦ ــ حول تعريب العلوم : مشاكـــل وحلـــول وآراء	للدكتور أحمـــد سعيدان	١٠١
٧ ــ من تاريخ حيفا العثمانية : دراسة في احوال عمران الساحل الشامي	للدكتور محمد عدنان البخيت	١١٢
٨ ــ وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والاربعين	للدكتور عدنان الخطيب	١٣٨

تعليقـــات ومناقشـــات

١ ــ ندوة حول : تجربة جامعة دمشق في تعريب تعليم العلوم	: الدكتور حسني سبح ، الأستاذ وجيه السمان الدكتور هيثم الخياط	١٦٥
٢ ــ تعليق الدكتور عدنان الخطيب على العدد الأول من المجلة	الدكتور عدنان الخطيب	١٧٦
٣ ــ تعليق الاستاذ روكس بـــن زائد العزيـــزي	روكس بن زائد العزيزي	١٨١

كلمة العدد

أصداء وأمنيات

الاصداء التي تلقيناها على اثر صدور العدد الأول من هذه المجلة كانت مصدر اعتزاز لنا ، فقد جاءت فوق ما قدرنا لها ، وفوق ما رجونا حين اقدمنا على اصدار العدد الأول . وهذه فرصة لنتقدم بخالص الشكر لكل من تلقوا جهدنا الأول بقبول حسن .

ونحن لا نتوقع بلوغ الكمال ، ولكننا نعمل لأجل بلوغه ، ونتمنى أن نبلغه يوما ، لا بجهودنا المتواضعة وحدها ، بل بمؤازرة أشقائنا في المجامع العلمية اللغوية ، والجامعات العربية ، وكل من يهمه أمر هذه اللغة العربية التي شرّفها الله بنزول القرآن الكريم بها .

وإنه لمن الجدير بالذكر انّ مجمعنا الفتيّ يقوم بجهود مختلفة في اكثر من ميدان : فهو يقوم بحملة واسعة لمعالجة اسباب ضعف العرب في اللغة العربية ، و حملة واسعة اخرى لأجل تعريب تدريس العلوم في الجامعات العربية ، وحملة ثالثة لأجل تعريب المصطلحات العلمية المستعملة في مختلف الدوائر والمؤسسات في الأردن .

وكان من حسن الطالع انّ حَمْلَتنا الأولى قد لقيت استجابتها السريعة والفعالة في الندوة التي قرر اتحاد مجامع اللغة العربية الموقر عقدها في عمان ، بضيافة مجمعنا الأردني ، من ٣١ اكتوبر / تشرين الأول الى ٢ نوفمبر / تشرين الثاني من هذا العام ، وجعل موضوعها ((تدريس اللغة العربية خلال ربع القرن الأخير)) . وهي خطوة رَحّبنا بها كل الترحيب ، وعقدنا املا كبيرا على الخروج منها بمعالجات تشرح الداء وتصف الدواء الناجع ، باذن الله ، وبتوصيات وقررات عملية ممكنة التنفيذ في بلادنا العربية .

ولنجاح الخطوة الثانية اراد مجمعنا ان يزيل التعلّة التي يتذرّع بها البعض ، من عدم وجود كتب علمية باللغة العربية يمكن استخدامها

في تعريب التعليم العلمي الجامعي . فألّف المجمع اربع لجان من اعضاء الهيآت التدريسية في الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ، لترجمة اربعة من كتب العلوم الانكليزية التي تُدرَّس في السنة الأولى في الجامعتين ، وكتب بذلك الى المجامع الشقيقة ، والى جميع الجامعات العربية . وجاءت الاصداء مؤيِّدة ومشجعة من كل الجهات ، مما أكّد لنا صواب الفكرة ، ووجوب المضيّ فيها الى بلوغ النجاح .

ويسرنا ان نعلن ههنا ان اللجان الاربع قد فرغت من عملها ، وسندفع بالكتب الاربعة الى المطبعة حالا ، لتكون بين ايدي المدرسين الجامعيين خلال شهور قليلة .

وامّا الحملة الثالثة فقد لقيت استجابة واسعة لدى الدوائر والمؤسسات الرسمية الاردنية ، فانهالت على المجمع طلبات التعريب لما لديها من مصطلحات اجنبية تحتاج الى التعريب ، مما اضطرّ المجمع الى تاليف عدد كبير من اللجان لتعريب هذه المصطلحات التي تبلغ عدّة الوف . وقد فرغ اغلب هذه اللجان من العمل ، لتُعْرَض المصطلحات المعرَّبة قريبا على مجلس المجمع لمناقشتها والاتفاق عليها ، تمهيدا لعرضها بعدئذ على المجامع الشقيقة بغية توحيدها في الاقطار العربية .

والمجمع اذ يفعل هذا كلّه بصمت وداب وايمان ، انما يفعله بدافع من تقدير المسؤوليّة القومية والعلمية نحو لغتنا العربية المجيدة ، لكي تصبح هذه اللغة في القريب العاجل لغة للعلم والحضارة في القرن العشرين وما يليه ، مثلما كانت لغة العلم والحضارة في عهود ازدهارها ، في عصور التاريخ الاسلامي الغابرة .

ونحن نَمُدّ ايدينا باخلاص وثقة الى كلّ يد قادرة على العمل معنا في هذا المجال ، وصفحاتُ مجلتنا مفتوحة لكل بحث علمي ولغوي يقدّمنا خطوة نحو هذه الغاية الجليلة . .

والله الموفق والمعين .

المحرر

في العربيّة التاريخيّة

للدكتور
إبراهيم السامرّائي

لقد عُني الباحثون اللغويون في العصر الحديث بموضوع تاريخ اللغات وفاءً لعلم اللغة التاريخي العام ولعلم اللغة المقارن . ولقد كان من ذلك أن حفل العلم اللغوي بدراسات ذات قيمة في تاريخ اللغات، ولا سيما لغات الشعوب المتقدمة . ويهمّنا أن نعرض لشيء من تاريخ العربية على نحو ما تم انجازه من الدراسات الحديثة في عصرنا الحاضر .

أقول : ربما كانت العربية بِدْعًا بين أخواتها اللغات الساميّة ، وذلك لاننا نعرف من أمر تاريخ اللغات شيئا يفوق ما نعرفه من بدايات العربية ؛ إننا نعرف، مثلا، كثيرا من النصوص البابلية الآشورية والاكدية ، كما نعرف قدرا عظيما من اللغة الآرامية ولهجاتها ؛ وقُلْ مثل ذلك عن نصوص اللغة العبرانية وسائر اللغات الساميّة الاخرى ما خلا العربية . أقول ما خلا العربية، ذلك أنّي اعلم ان بين أيدي الباحثين نصوصا من العربية الجنوبية في نقوش جنوبي الجزيرة العربية وشماليها، كما في النقوش القتبانية واللحيانية والثمودية . وليس في طوق الباحث أن يتخذ من هذه النصوص البدايات الاولى في تاريخ العربية ؛ فلا يمكن أن تكون نقوش مَعين وسبأ وحِمْير في الجنوب، ولا النقوش القتبانية واللحيانية والثمودية في شمالي الجزيرة، اصولا تطوّرت الى العربية

الفصيحة التي عرفناهـا في نصوص الأدب الجاهلي . ان النصـوص الأولى التي اشرنـا اليها تُعَدُّ بعيدة كلّ البعد، مـن حيث التطور، عـن النصوص الجاهلية ؛ ذلـك أن الباحث في تلك النصوص يقف ازاء مـادة لغوية بعيدة كثيراً، مـن حيث مبناها ومعناها، عمّا تفصح عنـه نصوص الأدب الجاهلي مثـلا .

لقـد ادركت العربيةُ الجاهليةُ، المثلةُ بنصوص الشعـر الجاهلي، مستوى عاليا من حيث الأسلوب؛ فقـد اشتملت على صِيَغٍ ومَبَانٍ هـي من الاتقان والإحكام بحيث تَهيّأ منهـا ان يكون للعرب موازين واقيسـة في الشعر هي الغايـة في الضبط والتدقيق، من حيث الناحيـة الموسيقية. وليس ادلّ على ذلك من ان هـذه الموازين والأقيسة بقيت المثال الـذي يُحْتَذَى في موسيقى الشعر طوال عصور عـدّة ، ولم يستطع اهـل العصور التي تلت أن يضيفوا الـى موسيقى الشعر الجاهلية شيئـا . اقول، لـم يَتَأتَّ لأولئك الجاهليين ان يحذقوا ذلك الفـن الا بعد أن كانت موادّ العربية في صِيَغها وابنيتها قد استوفت غايتها من الضبط والإحكام . ولو وازنّا بين ابنيـة العربية ونظائرها في اللغـة العبرانية او في سائر اللغات الساميّة، لوجدنا ان الأبنيـة في لغتنا القديمة جـاءت منسجمة ، مشتملة في حركاتها وسكناتها، والتئام اصواتها بعضها ببعض، على ما أتاح للجاهلي أن ينظمها في موسيقى شعرية لا نجدها في اية لغة ساميّة أخرى .

ثـم اذا جئنا الى ما اشتملت عليـه تلك النصوص الجاهلية من معان، وجدنا انهـا حفلت، الى جانب مـا يفصح عن حياة البداوة وعاداتها ورسومها، بمعانٍ تـدلّ على ادراك دقيق للحياة في خيرهـا وشرّها . وليس أدل على ذلك من الاشارات الكثيرة التي حفلت بها مطوّلة زهير بن أبي سلمى، مما يدلّ على فهمـه الكثير من المعاني الانسانية ؛ ومثل ذلـك نجده في سائـر النصوص الجاهليـة .

اقـول، اذا كانت القصيدة الجاهلية قـد ادركت في مبانيها ومعانيها هذا القدر السامي من الاجادة في البنـاء الموسيقي، والتوفر على شـيء

كثير من الفِكْر الانساني ، فلا بدّ أن تكون هذه المواد الأدبية الجاهلية قد تطوّرت تطورا عظيما ، ومن ثم فلا بدّ أن تكون قد سبقت هذه المرحلةَ من النضج مراحلُ اخرى لا نعرف عنها شيئا .

ولو اتيح لنا ان نوازن بين ما اثر من الوان العربية القديمة الممثلة في النصوص الجنوبية ، وهي لغات النقوش في معين وسبأ وحمير ونظائرها من العربية الجنوبية في شمالي الجزيرة،وهي اللغات القتبانية واللحيانية والثمودية ، وبين نصوص الشعر الجاهلي،لأتّضح لنا بُعْدُ الشقّة بينها . ومعنى هذا لا يمكننا ان نَعُدَّ تلك اللغات القديمة الممثلة بالنقوش الأصولَ المفقودة التي كانت الأساس الذي تطوّر في نصوص الشعر الجاهلي .

ومعنى هذا ايضا لا بد من القول : إنّ حلقاتٍ عدّةً من النصوص قد ضاعت ففصلت بين الأصول وبين ما نجده من حال العربية في نصوص الشعر الجاهلي .

بعد هذه المقدمة الموجزة لا بد من البحث في المأثور من العربية القديمة،فنعرض لموادّها مستَقْرين فاحصين،لنرى ما عَرَض لها من التزيّد والانتحال الذي لا بد لنا من كشفه حتى نتبين الصحيح من هذه اللغة العربية .

اقول : لقد قيل الكثير في مسألة الانتحال في الشعر ؛ ذُكِّر ذلك المتقدمون،ويكفي ان نذكر قول المفضل الضبي الذي ذهب فيه إلى ان الشعر الجاهلي قد نال من خَلَف الاحمر ما هجَّنه وافسده،فلا يصلح ابدا . وقد فصَّل القولَ ابنُ سلام الجمحي في هذه المسألة . ثم كان للمحدثين في عصرنا الحاضر مشاركة في هذا الموضوع ؛ واولُ من بحث في ذلك المستشرقون،مثل نولدكة الالماني،وباسيه الفرنسي ، ومرجو ليوث الانكليزي ، كما شارك في ذلك العلماء العرب،ولا ننسى في ذلك مشاركة الدكتور طه حسين .

ولقد قيل في وضع الحديث الشريف، وماذا زاد فيه الوَضّاعون والكذابون ، وما غيّر فيه المدلّسون والضعفاء، حتى كان من ذلك نشأة ما سُمّي في علوم الحديث بـ « الجرح والتعديل ». ثم كانت طبقات للمحدثين صنّفوا حسب توافر الثقة والصدق والأمانة فيهم . وكان من كل هذا ان صُنّفت المصنفات الضخمة في الأحاديث الموضوعة .

ومن غير شك ان الكذب والافتراء والانتحال قد عَرَض لنصوص التاريخ القديم عامة، فظهرت كتب في التاريخ ابتعدت عن العلم، فزادت في العبث استجابة لهوى، او خدمة لنِحْلة او بِدْعة او ضلالة ، وكلّ هذا معروف مشهور .

ولكني لم اجد كثيرا ممّن عَرَض للمادة اللغوية، فاستقرى الصحيح، واشار الى المفتعل الموضوع ، الا شذراتٍ من اخبار تشير الى ان شيئا من الوضع قد وقع .

وقد عُنيتُ في هذه المقالة بأمر رواية اللغة وما عرض لها من موادّ هي من غير شك من صنع الوضّاعين ؛ وما اظن ان جمهرة من هذه المواد قد عرفها العرب ولاكتها السنتهم فجرت في كلامهم. وساعرض لهذه النماذج الكثيرة .

جاء في « المزهر » (١) للسيوطي :

« قال ابن فارس في « فقه اللغة » :

تؤخذ اللغة سَماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ، ويُتّقى المظنون :

حَدَّثنا علي بن ابرهيم عن المعداني عن أبيه ، عن معروف بن حسان، عن الليث، عن الخليل، قال :

« ان النحارير ربما ادخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب، ارادة اللبس والتعنيت » .

قال ابن فارس : "فليتحرَّ . آخذ اللغة اهل الامانة والصدق والعدالة،فقد بلغنا من امر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا »

ومن هنا نعلم ان الخليل قد عرض لهذا الموضوع ؛ وقوله « ربما ادخلوا » يعني انهم ادخلوا،واستعمال « ربما » في اللغة القديمة يُفيد التكثير كثيرا،كما أشار أهل النحو،كما يُفيد التقليل قليلا .

ولشيوع الكذب في اللغة قالوا : تؤخذ اللغة من ذوي الصدق والامانة،ويُتَّقَى المظنون.ثم قالوا،لا تؤخذ من الطفل والمجنون ؛ وذهب قوم فمنع أن تؤخذ من « العبد ».وهم يجرون مجرى أهل الحديث والاثر في تحرّي الصدق والثقة والامانة .

واذا عرفنا ان الوضع قد عَرَض للحديث،وأن الوضّاعين والمدلّسين من أهل الحديث جمهور كبير،فليس غريبا ان نجد شيئا من ذلك يعرض للمادة اللغوية .

ثم اذا عرفنا أن الوضاعين قد عبثوا في الحديث الشريف،والرسول الكريم يقول : « من كذب عليَّ منكم متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »، وأدركنا سوء صنيعهم،فَهِمْنا ان قضية الوضع في المسالة اللغوية شيء ليس ذا خطر كبير .

ولا نذهب بعيدا في الاستدلال على وجود الانتحال والكذب في المادة اللغوية،وربما يكفي أن نذكر قول رؤبة بن العجاج الراجز المشهور . لقد ضاق رؤبة ذرعا بيونس بن حبيب،وهو من علماء اللغة المتقدمين ممن أخذ عنهم سيبويه .

لقد كان يونس من علماء اللغة،يجمعها عن رواتها من الاعراب وغيرهم،فكان كثير السؤال لرؤبة هذا لما اشتهر عن رؤبة وابيه العجاج منّ انهما قد اكثرا من الغريب والنوادر في ارجازهما . قال رؤبة ليونس بعد أن أكثر من مساءلته وضاق به ذرعا : « حتى متى تسالني عن هذه الاباطيل وأزوّقها لك ، اما ترى الشيب قد بلغ في راسك ولحيتك؟» (٢).

وحكى ابـــو عبيدة عن ابن داود بن متمم بـــن نويرة شيئا يقرب من ذلك، فقـــال :

« قَـــدِم البصرة في بعض ما يَقْدم لـــه البدوي في الجلب والميرة، فنزل النحيت، فأتيته انـــا وابن نوح العطاردي فسألناه عن شعر أبيـــه، فجعل يزيد في الاشعار ويضعها لنـــا ، واذا كلام دون كلام متمم ، واذا هـــو يحتذي على كلامـــه (٣) فيذكر المواضع التي ذكرهـــا متمم، والوقائع التي شهدها ؛ فلمـــا توالى ذلك علمنا انـــه يفتعله » .

اقـــول : ان هذا الخبر الثاني لا يشير الـــى وضع الكذب في اللغة، ولكنه يشير الـــى ان الوضع في النص الادبي ؛ ولكني ذكرتـــه لأشير الى ان الاختلاف والوضع والكذب شيء عـــام، فكما عَرَض للنص الادبي عَرَض لمـــواد النصوص الادبية، وهي المـــادة اللغوية. ومن غير شك ان ما جرى بين يونس بن حبيب ورؤبـــة بن العجاج الراجز مفيد كـــل الافادة في ان كثيرا من مـــادة الغريب والنوادر هـــو مما افتعله اولئك « النحارير » .

ومن المفيد ان اشير الـــى ان كثيرا مما سأعرض لـــه من المـــادة اللغوية التي تشير الى انهـــا موضوعة ورد من غير اي شاهد مـــن نَصّ صحيح فصيح ؛ ثم إنْ وُجِـــد ذلك الشاهد فهو رجز نادر لا يُعرَف قائلـــه، او يكون احـــد هؤلاء « النحارير » المشاهير، مثل رؤبـــة وغيره من الرُجّاز، كمـــا سنـــرى .

ومن المفيـــد ان اعرض لشيء مما اثر عن كبـــار اللغويين النحاة، لأُشير الى شيء ممـــا ذهبتُ اليه من مسالة الوضع في اللغـــة .

جاء في اخبار ابي العباس محمد بن يزيد المبرّد، صاحب « الكامل » :(٤)

« وقال أبو عبد الله المفجع : كان المبـــرد، لعظم حفظه اللغة واتساعـــه، يتهـــم ؛ فتوافقنا على مسالة لا اصل لهـــا نسأله عنها لننظر كيف يجيب ، وكنا قبل ذلـــك تمارَيْنا في عروض بيـــت الشاعر :

ابـــا منذر افنيتَ فاستبق بعضنا
حنانيك، بعضُ الشرّ اهونُ من بعضِ

فقال قـــوم : هو من البحر الفلاني ؛ وقال آخـــر : هو من البحر الفلاني،فقطّعْناه وتردد على أفواهنا تقطيعه،ومنـــه « ق بعضنا ».فقلت : ايدك اللـــه تعالى ، ما القبعض ؟ فقـــال : القطن ؛ يُصدِّق ذلك قـــول الشاعر : « كأن سنامها حشي القبعضا » .

قـــال : فقلت لاصحابه : ترون الجـــواب والشاهد ؛ ان كـــان صحيحا فهـــو عجيب،وان كان اختلق الجـــواب في الحال فهو اعجب .

ومثل هذا مـــا ورد في ابي عمر الزاهد « غلام ثعلب »،فقـــد اشتهر عنه انـــه لا يُسأل الاّ اجاب،فقد كان كثير الاملاء،عالمـــا بالاخبار واللغة والادب،متَّهمًا بالكذب والتزيّد .

جـــاء في « انباه الرواة » (٥) للقفطي :

« ويروى أن جماعة من اهـــل بغداد اجتازوا على « قنطرة الصراة » وتذاكروا كذبـــه،فقال بعضهم : انا أُصحّف لـــه القنطرة واسأله عنها فانه يجيب بشيء آخـــر ؛ فلما صرنا بين يديه قال : ايها الشيخ مـــا الهرطنق عند العرب ؟ فذكر شيئا قد أُنسيته،فتضاحكنا واتممنا المجلس وانصرفنا . فلما كان بعـــد شهر ذكرنا الحديث فوضعنا رجـــلا غير ذلك نسأله،فقال لـــه : ما الهرطنق؟ فقال : الست قـــد سألت عن هذا المسألة منذ كذا وكذا ؟ فقال : هي كذا.فما درينا مـــن اي الامرين نعجب ؟ من ذكائه ، إن كان علما فهـــو اتساع طريف ، وان كان كذبا في الحال ثم قـــد حفظه ، فلما سئل عنه ذكـــر الوقت والمسألة فأجاب بذلك الجواب فهو اطرف .

ومثل هذه الاخبار كثير في مصادرنا العربيـــة،وهي مفيدة في نظـــر الباحث المدقق . اقول : قد تكون هـــذه الاخبار موضوعة بقصد السمر او النيل من فلان وفلان ممـــن اشتهروا بالعلم ، او قد تكون قـــد حيكت لبيان فضل فلان وفلان وتقدُّمـــه في العلم من الناحية الاخرى . غير انـــي اذهب من كـــل ذلك الى ان شيئا من الوضع في اللغة قـــد حدث،وانه بسبب من ذلك كانت لنا مـــوادّ ضخمة تحجرت في بطـــون المطوّلات .

واني لاعرض لشيء من ذلك اتخذ منه نماذج ، وأود أن أقول بادىء ذي بدء إن هذه المخلفات اللغوية تتناول في الغالب المعاني الخَلْقية الحيّة مما يدخل في باب « خلق الانسان والحيوان » . ثم انها تشتمل على أبنية خاصة نافرة . أقول : نافرة،لانها قليلة الورود في لغتنا القديمة العريقة ؛ فهي والحالة هذه قد عفى عليها الزمان في عربيتنا المعاصرة .

ويبدو لي ان أولئك النحارير الكبار قد اهتدوا الى هذا الوضع والافتعال سعيا وراء الغريب والنادر،وولوعا بتلك الاوابد النافرة،وحبًّا باظهار العلم والاجتهاد فيه . ثم انهم اتخذوا من بعض المواد التي تُثبت صحتها واستعمالها أصولا،فزادوا في أصواتها صوتا ظنوا انه يزيد المعنى قوة،فقالوا مثلا : خنبث وخُنابث،والرجل الخنبث والخُنابث هو المذموم الخائن . ومن غير شك ان هذه الكلمة لم ترد في نص قديم منسوب أو غير منسوب؛والذي أراه أنها صُنعت من مادة « خبث»، فزادوا في أصواتها النون،والتزموا بناء غريبا من أبنية الرباعي،وذهبوا الى المعنى الذي ارادوه،والذي لا يبتعد عن أصل المادة الثلاثية كثيرا . ومن المفيد أن انبّه الدارس الى أن بناء « مُعالِل »،بضم أوله وكسر ما قبل الآخر،من الابنية التي هجرتها العربية الفصيحة منذ قرون طويلة بَلْهَ عربيتنا المعاصرة .

هذا مثل أسوقه لأُخلُص الى تحقيقي الوافي الذي اعتمدت فيه على كتاب « الجمهرة » لابن دريد (٦) ، واقتصرت منه على ما جاء في « أبواب الرباعي الصحيح » من المجلد الثالث . ويحسن بي أن اهوِّن على القارىء فأتخذ منهجا واضحا ؛ وهانا ابدأ بمعنى « الصلب الشديد » فأعرض لطائفة من الالفاظ التي وقفتُ عليها من هذا المعنى،فأجد : العتبل ، والنبتل ، والكنبث والكنابث ، والجلدب ، والعكبل ، والجلبز والجلابز ، والبعثج ، والعضبل ، والشنزب ، والكمتر والكماتر ، والكمتل والكماتل ، والجلعد والجلاعد ، والجلفز والجلافز ، والعردل والعصلد ، والعكلد والعندل ، والصمصلّ ، والعكلد والعلكد ، وسيطر ، وضبطر ،

وكندث وكنادث وشعثم ، وعردل . ومثل هـذا كثير .

تعليـــق :

اقـول : ان هذه الطائفة من الالفاظ هي قليـل من كثير في معنى « الصلب الشديد » او « الشديد الصلب » . وقـد وردت على هذا اللون النادر في ابنيتها وفي مكانهـا من اللغة،فلم ترد في اي نصّ كـان،موضوعا او غير موضوع . ثم إنها لـم تلصق بموصوف معروف،فلم اتبين انهـا من صفات ولوازم العاقلين،كما لم اتبين انهـا من لوازم غير العاقل مـن الحيـوان والجمـاد.

غـير أن العارف بالمعجم القديم واصوات العربيـة يدرك انصراف الاصوات لمـا يمكن ان يكون شيئا من معنى حسّيّ او ظِلّ لذلك المعنى . اريـد ان اقول مثلا إن سلحب وسلهب تشـيران الى « الطول ».قـد نحس هـذا من معرفتنا أن في « سحب » و « سهب » شيئا ممـا يُشعِر بهذا المعنى ؛ وهكذا زاد الوضع وزاد الافتعال،وكثرت المتحجرات،وسَمِّها ما شئت مـن نوادر وغريب واوابد .

وقـد ترد طائفة من هـذه الالفاظ مشيرة الـى « الصلب » او « الشديد » او « كليهما » او ما في معناهما،الى جانب « رجل » او « اسد » او « حمار » فتكون كالصفات.ومن هـذا :

الكندر والكنادر = الحمـار الصلب الشديد .

واسـد مشرّب وغشرّب وعشرّم = غليظ شديد .

وجمل غبنّك = شديـد صلب .

ورجل قنبل وقنابل = غليظ شديـد .

ورجل كنبـل وكنابل = صلب شديد .

تعليـــق :

لا ارى ان كـــان صوت القاف في « قنبل » هـــو الذي غيَّر المعنى من « الصلب » الـــى « الغليظ » ! ذلك انهـــم قالوا : كنبل،صلب شديد .

وقـــد وجدت من ذلك انهـــم قالوا :

عنتـــل = صلب شديد ، امـــا غنتل (بالغين المعجمة) فهي الخامل ! فهل صحيح ان العرب نطقوا بالكلمـــة مبدوءة بالعين المهملة لتعني الصلب الشديد،وبالغين وهـــي نظيرتها وتعني الخامل . انهم لـــم يذكروا اي شاهد على ذلـــك .

ومن المفيـــد ان اشير الى ان « عنتل » ربما يكون قريبـــا من « عتل » التي وردت في قولـــه تعالى،« عتل بعد ذلك زنيـــم » .

ولا بـــد ان اعرض لبقية من هـــذه المعاني الحسية التي تدخل في خلـــق الانسان والحيوان وصفاتهما،ممّـــا ورد يتيما في مطولات اللغة،ولم نظفر بـــه في نص ثبتت نسبته،ولـــم يرد في اضعف الاحوال في رجز من الارجاز . وساعرض لطائفة مـــن الالفاظ التي لم تُعرَف الا عند الرجازين ممـــن يتساهلون في صنع هـــذا اللون من الكلام .

قالـــوا : الجنبخ والجنابخ = العظيم مـــن كل شيء .

الجنبز = القصير ؛ الجعشب = الطويـــل الغليظ .

ومـــن الطريف ان يكون مقلوب « الجعشب » شيئا آخـــر، فقالوا : العشجب = الرجـــل المسترخي . كل هذا من غـــير ان يُشفَع بشاهد يعطي شيئا من الثقـــة .

ومثل هـــذا : الدَنْبَخ = السيء الخلق،في حين الدنحبة = الخيانة . ورجل شرحب = طويل ؛ والجركي = القصـــير المتداخل .

وسحتب = اسم،وهـــو الجريء المقدّم ؛ والكلتب والكلتبة = شبيه بالداهنـــة .

والبهكنة = السرعة فيما أُخِـذ فيه من عمل .

والسلحب والسحبل = الطويـل .

تعليـــق :

لـم يغيِّر القلبُ شيئا من المعنى،وسبحل وسبحلة = طويـل ضخم ، وطويلـة ضخمـة .

وقـد ذكروا في هـذا رجزا مشهورا هـو :

سبحلـــة ربحلـــه تنمي نمـاء النخله

وسكتوا عـن « ربحلة » ولم يقولوا فيها شيئا،ولعلها شيء مـن « الاتّباع » مثل : شذر مذر ونحوها .

والكنتب والكناتب = القصـير المتداخل ؛ ورجل خنبث وخنابث = الخائن ؛ وشنبث وشنابث وهـو الغليظ من الناس ؛ ورجـل كلبث وكلابث = متقبض بخيل؛ورجـل حبجر وحباجر = عظيم البطـن ، وربما سمي الغليظ حباجر ؛ ورجـل جحرب وجحارب = العظيم الخلق ؛ ورجل طرعب = طويـل قبيح في الطول .

وحبجر وحباجر = ذُكَـر الحبارى؛وكذلك حبرج وحبـارج ؛ والبحرج = ولـد البقرة الوحشية؛وخبجر وخباجر = المسترخي البطن .

تعليـــق :

وقد مَـرَّ بنا ان حبجر وحباجر (بالحاء المهملة) يفيـد عظيم البطن ، ولا ادري كيـف تطلق الدلالة .

ورجل جلحب وجلحاب وجلاحب = الشيخ العظيم الجسم وفيـه بقيـة ؛ ورجل جحنب وجحانب = القصير الغليظ ؛ والحنجب = اليابس من كل شـيء ؛ وخلبج وخلابج = المضطرب الخلـق الطويل . وجنبخ وجنابخ = الطويل الخلق ، والجسرب = العظيم الطويل ؛ والشرجب = الطويل مـن الناس والخيل .

ورجل جعبرٌ = القصير المتداخل ؛ والجعبر ايضا = التعب الغليظ الذي لم يُحْكَم نحتـــه .

والجرعب = الجاني ؛ والجنبـــز = القصير ؛ والكهدب = الثقيل الوخـــــم .

تعليـــق :

مـــرَّ بنا ان الجلبز = الصلـــب الشديد !

الجعشب = الطويـــل الغليظ .

ولا بـــد ان نعرف ان مقلوبها مـــع تغيير الضمتين الى فتحتين،وهو العشجب،يفيـــد الرجل المسترخي،ثم زادوا فقالوا : المخبول مـــن جنون ونحـــوه وليس بثبت .

وسأعرض لطائفة مـــن الالفاظ ذكروا انهـــا « ليست بثبت ! »

والهلج اصل بناء قولهم : رجل هلباج وهلباجة وهلابج = الثقيل الوخم.

والحربق = القصير المجتمع ؛ الدنـــج = السيء الخلق ؛ ورجـــل شرحب = طويل ؛ وحصرب مـــن الحصربة = الضيق البخيل ؛ ورجـــل دخبش ودخابش = العظيم البطـــن .

والخضربة = اضطراب المـــاء ؛ ومـــاء خضارب ، وشخارب = الغليظ الشديد ؛ ورجـــل سلخب = قـــدم ؛ وشنخب = طويل ؛ وناقة خدلب = مسنّـــة مسترخية .

والخدلبة = مشية فيهـــا ضعف ؛ والخترية منهـــا اشتقاق الخنزوب والخنزاب = الجريء على الفجور ؛ ورجـــل كنابد (بالدال المهملة) = صلب شديد ؛ ورجـــل كنابذ (بالذال المعجمة) = غليظ الوجه جهـــم ؛ وعرزب = غليظ شديد ؛ وعرزب = صلب شديد . وناقة بلعس وبلعس وبلعك وبلعك،اي المسترخية المتبخبخة اللحـــم .

تعليـــق :

ولا ادري ان كـان تغيير الضبط بالحركات قـد ادى الى هـذا التغيير الطفيف فـي المعنى .

ورجـل برشع وبرشاع = سيء الخلق ؛ القهزب = القصـير ؛ العصلب = الطويـل المضطرب؛ علبط وعلابط الرجل الغليظ ؛ ولبـن علبط وعلابط اذا خثر ؛ ورجـل هبتع وهباتع = قصير ملزز الخلـق ؛ وجمل غبنّك = شديد صلب ؛ والدهكث = القصير ؛ والدلث والدلامث = السريع ؛ وبعير دلهث ودلاهث = الجريء في سيره ؛ وكنثر وكناثر = المجتمع الخلق ؛ والحرجل = الرجـل الطويل ؛

وامـراة حفضج وحفاضج = عظيمة البطـن ، وكذلك مفضج ؛ وأتان سمحج = طويلـة .

والشرجع = الطويل ؛ ورجـل بلعث وامراة بلعثة = هـو الاهوج وهي الرخواء في غلـظ؛ورجل جنعظ وجنعاظ = هـو الجافي الغليظ الاحمق ؛ وقالوا : هـو القصير المجتمع الخلق .

تعليـــق :

لقـد لاحظت على طائفة من هـذه الغرائب ابتعادا في الدلالة،وهذا قـد يعني ان الكلمة قد توحي لاحدهم شيئا في حين انها توحي لآخر شيئا آخر ، وكل ذلك جائز مـع غياب الشاهد والاستعمـال .

وعجوز هرشفّة = مسنّة ؛ ويقال : بـل الهرشفّة خرقة يُنشّـف بها المـاء من الارض او من الحصى .

تعليـــق :

وهـذه الهرشفة نظير سابقتها وهـي الجنعظ والجنعاظ ، ولا يمكن للدارس ان يطمئن الى هذا الذي ذكر في مطولات اللغـة من الكلم الغريـب المهجـور .

ورجـــل حظبّة وحظبّ = الغليظ .

وقالوا : هجّ = جافّ وغليظ ؛ والهزّ = السريع ؛ والخدمّ = عظيم الخلق (للبعـــير) .

ويقـــال : هدبد وعثلط وعجلط وعكلط،وهـــو اللبن الخاثر .

تعليـــــق :

وهـــذا من اعجب العجب؛فكيـــف تكون جملة هذه الالفاظ التـــي جاءت على بنـــاء واحد،وكلها بدأت بصوت العـــين؛ تؤدي معنى واحدا هـــو اللبن الخاثر !

والهدبد ايضا داء يصيب الانسان في عينه كالعشا فلا يبصر بالليل .

الفـــاظ مـــع شواهدهـــا

وهـــذه الطائفة من الالفاظ ذات شواهد؛والشاهد إمّـــا ان يكون بيتـــا او رجزا غير معروف ولا منسوب ، وإمّـــا ان يكون مثالا مصنوعا على طريقة النحاة في قولهم : قام زيـــد وجلس عمرو .

الجردبة : يقال : رجـــل مجردب الذي يستر يمينـــه بشماله ويأكل ، قـــال الشاعـــر :

اذا ما كنت في قوم شهادى

فـــلا تجعل شمالك جردبانا

واجلعبّ الرجل اذا سقط على وجهه

واجلعبّ الفـــرس اذا مـــرّ سريعا

تعليـــــق :

ومـــا ادري كيف اثق بهذين الاستعمالين على البعـــد وما بينهما وافتقارهما الى الكـــلام الاصيل .

ومثل ذلك : ابلندح المكـــان اذا اتّسع ؛ وابلندح الحوض انهـــدم قـــال الراجـــز :

قـد داست المركوَّ حتى ابلندحا

البغثر وهـو الاحمق الضعيف ؛ قـال الراجز :

ليعلمنَّ البغثر ابـن البغثر

ومـن ذلك : زلحب،من قولهم : تزلحب عـن الشيء اذا زلَّ عنه .

ويقـال : عثلبت الحوض اذا هدمته،عثلبة وعثلابا ؛ قـال الراجز :

« والنؤى بعـد عهده المعثلب »

وقـال الآخر : « والنؤى امسى جدره معثلبا » .

ومـن الطريف أن يكون « غثلب »،بالغين المعجمة،شيئا آخـر ؛ يقال : غثلب المـاء يغثلبه اذا جرعـه جرعا شديدا .

خدرب : اسم،ودربخ احسبها سريانية،وهـو التذلل والاصغاء الى الامر ؛ قـال العجاج :

ولـو نقول دربخـوا لدربخوا لِفُحْلِنـا ان سـرَّه التنـوّخُ

تعليـق :

سآتي على طائفة مـن الالفاظ التي ظنوا تَوَهُّمًا وتصوُّرًا انهـا دخيلة،وربما عرّبت؛وليس شيء مـن ذلك قائما على ثقـة وصحة وتأكُّد وانما هو ظن ورجم بالغيب ؛ ثـم ان المعنى في هذه الكلمة استوجـاه اللغوي القديم من قـول الراجز الذي لا يتوقف امـام القافية،فهو يصنع اللفظة وهي توحي مـا توحيه ؛ ومثل هذا ما نستشعره كثيرا في الاراجيز، وقد لمحـوا الى شيء من ذلك .

بخذع وخذعب : يقال ضربـة بالسيف حتى بخذعه وخذعبـه .

سربخ : هـو الفضاء القفر ؛ قال عبيـد :

فابصرت ثعلبا بعيـدا ودونـه سربخ جديـب

وخطرب وخطارب وهـو التقول بما لم يكن ؛ جـاء فلان يخطرب.

تعليـــق :

ولا ادري مـــا العلاقة بين هذا وبـــين قولهم :

الخطربة والحطربة والحظربة تعني الضيـــق في المعاش ! ومن قال هـــذا،وأين،ومتى ؟

خرباش : وقع القوم في خرباش،اي في اختلاط وصخب ، لغة يمانية .

تعليـــق :

لعـــل الباحث يستطيع ان يجمع طائفـــة ضخمة من الالفاظ التي « زعـــم » ابن دريد في « الجمهرة » انها يمانية،وليس مـــن دليل يثبت هذه الاصالة في الموطن القديـــم .

وخبرقت الثوب اي شققته . ومثلـــه الخزلبة ؛ يقال : خزلبت اللحم او الحبل اي القطـــع السريع .

تعليـــق :

لعـــل هذا المعنى من لمـــح الثلاثي وهو « خرق » و « خزل »،وقد زيـــد الباء في الفعلين ارادة التكثير او التخصيص ؛ ومثل هـــذا حاصل . ولكني اتساءل هل وُجـــد الفعلان في كلامهم الفصيح المعروف ؟

ومثل هـــذا « بزمخ » اي تكبَّر.ومن غـــير شك ان الثلاثي « زمخ » يفيد هذا،فزيد اليـــاء .

زغدب . قالوا : فـــلان يزغدب على الناس اذا كـــان يلحف في المسألة ؛ هـــذا عن مكوزة الاعرابي .

تعليـــق :

كـــان صاحب الجمهرة « اراد ان يبعد التبعة فذكر هـــذا الاعرابي « مكوزة ؟ » الا يرى الباحـــث ان هؤلاء الاعراب قد أريد لهـــم أن يضعوا ويفتعلوا ويأتوا بالكلام البارد ؟ ومثل هذا ما ذكروا في مادة « بخدق » (٧) :

اخبرنا ابـــو حاتم ، قال : سألت ام الهيثم (الأعرابية) عـــن الحَب الذي يقال بـــه بالفارسية اسفيوش مـــا اسمه بالعربية ؟ فقالت : أرني منه حبّات، فاريتهـــا وافكرت ساعة ثم قالت : هـــذا البخدق، ولم أسمعه مـــن غيرهـــا .

ولمـــا كان الكلام على الافتعال فلا بـــد ان اورد قصة ام الهيثم هذه :

قال عمر بـــن خالد العثماني : قدمت علينـــا عجوز من بني منقر تسمى ام الهيثم، فغابت علينـــا ، فسأل عنها ابـــو عبيدة فقالوا : انها عليلة ، فقال : هـــل لكم ان نعودها؟ فجئنا فاستأذنّا، فقالت : لِجـــوا . فسلمنا عليها، فـــاذا هي عليها اهدام وبجـــد ، وقد طرحتها عليهـــا ؛ فقلنا : يـــا ام الهيثم كيف تجدينك ؟ قالت : كنـــت وحمى بالدكة (الودك)، فشهدت مأدبة فاكلت جبجبة مـــن ضعيف هلمة فاعترتني زلخة . فقلنـــا يـــا ام الهيثم : اي شيء تقولين ؟ فقالـــت او للناس كلامان ؟ واللـــه ما كلمتكم الا بالعربي الفصيـــح .

وهـــذا الذي زعموا ان ام الهيثم ذكرته لم يقل بـــه غيرها ، وهو ان كان صحيحا والخبر ثابتا فـــان من غير شك ان الأعراب شاركـــوا في هذا العمل المفتعل المختلق . وفي مطوّلات العربية مـــادة كثيرة لم تُسمع الا من واحـــد من اللغويين، فقد أُثر عن اللحياني، من علماء اللغـــة، مسائل كثيرة تَفرَّد بهـــا فجاءت غريبة عـــن المتوارد المسموع .

ويبـــدو انهم كانوا لا يشكّون كثيرا فيما يقال إنّـــه مسموع من الاعراب. ذكـــر يونس فيما زعموا انـــه سمع بعض العرب يقولون : ما هذه الكنخبة ؟ يريـــد الكلام المختلط من الخطـــا (٩) .

ومن هذا الباب الذي استشهدوا عليـــه بالرجز اليتيم قولهم : رجـــل ترشب، اي طويل ، ويقـــال للشيخ اذا عسا وغلظ، « ترشبّ » ، وقـــال ابـــو محمد الفقعسي :

كيف قريت شيخـــك الترشبّا لمـــا اتاك سائلا مخبّـــا

وقالوا : رجـــل شهبر وامراة شهبرة اي مسنّة لـــم تحطمها السن ؛ قـــال الراجـــز :

رُبَّ عجوز من اناس شهبره علمها الانقاض بعد القرقره

ويبدو ان الراجز ينصرف في الكلمة حسب الحاجة،فقد قلبت « شهبرة » الى « شهربة » فقال الراجز :

ام الحليس العجوز شهربه ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فصارت من شواهد النحو في مجيء خبر المبتدأ محلى بلام الابتداء للتوكيد،خلافا للمشهور من مجيء اللام داخلة على خبر « ان » .

وقالوا : تبعرص الشيء اذا تُطِع فوقع يضطرب . ذكر ابن الكلبي ان الشنفرى لما خرج من البئر تُطِعت يده بعد ان ضربه رجل فتبعرصت يده وكانت بها شامة فقال :

لا تبعدنْ لا تبعدنْ يا شامه ...

وقالوا : زعبل وهو اسم،واشتقاقه من قولهم : « صبي زعبلٌ اذا كان سيّء الغداء كادى الشباب . ومن امثالهم،(لا يكلم زعبل) .

وقالوا : الصبعطي والضبغطي وهي كلمة يفزع بها الصبيان ، قال الراجز :

وزوجها زونزك زونزي يجزع ان فُزّع بالضبغطي

وقالوا : الطلخشة التلطّخ بالشيء ؛ ذكر ابو مالك وابو الخطاب الاخفش : طلخثَهُ طلخثةً اذا لطّخه بامر يكرهه .

وقالوا : حضجم وحضاجم اي الجافي الغليظ اللحم ؛ قال الراجز :

« ليس بمبطان ولا حضاجم »

وقالوا : الدعجلة اي الاخذ الكثير ؛ قال الاسعر الجعفي :

باتت كلاب الحيّ تسنح بيننا ياكلن دعجلة ويشبع من عفا

ثم قالوا : الدعجلة اختلاط الالوان في ثوب او غيره . اين هذا من ذاك ؟ وقالوا : شمرج الرجل اذا عمل عملا غير محكم .

وقالوا : فمجر المـــاء اذا جرعه جرعـــا شديدا .

وقالوا : افرنجم اللحـــم اذا تشيَّط من اعلا ولـــم يُنْشَوِ .

وقالوا : علهضت القارورة اذا صممت راسهـــا؛هكذا يقول الخليل ؛ قال ابو حاتم،هذا بنـــاء مستنكر ويقال : عضهلت . ويقال : دحقبـــه اذا دفعه من ورائـــه .

الفـــاظ اخـــرى

وهذه طائفة من الالفاظ منها مصادر تدل علـــى كثرة الكلام واختلاطه، واخرى تدخل على المشي وما يتصل بـــه ، ومنها الفاظ قالوا انها موضوعة وليست بثبت او انهـــم ،

قالوا : جعتب اسم ماخوذ من فعل مُمات ؛ والجعتبة الحرص والشره .

وقالوا : الصعتب،واصـــل الصعتبة مقاربة الخطـــو والخفّة .

وقالوا : عنبث والجمع عنابث،وهـــي شجيرة زعموا وليس بثبـــت .

وقال ابن دريد : السبرجة احسبهـــا دخيلة في العربية من قولهـــم : سبرج على هـــذا الامر اذا همّـــاه .

وقالوا العشجب اي الرجـــل المسترخي؛وقالوا المخبول مـــن جنون ونحـــوه،وليس بثبت .

وقالوا : الشهجبة اي اختلاط الامـــر .

وقالوا : خرزب ماخوذ من الخرزبة،وهـــو اختلاط الكلام وخطلـــه .

ومثله : هذربة وهذرمـــة،وتعني كثرة الكلام ، امـــا الهزربة فهي الخفّـــة والسرعـــة .

ومثل هـــذا : الهرثمة والحذرمة،وكلّهـــا كثرة الكلام .

وقالوا : الخنبصة (١٠) اي اختلاط الامـــر .

وقالوا : الخطلبة وهي كثرة الكـــلام واختلاطه،ومثلهـــا الهزمجة اي اختـــلاط الصـــوت .

وقالوا : الدربلة وهي ضرب من مشي الانسان فيه ثقل، كقولهم : جاء يدربل .

وقالوا : ذدلبت اللقمة اذا ابتلعها وليس بثبت .

وقالوا : البركلة والكربلة، وهي مشي في الطين او خوض في الماء ؛ وكربلت الشيء خلطته بعضه ببعض .

وقال ابن دريد : الرهبلة احسبها ضربا من المشي، وليس بثبت ؛ قالوا : جاء يترهبل اي يمشي مشيا ثقيلا .

وقالوا : ذحلط في كلامه اذا خلط .

وقالوا : الحضرمة اي اللحن في الكلام . والهتمرة اي كثرة الكلام .

وقالوا : الهبرمة، زعموا كثرة الكلام ولا احققه . وقالوا : العذرمة والغذرمة والغذمرة اختلاط الكلام .

وقالوا : زلهب، زعموا انه خفيف اللحية ؛ قال ابن دريد ولا احققه .

وقالوا : الدرقمة العَدْو الشديد مع نزع، ومثله: القعسبة والكسعبة .

وقالوا : القنطئة وهي العدو بفزع. قال ابن دريد وليس بثبت .

وقالوا : الثخرط والثخروط نبت زعموا وليس بثبت .

وقالوا : تخطع اسم ؛ قال ابن دريد : واحسبه مصنوعا .

وقالوا : عفشج اي ثقيل وخم زعموا ؛ ذكر الخليل انه مصنوع .

وقالوا : عجوز جلقق اي كثيرة اللحم مسترخية ؛ قال ابن دريد : واحسب ان هذا الحرف مصنوع لان الجيم والقاف لم تجتمع الا في احرف معروفة .

وقالوا : الحوكلة ان يمشي ويضع يديه في خصره ويعتمد عليها .

وقالوا : الحركلة والحرقلة ضرب من المشي ؛ والخذعلة والخزعلة والخزرفة وهي ان يمرّ الرجل يخطر .

هـــذا تحقيق في طائفة من الالفاظ الرباعية البنـــاء ، وهي من غير شك من مـــادة الغريب المهجور ؛ وقد كنت اشرت الـــى ان شيئا كثيرا من هذا لا يوحي انـــه ورد في كلام العرب او ان الالسن قـــد لاكته . ومن اجـــل ذلك فهي مخلّفات لغوية لـــم تكتسب الحياة منذ ان وضعت . وقد لمحنا ان اهـــل اللغة قد وقفوا منها موقفـــا خاصا،وإن كانوا قـــد سعوا الى جمعها وضبطها رغم انهم لم يتحققوا الكثير من اصالتها وصوابها.

ان معجمنا القديم لهـــو وعـــاء واسع اشتمل على فوائد جمّـــة، نستخلصها فتتبين لنـــا عبقرية العربية،وكيف انها ظلت لغـــة الحضارة في العالم المعمور طوال عصور عـــدّة،وما زالت قادرة علـــى مسايرة عصرنا الحاضر بحضارته المعقّـــدة الضخمة . غير ان هـــذا المعجم قد ضَمَّ الى جانب تلـــك الاعلاق النفسية مـــوادّ اخرى صُنعت صناعة واُختُرِعت اختراعا،فلم يكن لها مـــا حفظ الحياة .. ومن اجـــل ذلك كان على اللغوي في عصرنـــا ان يؤرخ هذه اللغة فيقف علـــى مراحلهـــا ، وكيف استجابت لتلك المراحل الزمنية ازاء الحضارات المتعاقبة ، ثم يعرض لمـــا لفظته القرون ، فانقطعت اخباره وعفت آثـــاره . ومن العجيب ان مؤسساتنا العلميـــة ومجامعنا اللغوية لـــم تحقّق كثيرا من علـــم اللغة التاريخي، فتقيـــم للعربية تاريخا اســـوة بغيرها من اللغات المتقدمة في عصرنـــا هـــذا .

---

(١) السيوطي ، المزهر ١/١٣٧ ــ ١٣٨ .

(٢) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء (ط دار المعارف) ص ٥٨١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٤) الانباري ، نزهة الالبّاء (ط مكتبة الاندلس ببغداد) ص ٢٢٠ .

(٥) القفطي ، أنباه الرواة ٣/١٧٢ .

(٦) ابن دريد ، الجمهرة ٣/٢٦٥ ــ ٢٧٠ .

(٧) اللسان ١٣/٣٩ (ط. دار صادر) مادة بخق ، بخدق . وكذا في الجمهرة (مادة بخدق) .

(٨) القالي ، الامالي ٣/٦٩ ، والمزهر للسيوطي ٢/٥٤٠ . والدكة ــ الودك ، والجبجبة ــ الكروش يحفظ فيها اللحم المجفف ، والصليف ــ ما سف من اللحم . علمة ــ الملح الجدي .

(٩) الجمهرة ، المجلد الثالث مادة (كخب) .

(١٠) لعل كلمة « خبصة » في العامية الدارجة العراقية شبيه من هذا .

حول تنمية المهارات القرائية لدى الطلبة في الأردن

للدكتور أمين الكخن

مقدمـــة : ــ

مـــن الملاحظ أن هناك ضعفا ظاهرا في استخدام اللغـــة العربية لدى الطلبة في مراحـــل التعليم المختلفة . ونتيجة لاحساس المربين بهـــذا الضعف اخذوا يوجهون عنايتهم لحصر اسبابه ، ليكون هـــذا نقطة انطلاق لمعالجته . ويمكـــن رد بعض اسباب هـــذا الضعف الى :

قلّـــة الدراسات العلمية في مجال تطويـــر التعليم اللغوي ،

ومزاحمة اللغة الاجنبية للغـــة العربية ،

والنقص في اعـــداد معلمي اللغة العربية وتدريبهم قبل الخدمـــة وفـــي اثنائهـــا ،

وعدم توفير الحوافز لمعلمي اللغـــة العربية ،

وعدم استعمال العديد من معلمي المـــواد الاخرى للّغة الفصيحة .

والتغيُّر الذي يتـــمّ في مناهج اللغة العربية على اسس غير علمية ،

وقلّـــة التاليف في ادب الاطفـــال والطلبة ،

والثنائية في اللغة (لغـــة الكتاب ولغـــة التخاطب اليومي) ،

وعدم التزام وسائل اتصـــال الجمهور باللغة الفصيحة ؛ وغـــير ذلك مـــن الاسباب .

وتُعَدّ اللغة اداة لنموّ شخصية الفرد ، اذ انها تعينه على القراءة والفهم ، وعلى الاتصال بالتراث وبالمجتمع ، والتعبير عما يختلج في حناياه من مشاعر ؛ كما انها اداة لنمو شخصية المجتمع ؛ فهي تسهم في تحقيق تماسكه ، ووحدة الامة ، من خلال وحدة اللغة . ومن أجل تحقيق كل هذه الوظائف ،يتطلّب تدريس اللغة العربية،مساعدة الطلبة على اكتساب المهارات العديدة في مجالات عدة ، منها : القراءة ، والكتابة ، والقواعد ، والاملاء ، والتعبير . ويحسن أن تكون هذه المهارات واضحة في اذهان المدرّسين لكي يتمكنوا من ممارستها على نحو سليم في اثناء تدريسهم اللغة العربية .

ومن الواضح أن القراءة تلعب دورا بالغ الاهمية فيما يتعلق بنمو الطالب ثقافيا ولغويا ، فهي تساعد على الاتصال بالثقافات المختلفة ــ سواء اكانت متقدمة أم معاصرة ــ والتفاعل معها ، وتساعد على التعبير بسلامة ووضوح ، وتعمل على زيادة الثروة اللغوية ، واتساع دائرة المعلومات . والقراءة تساعد على نموّ مدارك الطالب العقلية ، وارتقاء ذوقه الادبي والفني ، كما انها تعوّده ألفة الكتاب وحُبّ المكتبة . ويمكن الوقوف على اهمية الدور الذي تلعبه القراءة في عملية التعلم اللغوي بالنظر الى بعض الاهداف المتوخاة منها في المرحلة الثانوية ، وهي :

زيادة القدرة على القراءة الصحيحة بيسر وسرعة ،

والقدرة على فهم المقروء واستنباط المعلومات منه ،

وتنمية الميل الى القراءة الحرة ،

وتشجيع الاقبال عليها ،

واستيعاب النصوص الادبية وتذوقها ،

والقدرة على التمييز بين انواعها ومعرفة خصائصها ،

وتدريب الطلبة على القراءة النقدية .

والملاحظ في عـــدد من المدارس ان العناية تُوَجَّه الى بعض المهارات القرائية دون البعض الآخـــر ، وقلّما تتجه العناية الى التدريب علـــى القراءة السريعة مـــع استيعاب المعاني وفهم المـــادة المقروءة والتفاعل معها ، او وصل الطلبـــة بالثقافة الحيّة ، او بالمعاجـــم والمراجع وامهات الكتب العربية . وقـــد نتج عن هذا عجز بعض الطلبة عـــــن تلخيص معنى مـــا يقرأون ، وعن الانطلاق والاسترسال في القـــراءة ، وضعف الاقبال على القراءة الحـــرّة .

ومن هنا رؤي تحديـــد الممارسات التي يُنْتَظَر ان تكون مجديـــة في اكساب الطلبة المهـــارات القرائية المتوخاة مـــن منهاج اللغة العربية في المرحلـــة الثانويـــة .

دراســـات سابقـــة :

هنـــاك دراسات تناول كل منها جانبا او اكثر مـــن الجوانب المتعلقة بهذه الدراسة خـــارج الاردن . فلقد اشارت دراســـة سمك (سمك ، ١٩٧٥ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤) الى المهـــارات القرائية الملائمة لطلبـــــة المرحلتين ، الاعدادية والثانوية ، وهـــي :

التعرف السليم علـــى الالفاظ واشكال الكلمات ، وتفهّم معانيها ، وعلى الروابط التي بين الجمـــل والتراكيب والفقرات ،

وادراك المعاني والافكـــار والقدرة على ترتيبهـــا ،

واستخلاص النتائـــج والحقائق من المقروء ونقـــده ،

واستغلال المكتبة واختيار المـــادة المناسبة للقـــراءة ،

وتحديد هـــدف الكاتب ،

وتنمية الثروة اللغويـــة ،

واستخدام المعاجـــم ودوائر المعارف والمراجـــع ،

والقـــراءة السليمـــة ،

ومزاولة القراءة امـــام الآخرين بصوت واضـــح واداء مؤثر .

وجاءت نتائج هذه الدراسة متّفقة مـــع نتائج دراسة تورة (تورة ، ١٩٧٧م ، ص ١٣١) ، ودراسة اخرى للجمبلاطي والتوانسي (الجمبلاطي والتوانسي ، ١٩٧٥ ، ص ٣٨٤ ــ ٣٨٥) .

ومـــن الدراسات التجريبية التي تعرضـــت للمهارات القرائية ، دراسة خاطر وزملائـــه ــ ١٩٧٤ . ومن نتائجها :

ا ــ ان المهارات التي يركـــز عليها المدرسون في تعليم القراءة في المراحل الثـــلاث هـــي :

صحة النطق ، وفهـــم المعاني ، وحفظ الافكار ، وحســـن الاداء ، وكلّ ما يزيـــد في المرحلة الثانوية هو نقـــد المقروء .

ب ــ ان التدريب على مهـــارات التصفّح قليل في المرحلـــة الاعدادية ، ويزداد نسبيا في المرحلـــة الثانوية .

جـ ــ ان الاهتمام بالتدريب على استخدام المكتبة وتنمية الميـــل الى القراءة ضئيل في المرحلتين الاعدادية والثانوية . (ندوى النوري ، ١٩٧٦ ، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤) .

ودراسة آرثر اولسن (Olson, 1970, p. 235) التي مـــن نتائجها ان المعلّمـــات يستخدمن المقررات الدراسية الملائمـــة لمستوى قراءة الطلبة دومـــا ، بينما يستخدمها المعلمون بدرجة اقـــلّ ، وان اكثر من نصف المعلمات شعرن انهـــن يدرسن المهارات القرائية لموضوعاتهن بكفاية . ولقـــد اجرت جامعة هارفرد ١٩٦٨ دراسة من اجـــل التخطيط لبرنامج يساعد علـــى حيويّة تعليم القراءة . ولقـــــد تضمن التخطيط : سرعة الانتهاء مـــن قراءة الكتب المقررة في مجـــال القراءة ، والقراءات الاضافية في المكتبـــة ، ومشروعات بحثية ، وكتابة التقارير حول مـــا يقومون بقراءته ، وقراءة كتـــب القراءة المتممة للكتـــب المقررة والتي تعادل مستواهـــا . (تورة ، ١٩٧٧ ، ١٠٢ ــ ١٠٣) .

ومـــن الجدير بالذكر ان نتائـــج دراسة كل من رووث سترينج (Strange, 1970, pp. 231 - 232) ونيوتولاس (تـــورة ، ١٩٧٧ ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣) تتّفق مـــع دراسة جامعة هارفورد .

ومـــا تَقَدَّم تبدو الحاجة ماسّة الى اجـــراء دراسات تجريبية تتناول المهارات القرائية ، ومـــدى ممارستها من قبل معلمي اللغـــة العربية في اقطار الوطن العربي المختلفـــة .

مشكلـــة الدراســـة :

تحاول هـــذه الدراسة الاجابة عـــن السؤالين التاليين :

١ ــ مـــا هي المهارات القرائية ــ في ضوء المناهج المقـــررة ــ التي يمارسها معلّمـــو اللغة العربية في المرحلـــة الثانوية ؟

٢ ــ هـــل في شدّة الممارسات للمهارات القرائية ــ في مجالَي القـــراءة والنشاط اللغوي-اختـــلاف بسبب التاهيل التربوي ، او سنـــوات الخبـــرة ، او الجنس ؟

امـــا فرضية هـــذه الدراسة فهي :

لا توجد فروق احصائية مهمـــة (٠.٠٥ = ∝) بـــين درجات ممارسات المعلمين للمهـــارات القرائية في مجالي القـــــراءة والنشاط اللغوي تُعْزَى الـــى جنس المعلمين ، او عـــدد سنوات خبرتهم فـــي تدريس اللغـــة العربية ، او الـــى تاهيلهم التربوي .

تعريـــف المهارات القرائية : هي الاساسيات اللغويـــة التي يكسبها الطلبة في مجـــال القراءة (جميلاطي وتوانسي ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٩) .

طريقـــة البحـــث

١ ــ عينـــة الدراســـة :

يتألـــف مجتمـــع الدراسة من ثلاثة عشر قطاعـــا تمثّل مديريات التربية والتعليم المختلفة في الاردن . ولمـــا كان مجتمع الدراسة واسعا ، فلقد أُجْرِيَت هـــذه الدراسة على جميع معلّمي اللغـــة العربية ومعلّماتها في المدارس الثانوية المكتملـــة (الحكومية والخاصة) في أربـــع مناطق تعليمية تَـــمَّ اختيارها عشوائيا ؛ والمناطق المختارة عشوائيا هـــي : مديرية عمان ، الزرقـــاء ، الطفيلة ، والرمثا . وبذلك يشكّل عـــدد المعلمين المشتركين في الدراســـة ٣٥٪ من عـــدد معلمي اللغة العربية في المدارس الثانوية في الاردن . ومـــا هو جدير بالذكر أن عـــدد معلمي التعليم الثانوية في الاردن ٢٠٩٧ (وزارة التربيـــة والتعليم ، التقريـــر الاحصائي السنوي التربوي ١٩٧٧/٧٦م ، ص ١٩٤) ؛ ويبلغ مدرّســـو اللغة العربية خُمْسَ هـــذا العدد تقريبا . وتتكوّن عينـــة البحث النهائية من ١٤٦ (وبلغ عدد الاستمارات التي تـــمّ جمعها ١٤٩ ، وتـــمّ استبعاد ثلاث استمارات عنـــد التحليل الاحصائي ، لان اجاباتها غير تامـــة) معلّما ومعلمة يدرّسون اللغـــة العربية في سبعين مدرسة ثانوية (تَـــمّ الحصول على هـــذه الاحصائيات من دليل الاحصاءات التربوية للمدارس والمعاهد في المملكة الاردنية الهاشمية لعـــام ١٩٧٨/٧٧م) . وتظهـــر الجداول رقـــم (١) ، (٢) ، (٣) ، علـــى التوالي توزيع المعلمين والمعلمات في عينـــة الدراسة حسب المناطق التعليمية ، وحسب متغيرات الجنس والمؤهل ، وحســـب متغيرات سنوات الخبرة في التعليم والجنس .

جـدول (١)
توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب المناطق التعليمية

الجنس / المنطقة التعليمية	ذكـــور	انـــاث
عمـــان	٥٨	٣٠
الزرقـــاء	٣١	١٢
الطفيلـــة	٦	٢ ٥
الرمثـــا	٦	١

جـدول (٢)
توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب متغيرات الجنس والمؤهل

المؤهـل / الجنس	جامعـــي	جامعي + دبلوم تربية
ذكـــر	٥٦	٤٥
انثـــى	٣٥	١٠

جـدول (٣)
توزيع المعلمين والمعلمات في عينة الدراسة حسب متغيرات سنوات الخبرة في التعليـم والجنس

سنوات الخبـرة / الجنس	١ ــ ٣ سنوات	٤ ــ ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكـــر	١١	٣٨	٥٢
انثـــى	٨	١٧	٢٠

ب ــ اداة البحث :

أُستُخدِم للبحث استبيان تمَّ تصميمه خصيصا لهذا الامر ، للتعرف الى المهارات القرائية التي ينبغي على معلم اللغة العربية ممارستها في المرحلة الثانوية . ولقد اعتُمِد في ذلك على ما يلي :

١ ــ الاطلاع على الدراسات المتعلقة بموضوع البحث ، والاستئناس بها (دراسات سمك ، قورة ، الجمبلاطي والتوانسي ، ابرهيم ، خاطر ، اولسن ، سترينج ، ونيوقولاس) .

٢ ــ تحليل مناهج اللغة العربية في الاردن ، واشتقاق قائمة بالمهارات القرائية التي يمكن تطبيقها في اثناء تدريس اللغة العربية .

ولقد تألفت القائمة التي عُرِضَت على اعضاء هيأة التحكيم من ثلاث وعشرين ممارسة ، أقَرَّها كلّها . وبناء على الاقتراحات التي قدّمتها غالبية الاعضاء المذكورين ، تمت اضافة الممارسات التالية : ــ

ــ تدريب الطلاب على تعيين الموضوع الرئيسي في النص .

ــ اتاحة الفرصة للطلاب لمناقشة ما يسمعون والحكم عليه .

ــ اتاحة الفرصة للطلاب لمناقشة ما يرون والحكم عليه .

ــ ارشاد الطلبة الذين يجدون صعوبة في قراءة الكتاب المقرر الى كتب تناسب مستوياتهم القرائية .

ــ تشجيع الطلاب على القراءة في المكتبات العامة .

ــ ارشاد الطلاب الى عمل ملخّصات .

وهكذا تكوَّن الاستبيان في صورته النهائية من تسع وعشرين ممارسة (صيغت بجمل تقريرية) ممثِّلة للمهارات القرائية الواجب على معلم اللغة العربية القيام بها . ثم صُنِّفت تلك الممارسات في مجالين : ــ مجال القراءة ، ومجال النشاط اللغوي . وقد بلغ عدد ممارسات المجال الاول سبع عشرة ممارسة ، وعدد ممارسات المجال

الثاني اثنتي عشرة ممارسة . ولقد وُضِع أمام كل ممارسة من ممارسات الاستبيان اربعة مستويات من الاجابة : « دائما ، غالبا ، احيانا ، نادرا » . ثم اعتُمدت طريقة التصحيح على تحديد درجة لكل اجابة من هذه الاجابات الاربع ، بحيث تحصل اكثرها ايجابية « دائما » على اربع درجات ، وتحصل « غالبا » على ثلاث درجات ، « واحيانا » على درجتين ، « ونادرا » على درجة .

والطريقة التي اتُّبِعَت في تعبئة الاستبيانات في المناطق التعليمية التي شملتها الدراسة تمّت بواسطة المساعد الفني لمدير التربية والتعليم في كل منها ؛ فقد قام كل مساعد بتكليف مشرفي اللغة العربية في منطقته توزيع الاستبيانات على معلمي اللغة العربية والاشراف على تطبيقها . وفي محافظة عمان قام المساعد الفني بتوجيه كتاب رسمي الى مديري المدارس الثانوية ومديراتها لاجل تعبئة الاستبيان (رقم الكتاب : ع/١٤/٣٩/١٤٥٢١ بتاريخ ١٨/٥/١٩٧٨م) .

جـ ــ صدق الاداة :

أما عن صدق الأداة ، فقد اعتُمد الصدق المنطقي المتمثل في تحديد المهارات القرائية التي ينبغي ان يمارسها معلمو اللغة العربية ، وذلك من خلال تحليل مناهج اللغة العربية ، وفي احكام هيأة التحكيم المؤلفة من عشرين مربّيا ، تم اختيارهم على النحو التالي :

١ ــ عشرة من اعضاء هيأة التدريس في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالجامعة الاردنية .

٢ ــ جميع خبراء مناهج اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم (وهم ثلاثة خبراء) .

٣ ــ جميع موجّهي اللغة العربية بمنطقتي عمان والضواحي (وهم سبعة موجهين) .

ولقد طُلب من كل مختص ما يلي :

أ ــ الحكم في مـــا اذا كانت كل ممارسة مـــن الممارسات المتضمَّنة في القائمة منتمية الى مجـــال المهارات في القراءة او النشاط اللغوي .

ب ــ الحكم على المرحلـــة التعليمية التي تناسبها كـــلّ ممارسة مـــــن الممارسات المشار اليهـــا .

ج ــ تعديل صيغة الممارسات التي يظهر انهـــا بحاجة الى تعديـــل .

د ــ اضافة ممارسات جديدة قـــد يقترحها المحكَّمون .

وبنـــاء على تحليل نتائج التحكيم،اختيرت الممارسات علـــى اساس اتفاق اغلبية المحكّمين على كون كـــل ممارسة منتمية الى المهـــارات ، وملائمة للمرحلة الثانوية . وهكذا تـــمّ التوصل الى استبيان مكوَّن مـــن تسع وعشرين ممارسة ، اجمَعَ اغلبُ المحكّمين على انهـــا واجبة التطبيق في اثناء تدريس مـــادة اللغة في المرحلة الثانويـــة .

د ــ ثبـــات الاداة :

حالت ظروف اجـــراء البحث دون امكانية اعـــادة تطبيق الاستبيان مرة ثانية على افـــراد العينة ــ بعد مضيّ فترة زمنية معينة ــ من اجـــل التحقّق من ثباته . ولهذا تـــمّ اللجوء في حساب ثبات القائمة الـــى طريقـــة حساب معامل الثبـــات بمعادلة كرونبـــاخ (α) (Chronbach , 1970 , P - 161) وقانون هذه المعادلة بالرموز هـــو :

$$\text{معادلـــة كرونباخ } (\alpha) = \frac{\text{ك}}{\text{ك} - 1} \left(1 - \frac{\text{مج ع}^2 \text{ف}}{\text{ع}^2 \text{د}} \right)$$

وتعني هذه الرموز ما يلـــي :

(α) = معامـــل الاتساق الداخلي (الثبات) .

ك = عـــدد فقرات الاداة .

مج ع^2 ف = مجموع تبايـــن الاستجابة على كلّ ممارسة .

ع^2 د = تبايـــن درجات المعلمين علـــى الأداة كلّها .

ولقد كانت قيمة معامل الثبات بهذه الطريقة ٨٦ر. . ويُعتبَر معامل الثبات هذا مناسبا لاغراض البحث .

النتائج

من اجل اختبار فرضية الدراسة ، حُلّلت المعلومات التي تمّ التوصل اليها باستخدام اسلوب تحليل التباين الثنائي (٢ × ٢) ، (٣ × ٢) . وقد كانت وحدات التحليل عبارة عن المهارات في مجال القراءة ، ومجال النشاط اللغوي ، وفي المجالين معا .

والجدول رقم (٤) يمثل نتائج تحليل التباين .

الجدول رقم (٤)
تحليل التباين (٢ × ٢) لممارسات المعلمين في مجال القراءة على عاملي الجنس والمؤهل

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٢ر٣٧	١	٢ر٣٧	١ر٢٠
المؤهل	٢ر٥٨	١	٢ر٥٨	١ر٣١
التفاعل (الجنس × المؤهل)	٠ر٦٣	١	٠ر٦٣	٠ر٣٢
الخطأ	٢٧٩ر٠٩	١٤٢	١ر٩٧	

يتّضح من نتائج التباين الواردة في الجدول رقم (٤) ، عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة (٠ر٠٥ = ∝) بين درجات ممارسات المعلمين في مجال القراءة تُعْزَى الى الجنس او التاهيل التربوي.

وهذا يعني انه لا يوجد اختلاف في تصوّرات المعلمين للممارسات التي يقومون بها في مجال القراءة في اثناء تدريسهم اللغة العربية بسبب جنسهم او تاهيلهم التربوي .

ويبـــين الجدول رقم (٥) نتائـــج تحليل التباين لممارسات المعلمين في مجـــال النشاط اللغوي علـــى عاملي الجنس والمؤهـــل .

الجدول رقـــم (٥)

تحليل التباين (٢ × ٢) لممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي على عاملي الجنس والمؤهل

مصدر التغير	مجـــموع المربعـــات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنـــس	٢ر٤٣	١	٢ر٤٣	١ر٩٤
المؤهـــل	١ر١٢	١	١ر١٢	٠ر٨٩
التفاعـــل (الجنس × المؤهل)	٠ر٢٣	١	٠ر٢٣	٠ر١٨
الخطـــأ	١٧٧ر٤٤	١٤٢	١ر٢٥	

مـــن نتائج التباين الواردة في الجـــدول (٥) يتّضح لنا عدم وجود فروق احصائية ذات دلالـــة (٠٥ر٠ = ≤) يبين درجات ممارسات المعلمين في مجـــال النشاط اللغوي تعزى الى الجنس والتأهيل التربوي .

ويُظهـــر الجدول التالي رقـــم (٦) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين، وكلاهما على عاملي الجنس والمؤهل.

الجدول رقـم (٦)

تحليل التباين (٢ × ٢) لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، على عاملي الجنس والمؤهل

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	١٢ر١٦	١	١٢ر١٦	٢ر٢٠
المؤهل	٦ر٠١	١	٦ر٠١	١ر٠٨
التفاعل (الجنس × المؤهل)	٢ر٢٢	١	٢ر٢٢	٠ر٤٠
الخطأ	٧٨٣ر٨٦	١٤٢	٥ر٥٢	

من تحليل التباين الوارد في الجدول رقم (٦) يتّضح عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة (٠ر٠٥ = ≺) بين درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في مجالَي القراءة والنشاط اللغوي معا ، تُعْزَى الى الجنس والتاهيل التربوي . وهذا ما يدعم صحة فرضية الدراسة .

ويبيّن الجدول رقم (٧) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين في مجال القراءة على عاملي الجنس وسنوات الخبرة .

الجدول رقم (٧)

تحليل التباين (٢ × ٢) لممارسات المعلمين في مجال القراءة على عاملي الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٠ر١	١	٠ر١	٠ر٠٠
سنوات الخبرة	١ر٣٤	٢	٠ر٦٧	٠ر٢٣
التفاعل (الجنس × سنوات الخبرة)	٨ر١٧	٢	٤ر٠٩	١ر٤١
الخطأ	٤٠٣ر٥٣	١٤٠	٢ر٨٨	

يتّضح لنا من نتائج تحليل التباين الواردة في الجدول رقم (٧) عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة (٠ر٠٥ = ∝) بين درجات ممارسات المعلمين في مجال القراءة ، تُعْزَى الى الجنس أو الى سنوات الخبرة .

ويُعني هذا انه لا يوجد اختلاف في تصورات المعلمين للممارسات التي يقومون بها في مجال القراءة ، سواء اكان الممارسون لها من المعلمين أم من المعلمات ، وبغضّ النظر عن سنوات خبرتهم في تدريس اللغة العربية .

والجدول رقم (٨) يبيّن لنا نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة .

الجدول رقم (٨)

تحليل التباين (٣ × ٢) لممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٠ر٤٧	١	٠ر٤٧	٠ر٢٥
سنوات الخبرة	٠ر٤٨	٢	٠ر٢٤	٠ر١٣
التفاعل (الجنس × سنوات الخبرة)	٣ر٥٨	٢	١ر٧٩	٠ر٩٧
الخطأ	٢٥٦ر٠٩	١٤٠	١ر٨٣	

يتّضح لنا من نتائج التباين الواردة في الجدول (٨) عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة (٠ر٠٥ = ∝) بين درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي ، تُعْزَى الى الجنس وسنوات الخبرة .

ويُظهر الجدول رقم (٩) نتائج تحليل التباين لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين، وكلاهما على عاملَي الجنس وسنوات الخبرة.

الجدول رقم (٩)

تحليل التباين (٣ × ٢) لممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، على عامل الجنس وسنوات الخبرة

مصدر التغير	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسطات المربعات	ف
الجنس	٠ر٤٥	١	٠ر٤٥	٠ر٠٥
سنوات الخبرة	٢ر٠٨	٢	١ر٠٤	٠ر١٣
التفاعل (الجنس × سنوات الخبرة)	٢٠ر٨٣	٢	١٠ر٤٢	١ر٣٨
الخطأ	١٠٥٦ر١٧	١٤٠	٧ر٥٤	

مـــن نتائج التباين الواردة في الجدول (٩) يتّضح لنـــا عدم وجود فروق احصائية ذات دلالـــة (٠,٠٥ = ∝) بـــين درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائيـــة في مجالَي القراءة والنشاط اللغوي معـــا ، تُعزَى الى الجنس وسنوات الخبـــرة في تعليم اللغة العربية . وفي هـــذه النتيجة مـــا يدعم صحة فرضية الدراســـة .

وتشير الجداول رقم (١٠) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) ، (١٤) ، (١٥) الى متوسطات درجـــات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالات المختلفة ، على عوامـــل الجنس ، والمؤهل ، وسنوات الخبرة .

الجدول رقـــم (١٠)

متوسطات درجـــات ممارسات المعلمين في مجـــال القراءة على عاملي الجنـــس والمؤهـــل

المؤهـــل / الجنـــس	جامعـــــي	جامعي ومؤهَّل تربويا
ذكـــــر	٣,٢٩	٣,٣٥
انثـــــى	٣,٣٣	٣,٤٧

الجدول رقـــم (١١)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي ، على عاملي الجنس والمؤهل

المؤهـــل / الجنـــس	جامعـــــي	جامعي ومؤهَّل تربويا
ذكـــــر	٣,١٧	٣,٢١
انثـــــى	٣,٣٠	٣,٣٨

الجدول رقـم (١٢)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، على عاملي الجنس والمؤهل

المؤهـل / الجنـس	جامعـي	جامعي ومؤهّل تربويا
ذكـر	٣ر٢٤	٣ر٢٩
انثـى	٣ر٣١	٣ر٤٣

الجدول رقـم (١٣)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال القراءة ، على عاملي الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة / الجنـس	١ ـ ٣ سنوات	٤ ـ ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكـر	٣ر٤٧	٣ر٣٠	٣ر٢٨
انثـى	٣ر٢٧	٣ر٤٢	٣ر٣٥

الجدول رقـم (١٤)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين في مجال النشاط اللغوي على عاملي الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة / الجنـس	١ ـ ٣ سنوات	٤ ـ ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكـر	٣ر٢٦	٣ر٢٥	٣ر١٣
انثـى	٣ر١٦	٣ر٢٨	٣ر٣٤

الجدول رقـم (١٥)

متوسطات درجات ممارسات المعلمين للمهارات القرائية في المجالين ، على عاملي الجنس وسنوات الخبرة

سنوات الخبرة / الجنس	١ ــ ٣ سنوات	٤ ــ ٧ سنوات	فوق ٧ سنوات
ذكـــر	٣ر٣٧	٣ر٢٧	٣ر٢١
انثـــى	٣ر٢٢	٣ر٣٦	٣ر٣٤

المتأمـل لمتوسطات درجـات الممارسات في الجداول رقم (١٠) ، (١١) ، (١٢) ، يلاحظ وجـود فروق ملحوظة بـين متوسطات درجات المعلمات المؤهّلات جامعيـا والمعلمات المؤهلات تأهيلا تربويا . وأمـا بالنسبة للمعلمين فـان الفروق كانت طفيفة ؛ وبالرغم من هـذا الفرق الملحوظ في متوسطات درجـات الممارسات ، فان الفرق يبقى دون مستوى الدلالة الاحصائيـة (٠٥ر = ≺) .

والمتمعن ايضـا في الجدول رقم (١٣) ، (١٤) ، (١٥) يلاحـظ وجود زيادة واضحة في متوسطات درجـات ممارسات المعلمات للمهارات القرائية ، تُعزَى الـى سنوات خبرتهن في تدريس اللغـة العربية ــ ومع ان هذه الفروق كبيرة نسبيا ، فانها تبقى دون مستوى الدلالة الاحصائية .

امـا الجدولان (١٦ ، ١٧) فيشيران الـى متوسطات درجـات ممارسة المعلمين للمهارات القرائية مرتبـة حسب شدّتها .

الجدول رقم (١٦)

متوسطات درجات ممارسة المعلمين في مجال القراءة مرتبة حسب شدتها

الرقم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نوع الممارسة	معدل درجة الممارسة
١	٧	مشاركة الطلاب في استخلاص المفردات والتعابير الجديدة في كل موضوع وشرحها	٣٫٧٩
٢	٥	تدريب الطلاب على تعيين العناصر الاساسية في الموضوع .	٣٫٧٥
٣	٤	تدريب الطلاب على تعيين الموضوع الرئيسي في النص .	٣٫٦٥
٤	٢٢	ارشاد الطلاب الى تحليل ما يقرأون والحكم عليه .	٣٫٦٢
٤	٢٣	مناقشة الطلاب في ما قرأوه .	٣٫٦٢
٦	٢٧	العمل على تنمية الذوق الادبي والاحساس بالجمال لدى الطلبة .	٣٫٥٨
٧	١٤	تشجيع الطلاب على القراءة بتوسع في المواد المتّصلة بدراستهم .	٣٫٣٠
٨	٢٦	اتاحة الفرصة للطلاب لمناقشة ما يسمعون والحكم عليه .	٣٫٢٩
٩	٣	تحديد وقت قصير مناسب للقراءة الصامتة السريعة لكي يعتاد الطلاب على السرعة مع الفهم والاستيعاب .	٣٫٢٧
١٠	٢٤	اتاحة الفرصة للطلاب لمناقشة ما يرون والحكم عليه .	٣٫٢٣

تابع الجدول رقم (١٦)

الرقم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نوع الممارسة	معدل درجة الممارسة
١١	٢٩	التعرف الى قدرات الطلاب القرائية من خلال الادوات التقويمية المتاحة .	٣ر٢٠
١٢	١٣	ارشاد الطلاب الى انتقاء المادة الصالحة لقراءتهم .	٣ر١٦
١٣	١	القيام بالتمهيد لدراسة الكتاب المقرر بمقدمة تتضمن حياة المؤلف ، وموضوع الكتاب ، وطريقة تاليفه .	٣ر١٦
١٤	٢٥	تشجيع الطلاب على القراءة بتوسع في المواد المتصلة بدراستهم .	٣ر٠٨
١٥	٢	تخصيص بعض الوقت لتدريب الطلاب على القراءة الصامتة .	٣ر٠٠
١٦	٦	تدريب الطلاب على مجالات القراءة الجهرية المختلفة في الحياة ، كالقاء قصيدة شعرية ، او توجيه موعظة ، او قراءة سورة في الصلاة .	٢ر٩٣
١٧	١٧	ارشاد الطلاب الذين يجدون صعوبة في قراءة الكتاب المقرر الى كتب تناسب مستوياتهم القرائية .	٢ر٨٠
		المتوسط الحسابي	٣ر٣٢

الجدول رقم (١٧)

متوسطات درجات ممارسة المعلمين في مجال النشاط اللغوي مرتبة حسب شدتها

الرقم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نوع الممارسة	معدل درجة الممارسة
١	٢١	تشجيع الطلاب على الجراة الادبية وتنمية قدرتهم على مواجهة الجمهور .	٣ر٧٦
٢	٨	تشجيع الطلاب على استخدام اللغة العربية السليمة للتعبير عما يقراون .	٣ر٧٢
٣	٢٠	تشجيع الطلاب على الاشتراك بالنشاطات التي تتصل باللغة كالاذاعة المدرسية وصحيفة الحائط ... الخ .	٣ر٤٢
٤	١٦	تشجيع الطلاب على القراءة الحرة الواسعة في اوقات فراغهم .	٣ر٣٥
٥	٢٨	مراعاة توافر عنصري الدقة والوضوح في الواجبات المدرسية المعطاة للطلاب .	٣ر٣٤
٦	١٨	تشجيع الطلاب على القراءة في المكتبات العامة .	٣ر١٣
٧	١٩	تشجيع الطلاب ذوي المواهب على انتاج الشعر والنثر بصورهما المختلفة .	٣ر١٢
٨	١٠	توضيح كيفية استعمال المعاجم للطلبة .	٣ر٠٠
٨	١٢	ارشاد الطلاب الى عمل الملخصات .	٣ر٠٠
١٠	١١	ارشاد الطلاب الى طريقة كتابة التقارير او الابحاث .	٢ر٩٨

تابع الجدول رقم (١٧)

الرقم التسلسلي	رقم الممارسة في الاستبيان	نوع الممارسة	معدل درجة الممارسة
١١	٩	مساعدة الطلاب في استخدام المكتبة .	٢٫٩٢
١٢	١٥	توجيه الطلاب لقراءة بعض النصوص من أمهات الكتب العربية .	٢٫٦٨
		المتوسط الحسابي	٣٫٢٠

ويلاحظ من الجدولين رقم (١٦) ، (١٧) أن المتوسط الحسابي لدرجة ممارسة المعلمين في مجال القراءة قد بلغ (٣٫٣٢) ، بينما كانت ممارساتهم في مجال النشاط اللغوي (٣٫٢٠) .

وبالرجوع الى الجدول رقم (١٦) يُلاحَظ أن أكثر المهارات ممارسة في مجال القراءة (مرتبة حسب أهميتها) بالنسبة لافراد العينة كانت :

- المشاركة في استخلاص المفردات وشرحها .
- تعيين العناصر الاساسية في الموضوع .
- تعيين الموضوع الرئيسي في النص .
- تحليل ما يُقرأ والحكم عليه .
- مناقشة النص المقروء .

كما يُلاحَظ أن اقلَّ المهارات ممارسة في مجال القراءة من جانب افراد العينة هي : —

- ارشاد الطلاب الذين يجدون صعوبة في قراءة الكتاب المقرر الى كتب تناسب مستوياتهم القرائية .
- تدريبهم على مجالات القراءة الجهرية المختلفة في الحياة .

- تدريبهم على القـراءة الصامتة .
- مناقشة مـا يرون والحكم عليـه .
- التمهيـد لدراسة الكتاب المقـرر .

ويتبين من الجدول رقـم (١٧) أن أكثر المهارات ممارسة فـي مجال النشاط اللغوي مـن جانب افراد العينة هـي :

- تشجيع الطلاب على الجراة الأدبيـة،وتنمية قدرتهم على مواجهـة الجمهـور .
- استخدام اللغـة العربية السليمة للتعبير عمـا يقرأون .
- الاشتراك بالنشاطات التـي تتصل باللغة ، كالاذاعـة المدرسيـة وصحيفـة الحائـط .
- القراءة الحـرة الواسعة في أوقـات الفراغ .
- توافر عنصر الدقـة والوضوح في الواجبات المدرسية المعطـاة .

كمـا يتبين من الجدول المذكور أن اقـل المهارات ممارسة في مجال النشاط اللغـوي من جانب افراد العينة هـي :

- توجيه الطلاب الى قراءة بعض النصوص في امهات الكتب العربية .
- مساعدتهم في استخدام المكتبـة .
- ارشادهم الى طريقة كتابـة التقارير او الابحـاث .
- ارشادهم الى كيفية استعمال المعاجـم .
- ارشادهم الى عمـل الملخصات .

مناقشة النتائج والتوصيات

ظهر من نتائج هذه الدراسة أن المتوسط الحسابي لدرجة ممارسة المعلمين لمهارات القراءة والنشاط اللغوي كان مرتفعا . ويمكن ردّ ذلك الى :

١ ـ اهتمام المعلمين باللغة العربية لانها لغة القرآن الكريم .

٢ ـ اعتزازهم باللغة العربية لانها من اهم مقوّمات الوحدة العربية .

٣ ـ كون مادة اللغة العربية مادة اساسية في مراحل التعليم المختلفة .

٤ ـ حصول معظم معلمي اللغة العربية في المرحلة الثانوية في الاردن على مؤهلات جامعية ، اضافة الى ان قسما منهم يحمل مؤهلا تربويا .

واظهر التحليل الاحصائي ان المتوسط الحسابي لدرجة ممارسة المعلمين في مجال القراءة أعلى منه في مجال النشاط اللغوي . ولعلّ ذلك يرجع الى شعور المعلمين بأن اكساب المهارات القرائية للطلبة يأتي في طليعة مهماتهم التعليمية ، في حين انهم ينظرون الى النشاط اللغوي المرافق على انه من المهمات الاضافية . ولهذا بات من الضروري القيام بتوعية معلمي اللغة العربية بأثر هذا النشاط في تقوية المهارات القرائية وتدعيمها .

ولقد ظهر من نتائج تحليل التباين انه لا يوجد في درجة ممارسات المعلمين للمهارات القرائية ـ في مجالي القراءة والنشاط اللغوي ـ اختلاف يُعْزَى الى التأهيل التربوي ، او سنوات الخبرة ، او الجنس . وبالرغم من أن جداول المتوسطات تشير الى وجود فروق ملحوظة بين متوسطات درجات المعلمين المؤهلين تأهيلا تربويا ، والمعلمين

المؤهلين جامعيا ، الا انـه لا يمكن القول ان هـذه الفروق جوهرية ، بدلالة أن قيـم الاحصائي (ف) لم تكن ذات دلالة ، وبذلـك تكون فرضية الدراسـة قـد تحققت .

وهـذه النتيجة تشير الى ان المعلمـين والمعلمات الأقلّ خبرة فـي مجال تعليم اللغـة العربية ، او غير المؤهلين تربويـا ، ينظرون الى المهارات القرائية نظـرة ايجابية،ويمارسونها بدرجة لا تقـلّ عن زملائهم وزميلاتهم الاكثر خبـرة والمؤهلين تربويـا .

وكشفت الدراسة عـن ان المعلمين يمارسون بعض المهـارات الضرورية في مجـال القراءة والنشاط اللغوي ، بمعدّل يكـاد يكـون فـوق المتوسط . ومن هـذه الممارسات :

- تدريب الطلاب علـى مجالات القراءة الجهريـة المختلفة في الحياة .
- تدريبهم على القـراءة الصامتة .
- توجيههم الـى قراءة النصوص من امهـات الكتب العربية .
- مساعدتهم في استخدام المكتبـة .
- ارشادهم الى كيفية استعمال المعاجـم .
- ارشادهم الى عمـل الملخصات .

ويمكـن تفسير هذه النتيجة في ضوء مـا يُلاحَظ من قلّة اقبال عدد من المعلمين على استخدام المكتبـات والمعاجم ، وقلّـة رجوعهم الى امهات الكتب . يضاف الى هذا ان الكثير منهم لـم يزوَّد بالخبرات الكافية في ما يتعلق بالممارسات الصفّية الخاصـة بتدريس المهارات القرائيـة ، مما يشير الـى ضرورة توجيه عناية اكبر لإعداد المعلمين قبل الخدمـة . وتفسَّر كذلك في ضـوء النقص في متابعة المعلمين في اثنـاء الخدمـة ، سواء اكانت هـذه المتابعة على هيـأة دورات ، أم زيارات صفية ، أم دروس تطبيقية ، ممـا يشير الى ضرورة العناية بتنميـة المعلمين في اثنـاء الخدمة . ويمكن ردّ جانب مـن النتيجة المشار اليها الى عـدم

كفاية كتب اساليب تدريس اللغة العربية ، وعدم تناولها للممارسات القرائية التي ينبغي القيام بها من جانب المعلم ، أو الى نقص في الاشراف التربوي وفي الخدمات الاشرافية من قبل ادارة المدرسة ، مما يشير الى ضرورة تكثيف الخدمات الاشرافية من قبل المشرفين التربويين وادارة المدرسة .

والتوصيات المشتقة من نتائج هذه الدراسة هي :

١ ــ أن تُوَفَّر للطلبة مادة قرائية كافية تشوقهم ، وتسدّ حاجات نموّهم ، وتربطهم بالتراث العربي .

٢ ــ ان تُهَيَّأ مواد قرائية اخرى للطلبة الذين لا يجيدون قراءة الكتاب المقرر .

٣ ــ ان يراعَى في حصص القراءة تدريب الطلبة على انواع القراءة المختلفة (الصامتة ، والجهرية ، والسمعية) .

٤ ــ ان يُعْتَنى في تعليم القراءة باكتساب المهارات والقدرات الفكرية والتذوقية ، وان يُعْمَل على تنميتها تنمية مستمرة .

٥ ــ ان يُدَرَّب الطلبة على تطويع طريقة القراءة للهدف منها ، ولطبيعة المادة المقروءة .

٦ ــ ان تُوَجَّه الجهود الى اجراء دراسات لقياس مدى تمكّن الطلبة من المهارات القرائية في مختلف المراحل التعليمية .

٧ ــ ان يُراعَى الربط بين القراءة والوان النشاط اللغوي المختلفة ، كالاذاعة المدرسية ، والصحافة ، والتمثيل ، واللجان الادبية والدينية في المدرسة .

٨ ــ ان يُعْتَنى بإعداد معلمي اللغة العربية قبل الخدمة .

٩ ــ ان يُعْتَنى بتنمية معلمي اللغة العربية في اثناء الخدمة .

١٠ ــ ان تُكثّف الخدمـــات الاشرافية لمعلمي اللغـــــة العربية ، سواء اكانت من قبـــل المشرفين التربويين ، أم من قبـــل المدرس الاول ، أم من قبـــل ادارة المدرسة .

١١ ــ ان تتضمن الكتـــب المتعلقة بتدريس اللغـــة العربية الممارسات التي ينبغي على معلمي اللغـــة العربية ان يقوموا بهـــا في مجال تعليـــم المهارات القرائية .

« المراجـــــع »

١ ــ حسين سليمان قورة ، **تعليم اللغـــة العربية** ، دار المعارف بمصر ، القاهـــرة ، ط ٣ ، ١٩٧٧م .

٢ ــ عبـــد العليم ابرهيم ، **الموجّـــه الفني لمدرّسي اللغة العربية** ، دار المعارف بمصر ، القاهـــرة ، ط ٦ ، ١٩٧٢م .

٣ ــ علي الجمبلاطي ، أبو الفتوح التوانسي ، **الاصول الحديثة لتدريس اللغـــة العربية والتربية الدينية** ، مطبعة نهضـــة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٤ ــ د . محمـــد صالح سمك ، **فـــن التدريس للغة العربية وانطباعاتها المسلكية وانماطها العلمية** ، مكتبـــة الانجلو المصرية ، القاهـــرة ، ١٩٧٥م .

٥ ــ د. محمـــد مصطفى هدارة ، « اهداف تدريس اللغـــة العربية في مراحل التعليم العـــام ووسائل تحقيقها » ، **ندوة خبراء اللغـــة العربيـــة لتطوير وسائل اعـــداد مدرسيها في الوطن العربـــي** ، مطابع جامعـــة الرياض ، الرياض ، ١٩٧٦ ، ص ١ ــ ٧ .

٦ ــ ندوى النوري ، « فروع اللغـــة العربية وطرائق تدريسهـــا » ، **تطوير تعليم اللغـــة العربية** ، اتحـــاد المعلمين العرب ، المؤتمـــر التاســـع ، دار الطباعة الحديثـــة ، الخرطوم ١٩٧٦م ، ص ٢٤٩ ــ ٢٨٥ .

٧ ــ وزارة التربية والتعليـــم ــ قسم الاحصاء ، **دليـــل الاحصاءات التربوية للمدارس والمعاهـــد في المملكة الاردنية الهاشميـــة** ، عـــام ١٩٧٨/٧٧م .

٨ ــ وزارة التربية والتعليم ، قســـم الاحصاء التربوي ، **التقريـــر الاحصائي السنوي التربـــوي** ، ١٩٧٦/١٩٧٧م .

٩ ــ وزارة التربية والتعليم ــ قســم المناهج ، **مناهج اللغـــة العربية للمرحلة الثانوية** ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٠م .

١٠ ــ وزارة المعارف ــ ادارة الابحاث والمناهج والمـــواد التعليمية ، **منهـــج المرحلة الثانوية العامـــة** ، المطابع الاهليـــة للأوفست ، الريـــاض ، ١٩٧٤م .

11. Anderson, Theodore R. &Zeldithch, moris **J. A Basic Course in Statistics,** Holt, Rinehart and Winston, Inc., New York, 1968.

12. Cronbach, lee J., **Essentials of Psychological Testing, Harper** & Row, Publishers, New York, 1970.

13. Olson, Arthur V., "Attitude of High School Content Area Teachers, Toward the Teaching of Reading", **Teaching Reading Skills in Secondary Schools : Readings,** International Textbook company, Scranton, Pennsylvania, 1970, pp. 235 - 241.

14. Strange, Ruth. "Developing Reading Skills in the Content Areas", **Teaching Reading Skills in Secondary Schools : Readings,** International Textbook Company, scranton, Pennsylvania, 1970, pp. 229 - 234.

الثنائية والميزان الصرفي في اللغات العربيّة في الجزيرة العربية (١)

للدكتورة باكزه رفوخليمي

تتفق آراء اللغويين الذين درسوا قواعد لغات الجزيرة العربية ، في أن الكلمة مطلقا لا يمكن أن تتألف من اقل من صوتين صحيحين في هذه اللغات ، وان معظم الكلمات فيها تتألف في الاصل من ثلاثة اصوات صحيحة (٢) وان الثنائية تنحصر في عدد قليل جدا من الاسماء (٣) لا تزيد على سبع وثلاثين كلمة ، على رأي فريق ، هي في ذاتها اصولها (٤). وانها تنحدر في اصولها من الثلاثية على راي اغلبهم . ولذلك فقد عُدَّت الصيغة الثلاثية للكلمة الصيغةَ القياسية للاشتقاق في جميع هذه اللغات منذ أقدم عصورها التاريخية ، ابتداء من البابلية القديمة حتى اللغات الحية الآن .

كما ان هذه الصيغة أُعتُبرت من حيث الشكل الجذرَ الدالَّ على المعنى المطلق للكلمة ، وجاءت كلُّ زيادة او تغيير في هذا الجذر عند الاشتقاق والتصريف لاداء دلالات جديدة تضاف الى المعنى المطلق . وبضبط هذا الميزان والقياس عليه تَمكَّن اللغويون العرب من جمع وتصنيف جميع المفردات في اللغة العربية،وتقصّي اصولها،وابراز الزيادات والتغيرات التي تطرأ عليها،والمعاني التي دلّت عليها الزيادات والتغيرات (٥).وبالقياس على العربية تَمكَّن علماء اللغة في اللغات العربية الاخرى،كالعبرية والآرامية،من دراسة لغاتهم ، كما استعان المستشرقون بهذه القياسات العربية الوضع لدراسة اللغات المندثرة، كالبابلية القديمة،والاكدية،والاوغاريتية،واكتشاف الصلات اللغوية بينها وبين العربية . وللميزان الصرفي،بالاضافة الى ما تَقدَّم من

فوائـــد . فائدة كبرى جليلة تفتقر اليهـــا معظم لغات العالم ، هي القدرة على قياس الجديـــد من المفردات عليها،واشتقاق المزيـــد من الصيغ منها، للدلالة على المعاني الجديدة التـــي تتطلبها حاجات الحياة الحضاريـــة الدائمة التطور والنموّ،والتي لم تكن لهـــا دلالات في اصول اللغـــة . وعلى ذلك فضَّبْطُ ميزان الكلمـــة والقياس عليه ، يُعَـــدّ من اهم العوامل التي ساعدت اللغـــة العربية على الدوام،والبقـــاء بأصولها وجذورها الاولى، والنمو الدائم والمتطور بالقياس علـــى تلك الاصول والجـــذور ، دون أن يمس اصالتها وسلامتها عامـــل من عوامل الضعف والضمور التي تعتري اللغات عادة عبـــر التاريخ،وتقضي على سماتها الاصيلـــة .

ولعل اقـــدم اللغات العربية التي عَرِفت الميزان الصرفي واستخدمته في الاشتقاق والتصريف،هـــي المجموعة الشرقية منها،والتي عُرِفت بالاكدية او البابلية الاشورية . وعلى الرغـــم من وجود الكثير مـــن المفـــردات الثنائية في لغات (٦) هـــذه المجموعة ، فان الغالب على مفرداتها هـــو الوزن الثلاثي (٧) ؛ ولذلك فقد عَـــدَّ علماء اللغة الذين درســـوا قواعد هذه اللغات الصيغةَ الثلاثية وحدةَ قياسهـــا لتركيب المفردات فيهـــا، واتخذوا من التصنيف العبري المأخـــوذ اساسا من التصنيف العـــربي المبنـــي على اعتبار الصيغة الثلاثية وحـــدة للقياس اساسا لتصنيـــف المفردات فيها ، الأمـــر الذي ادى بالتالي الى اكتشاف العلاقـــات الوثيقة بين العربية وبين هـــذه اللغات،من حيث تركيب المفـــردات واوزانها ودلالاتها ، والذي ادّى بدوره الـــى جمعها في اسرة لغويـــة سُمّيت باللغات السامية تعصُّبـــًا لراي عِرْقي معيّن . وقـــد اقترحْتُ تصويب هـــذا المصطلح،وتسميةً هـــذه المجموعة التي تكاد تكون العربية فيها ابرزها واوسعها واقدمهـــا تاريخا،باسم « لغـــات الجزيرة العربية العربية » تأكيدا لـــدور العربية البارز في نشأتها واصولهـــا .

ومـــن المؤسف أن الأكديين انفسهم لم يتركوا لنـــا ، او لم نكتشف بعد،دليلا علـــى قيامهم بدراسة صرفية لمفـــردات لغاتهم ، لضبطهـــا وقياسها،ووضع قواعـــد الصرف والاشتقاق وفـــق الموازين التي سارت عليها اللغـــة في النشوء والتطور . ولكـــن دراسة الظواهر اللغويـــة

التي لفتت أنظار علماء اللغة والمستشرقين الى الصلات اللغوية بين نصوص الالواح الطينية التي كُتبت بالخط المسماري منذ نحو أربعة آلاف سنة ق. م. ولغات الجزيرة العربية الحيّة،ولا سيما العربية ، دلّت على وجود تشابه كبير،ليس فقط في المفردات،بل في الصيغ الصرفية وأساليب الاشتقاق نفسها؛حيث تبيّن ان هذه المجموعة من اللغات العربية تخضع للميزان الصرفي الثلاثي،في الغالب،كالعربية تماما؛ وان الكلمة الاكدية تعتمد على الاصوات الصحيحة في بناء الكلمة،وان ابنية الكلمة تكون ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية،ولكن الغالب على مفرداتها البناء الثلاثي؛ولذلك اتخذ علماء اللغة هذه الصيغة وحدة للقياس عند دراستهم قواعد هذه اللغات (٨).وعلى الرغم من ان الثنائية تُعتَبَر الاصل في بناء المفردات الاولى في اللغة ، وان لغات الجزيرة العربية لا تختلف من حيث الاسس التي نشأت عليها ، ومن حيث القواعد الصوتية التي بموجبها يتم تشكيل ابنية الكلمة عن غيرها من اللغات . وعلى الرغم من وجود طائفة كبيرة جدا من المفردات الفعلية والاسمية الثنائية ذات الصوتين الصحيحين،نحو:(قال) و (مال) و (سمى) و (دعا) (٩) الفعلية،و نحو:(دم) و (عم) و (فم) و (هم) الاسمية ؛ ثم وجود طائفة اكبر من بنات الصحيحين المضعّفة الثاني (١٠) نحو:(أب) و (أد) و (مج) و (حج) و (مد) و (هد) و (نم) و (صف) و (كف) (١١) الخ ؛ وهي كلها ثنائية جرى عليها بعض التغيّر الصوتي عند الاسناد أو الاضافة لاسباب صوتية محضة ؛ على الرغم من كل ذلك فان الجدل حول الاصول الثنائية للكلمة العربية ما زال قائما ، وما زال اللغويون يصرّون على ارجاعها الى الاصل الثلاثي بكثير من التعسّف والخروج عن منطق اللغة .

واللغة الاكدية (١٢)،التي تُعْتَبَر اقدم وأول لغة مدوَّنة من هذه اللغات،واقربها الى العربية ، تحفل،بل يغلب عليها البناء الثنائي المقطعي للكلمة ؛ ويُعَدّ هذا البناء الصورة الاولى لتشكيل الوحدات الدالة على المعاني،والتي تكوّن الجذر أو النواة التي تدلّ على المعنى المطلق في الاصل؛ ثم تتطور من حيث الشكل بالتغيّر الحركي الداخلي،أو

بالاضافة اليها لتدلّ على معانٍ جديدة تشترك مع الوحدة الاولى في المعنى الكلي، وتتميز عنها بمعنى جزئي خاص (١٣)؛ الامر الذي يدلّ على ان لغات الجزيرة العربية العربية لا تختلف في شيء من حيث القواعد العامة التي سارت عليها في تشكيل مفرداتها، عن اللغات الاخرى ، الا في التفاصيل الجزئية التي تحدّد صفاتها المستقلّة . وكثرة وجود الابنية الثنائية للمفردات ذات العلاقة المباشرة بالحياة الاجتماعية البدائية، والوثيقة الصلة بشؤون الحياة اليومية، دليل اكيد على ان المفردات الاولى للُّغة كانت ببساطة شؤون الحياة ذاتها ؛ وتتعلق بالانسان واعضاء جسمه، (يد) (فم) (رأس) (سن) (كف) (دم) ؛ وذوي قرباه، (أب) (أم) (أخ) (خال) (عم) (بن ــ ابن) (بنت ــ بنت) الخ ... والاحداث التي ترافق هذه الحياة البدائية : قال . قام . نام . كان . راح . جاء . شد . عد . هد . (كل ــ اكل) (خذ ــ اخذ)؛ والصيغة الثانية تطور لاحق (١٢). ولو استعرضنا الابنية الثلاثية وما يزيد عليها، لوجدنا انها تحمل معاني حضارية تدلّ على الاستقرار واتساع الحياة ، واطّرادُها والقياسُ عليها وخضوعُها للنظام يمثّل مرحلة الانتقال من مرحلة التواضع الآني والعفوي على المعنى والشكل للحاجة الى مرحلة التفكير والقصد في الصياغة للانتقاء والتأنق . وقد احسن العلماء باختيارهم هذا البناء وحدة للقياس، فهو كما رأوا الغالب على مفردات اللغة العربية المستحضرة التي درسوها ، ويسلم من التغيير والشذوذ، ويسهل القياس عليه لاغراض حضارية يتطلبها التطور المستمر للحياة وحاجاتها . الا ان ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بوجود البناء الثنائي مستقلا عن الثلاثي، وليس منه (١٤)؛ نشأ في المرحلة البدائية لنشوء اللغة، ثم تطور منه ما تطور بالتغير الداخلي او الاضافة الى البناء الثلاثي او الرباعي، وليس العكس كما قال علماء اللغة القدامى بأن الاسم المتمكن والافعال المتصرفة يجب الا تَقِلّ عن ثلاثة احرف : حرف يُبتدأ به، وحرف يُحشى به، وحرف يوقف عليه (١٥)؛ وكما يظهر من قول ابن مالك (١٦) من أن غير الثلاثي يغيَّر ليوافق الثلاثي في الصيغة ويقبل التصريف .

وليس ادنى من ثلاثي يرى قابلٌ تصريف سوى ما غُيِّرا

وهـذا تعسّف لا مبرر لـه في اخضاع ما لا يَقْبل القياس للقياس . وقد ادى بهم هـذا التعسف الى اعتبار كـل ثنائي ثلاثيا في الاصل، يَسقط ثالثه لعلة . والعلة لا علاقة لهـا باصل البناء، بـل بالوظيفة النحوية للكلمة داخـل العبارة .

يقول الخليل (١٥) : « وقـد تجيء اسماء لفظُها على حرفين، وتمامها ومعناها على ثلاثة أحرف ، مثل : يـد و دم و فم، وانما ذهب الثالث لعلة انها جاءت سواكن وخلفهـا السكون ، مثل (بايد) و (يادم) في آخـر الكلمة .. فلما جـاء التنوين ساكنا اجتمع ساكنان ، فثبت التنوين لانـه اعراب، وذهب الحـرف الساكن، فاذا اردت معرفتها فاطلبها في الجمـع والتصغير كقولهم : ايديهم في الجمع و (يُدَيَّـة) في التصغير .

وكـل هذه التعليلات لا علاقة لهـا مطلقا باصل البناء، بل انهـا تغيّرات صوتية محضة تطـرأ على كل كلمة عنـد الاضافة والاسناد وتغيير البناء بقصد تغيير الدلالـة او الوضعية النحوية ، لا مجـال لشرحها هنـا فان ذلك يتطلـب بحثا مستقلا ، آمل ان اقوم بـه في المستقبل . وآمل ان يقف هنـا القارىء والباحث ويدقق ويعيـد النظر في تقييم هـذه التعليلات، ليجد التعسير واضحـا في تفسير ظواهر اللغة، لا التيسـير .

ولا بـد هنا من الدعوة الى ضرورة اعـادة النظر في قواعد اللغة العربية وفـق نظريات علم اللغة الحديث، لازالة هـذا العسر الذي يجابهنا ونحـن نحاول تيسير اللغة. ولست مـن القائلين بنبذ آراء القدماء كلية ، فانـا من المؤمنين بأن الخليل هـو اول علماء الاصوات، وواضع اسس هـذه الدراسة، ولكن ذلك لا يمنع مـن القول بأن الخليل لم يُصِبْ في كل ما قـال، وإن منطق التطور العلمي في تفسير اللغـة يتطلب اعادة النظـر في كل ما قيل في اللغـة، كما تتطلّب ذلك في المعرفة الانسانية بكافّـة فروعها. ولا بـد من الاخذ بالمنطق العلمي الحديـث في تفسير الظواهر اللغويـة، معتمدين على التجربة والاختبار والمقارنـة

للتأكد من صحة تلك التعليلات او بطلانها،والا اقتصرت معرفتنا باللغة على التلقين والحفظ ، وكان علمنا بها ينتهي بانتهاء الدراسة المدرسية التقليدية،وهذا اسوا واخطر اساليب التعلّم والحصول على المعرفة .

يكفي ان اشير الى التغيّرات الصوتية التي تصيب الابنية الثنائية ، اسميةً او فعليةً،وخروجها بذلك عن القياس الذي اقحمها فيه علماء اللغة اقحاما لضبطها ، لأدلّ على بدائية هذه المفردات،وتعذّر حصرها في القياس.وهذا امر بديهي،ليس فقط في اللغة العربية،بل في جميع اللغات العربية،فانها من مدخرات النشأة الاولى للّغة،اي انها من عهد ما قبل التنبُّه الى الاخذ بالقياس . ولنقرّر بأن هذه المفردات يجب ان تعالَج معالجة خاصة وفق منطق الواقع،واعتبارها من التراث اللغوي الدالّ على قِدَم تاريخها،ومدى التطوّر الذي اصابها ، والنمو العظيم الذي بلغته . اما الحكم بانها كلّها كانت قد جاءت وفق صيغة قياسية ثابتة،وانها اصيبت بعلّة ذهبت بعجزها،فأمْرٌ اقرب الى الصناعة منه الى السليقة والطبيعة.واللغةُ ظاهرة تُرافِق المجتمع في نشوئه ونموّه وتطوره ؛ لم تُصْنَع مسبقا وفق مقاييس موضوعة اصابها الاختلال بحكم التطور،بل العكس هو الصحيح .

ثم ان القصد من الميزان الصرفي والقياس عليه ليس هو بالتاكيد اخضاع جميع مفردات اللغة له ، بل انه وسيلة من وسائل الكشف عن خفايا اللغة واسرارها،لتمييز اصناف المفردات،وليس لتصنيع الاصول .

وهنا لا بد من الاشارة الى اختلاف العلماء القدامى عن المحدثين في تقييم الاصوات المعروفة باصوات الحركة الآن (١٧)،والتي تقابل مجموعة الاصوات المعروفة عند القدماء بحروف المدّ والعلة والحركات جميعا (١٨) ، اي ما يسمى في اللغات الاوروبية بـ Vowels .

واذا كانت الاصوات الصحيحة تقوم بإعداد الهيكل او البناء الاساسي للكلمة،وتؤدي المعاني المطلقة لها،فان اصوات الحركة تقوم بإعداد الاوجه المتعددة لجزئيات ذلك المعنى ومشتقاته . وعلى ذلك فان

صياغة الابنيـــة المختلفة للمعاني المتفرعة مـــن المعنى المطلق تعتمد في معظم الاحوال على اصوات الحركة هـــذه (١٨)،ولذلك فقد عنيت الدراسات الحديثة عناية فائقة بتحديد هـــذه الاصوات وتصنيفها،وبحث آثارهـــا في التشكيل اللغوي . ولـــم يهمل اللغويون العرب هذا الجانب ، بـــل اشبعوه بحثا؛ولكـــنّ دراساتهم لهذه الاصوات جـــاءت ضعيفة مرتبكة، ولم تصل الى درجـــة اقناع الباحث الحديث بالاكتفاء بهـــا (١٩)،ولذلك اسباب،قد يكون اهمهـــا ، اقتصار العلماء في هـــذه الابحاث على الدراسة النظرية،وانعدام وسائـــل الاختبار الآلية الحديثة التي حُقِّقَت نتائـــج مذهلة في علـــم الاصوات اللغوية ؛ وهـــو العلم الذي كَشَف لنا عـــن أن دراسة اللغـــة لا يمكن ان تتمّ بصورة صحيحة ودقيقة الا من خـــلال دراسة الاصوات اللغوية علميًّـــا،وبالوسائل المختبرية التـــي استُنْبِطت لمثل هذه الدراسات؛فاساس اللغة هـــو التشكيلات الصوتية . وقـــد كان الخليل بن احمد من اوائل علمـــاء العالم في القرن الثاني الهجري (٢٠)، بل اول من تنبّـــه الى دَور الصوت في نشوء اللغـــة،ودَرَس الاصوات ومخارجها،كما هـــو معروف،في كتابه العين (١٧)،ولكنها كما قلنـــا دراسة نظرية اعتمد فيهـــا الخليل على اجتهاده وتعليلاته،وما بين يديـــه من معرفة سابقة بهـــذا الشأن . واذا كنّا نحكم بأن علـــم الخليل،او ما في العين والكتب الاخـــرى التي دونت بعده،كـــان كاملا او متكاملا،فاننا نحكم على المعرفـــة البشرية بالجمود والتوقف،والعلمُ باللغـــة واسرارها عِلْمٌ نامٍ،واللغة ترافـــق الانسان،والانسان في تغيّر دائم،ووسائل الكشـــف عن الحقائق تزيـــد وتدقّ،وما كنا نعتقد فيه نهايـــة المعرفة وغايتها بالامس، اصبح اليوم من المعرفـــة السطحية.والخليل لم يكن الا واحـــدا مـــن الباحثين العباقرة،ولكنه انتهى الى جـــزء من المعرفة ووقف،ولا بـــد من الاستمرار والتقدم والكشف الجديـــد ، والا لاصبحنا نسخا مكررة بـــلا حياة لمـــن مضى .

اذن فالبـــدء من حيث انتهى الخليل وغيره من العلماء،واعـــادة النظر فيما قدموه،وتصويب البعض وفـــق الرؤية الحديثة لعلم اللغـــة ودراستها،امر لا بـــد منه.واول ما يلفت نظر الباحث الحديث هـــو

الارتباك الذي حصل في تفسير الظواهر اللغوية لدى العلماء العرب، بسبب ما وقعوا فيه من الوهم في دراساتهم للأصوات اللغوية،ولا سيما اصوات الحركة (٢١)،واول وهم كبير وقعوا فيه،وكان سببا لكثير من التعليلات الخاطئة،هو اعتبار اصوات الحركة ساكنة (٢١)،والاصل في هذه الاصوات انها حركات تساعد على انطلاق الاصوات الحبيسة من مخارجها،فالصوت الساكن في الحقيقة هو الصوت الحبيس ذو المخرج ، وحروف المد في مثل الكلمات : عالم وكاتب وعليم وحكيم وخجول وصبور ، حركات طويلة تطلق الحبيسات التي قبلها . واذا وردت اصوات مشابهة لها في بدء الكلمة،نحو:(ولد) و (يسر) و (امل) فانها اصوات حبيسة،حركتها الفتحة واطلقتها . ولعل السبب في هذا الارتباك هو الرموز الكتابية نفسها.ولا بد لنا هنا من وقفة قصيرة عندها لنكشف عن بعض هذا الغموض .

دلّت الدراسات الحديثة للّغات العربية وتاريخها،على أن الالفباء العربية مشتقة اصلا من ابجدية عربية قديمة،هي الابجدية الكنعانية : ابجد . هوّز . حطّي . كلمن . سعفص . قرشت (٢١)،ولسنا هنا بصدد الاشارة الى الاصوات الصحيحة،فقد خلصت من تعقيدات التقييم والرسم . بل ان ما يعنينا الآن هو الاصوات الحركية فيها الممثلة بـ (ا) ابجد،و (ياء) حطي و (و) هوّز فقط . والباحث المدقّق يجد أن الاصوات اللغوية هنا تذكر داخل تشكيلات قد تساعد على تعيين كل صوت عند النطق،فالف ابجد و واو هوز هنا يرمزان الى اصوات صحيحة تشترك في بناء الكلمة . فالاهتمام عند نشوء الكتابة الابجدية كان منصبًا على الاصوات التي تشكّل البناء،اي الاصوات الصحيحة،أما اصوات الحركة فلم تكن موضع دراسة او اهتمام اول الامر مطلقا . واذن فالقيمة الصوتية لهذه الرموز هي كقيمة الاصوات الصحيحة الاخرى،ولا تختلف . ولكن عندما بدىء بالتدوين الواسع وقُصِد الضبط الصحيح لشكل الكلمة لحفظ سلامة النطق عند القراءة،شعر الكُتّاب

بضرورة ايجاد رموز تحقق هـذا القصد،وكان ان استخدمت أول الامـر هذه الرموز للدلالة علـى الحركات الطويلة،والنهايات الإعرابية التي قـد يؤدي اهمالها الى الخطـأ . وقد سبق ان فعلت البابلية القديمة والاكدية والعربية الجنوبية والاوغاريتية ذلـك،فالنماذج اللغوية في هذه اللغـات تؤكد استعمالها في مواضـع الحركات الطويلة والنهايات الاعرابية (٢٢)؛ فكل المفردات البابلية والاكديـة تنتهي باصوات حركية لتدل علـى وظائفها النحوية في العبـارة،وهي تشابه الحركات الاعرابية في اللغـة العربية تماما،فالواو للرفـع،والالف للفتح،والياء للكسر.والملاحـظ ان الإعراب في اللغات الاكدية يظهر حتى في الضمائـر المنفصلة،اذ تتغـير نهاياتها الحركية حسـب مواقعها في الجملة،فتكون مرفوعة بالـواو، ومفتوحة بالالف ومجرورة بالياء (٢٣) . ولكـنَّ هناك فرقا واضحا بـين رموز الكتابة المسمارية والابجديـة الكنعانية ؛ فالخط المسماري الاكدي مشتقّ من الخـط المسماري السومري،الذي يدل الرمز فيه علـى المقطع المؤلف من صوت صحيح مـع الحركة التي ترافقه.فاللغـة السومرية اعتمدت الاسـاس المقطعي في تمثيل الصوت،وهو مقارب للنظرة الحديثة الـى الاصوات اللغوية،الى حـد ما،التي تدعو الى الكتابة الصوتية. ومعنى ذلك تمثيل كـل صوت،سواء اكان صحيحا أم حركـة،برمز،وكما هو حاصل في اللغـات الاوروبية بصورة عامة . امـا الابجدية الكنعانية فقد اقتصرت،كما قلنـا،على رموز الاصوات الصحيحة،وهـذا هو سبب الارتباك الذي وقـع فيه العلماء العرب عند بـدء التدوين،ومحاولـة الانتقال بالابجدية الكنعانية الى مرحلـة من التطور يستطاع فيها كتابـة اللغة العربية كتابة صحيحة،تتمثل فيها كـل الاصوات الحركية الضرورية لسلامة النطق وحفظ الصيغ من الخطـأ . ولكن الابجدية كانت قـد استقرّت بعد محاولات متعددة لتطوير بعض رمـوز الاصوات الصحيحة، للتعويض عن رمـوز الاصوات التي كانت تفتقر اليهـا الابجدية الكنعانية؛ واستُخدم التنقيط لهـذا الغرض (٢٤)،وارتفع بذلك عـدد الاصوات الصحيحة الـى ثمانية وعشرين رمزا بدلا من اثنين وعشرين،واستُخدمت الرموز (ا) و (و) و (ى) الصحيحة لرسـم الاصوات الحركية الطويلة

في نهاية المفردات الفعليـة والاسمية،في الحالات التي استقرت عليهـا فيما بعد قواعد استخدامها للوظائف النحويـة،كما كانت تستخدم سابقـا في اللهجات الكنعانية القديمة (٢٥) وفي الصيـغ التي تكون حركة فائهـا صوتا طويلا،نحـو :(قال) و (مال) و (جيد) و (زير) . وقـد مرت الكتابة العربية قبـل الاستقرار على هـذا الوضع بعدد من المراحـل، لـو رجعنا الى القرآن الكريم لاكتشفناها،« وقُتلوا في سبيل اللـه » (٢٦) . « ولٰكـنّ اكثر الناس لا يشكرون » (٢٧) « فيضٰعفه لـه اضعافا » (٢٨) « وقال لهم نبيهـم ان ءاية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكـم وبقية مما ترك ءال موسى وءال هرون تحمله الملٰئكة » (٢٩) « بل اللـه مولٰكم وهو خـير الناصرين » (٣٠) و « اذ تصعدون ولا تلون على احـد والرسول يدعوكم في اخرٰاكم فأثٰبكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم »(٣١) « وءاتوا اليتٰمى اموالهم » (٣٢) و « ان خفتم الا تقسطوا في اليتٰمى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثٰلث ورٰبع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمٰنكم ذلك ادنى الا تعدلوا » (٣٣).ولـو راجعنا القرآن الكريم كلـه لوجدنا الرسم القرآني يشير الى تاريـخ الكتابة العربية،وهـو فترة محاولة تطوير الابجديـة الكنعانية وفـق أصوات اللغة العربية فـي مرحلتها الثالثة،اي مرحلـة استقرارها لغـة مستقلة انفردت بخصائص حضارية تقدمت بها على اخواتها وخلفتها وراءها ، ثم وصلت الى ما وصلت اليه من الاتساع والازدهار بفضـل العناية بلغـة القرآن،ورغبة في صيانتها وحفظها في اوضـح صورة واكمل وجـه .

ولمـا وجـد العلماء العرب أن الرموز الثلاثة المذكورة،والتـي استُخدِمَت لعملين مزدوجين همـا،قيامها بدور احرف البنـاء عند وجودها في صدر الكلمة،ودور أصوات الحركـة الطويلة التي تقـوم باضفـاء المعاني الجديدة على البنـاء،لا تكفي للدلالة على كـل ما لاصوات الحركة من صفات وخواص،فقـد تكون هذه الاصوات طويلـة او قصيرة او منفتحة او مغلقة ، كمـا تُستَخْدَم لوظائف نحويـة (الاعراب) بالاضافة الى وظائفها الصرفية ، عمدوا الى ايجـاد رموز تضاف الى رسـم رموز الاصوات الصحيحة حسـب احوالها الصرفية والنحوية.ولا تغيّر

في شكل الرموز انفسها،لانهـا عارضة تتغيّر بتغيُّر الوظيفة الصرفية او النحوية ؛ ووجدوا ان هنـاك تشابها بين الاصوات الصحيحة التـي ذكرناها سابقا وهي،(أ) (أبجد) و (واو) (هوز) و (ياء) (حطي) في الصفات ،وهذه الاصوات الحركيّة التي تلاحظ بعد نطق كل صوت صحيح في بنـاء الكلمة،ووجد ان الصوت الحركي الـذي يرافق اصوات الكلمة (كَتَبَ)،مثلا،وهي الحركـة القصيرة على الكاف والتاء والباء،يشبـه صوت المـد الذي مُثّل لـه بالف ابجد،سُمّي بفتحة،وأُتّخِذ من رسـم مصغر للالف رمز لـه . وهكذا اتُّخذ مـن رسم مصغر للواو رمـز للضمة ومن رسـم مصغر للياء رسم للكسرة . وتـم بذلك تمثيل اصوات الحركة الطويلـة بالاصل الصحيح،وبرسم مصغّر لهـذا الاصل للحركة القصيرة . وبقيت بعض الاصـوات الحركية التي لا تَـرِدُ الا قليلا في الفصحى وتكثر في اللهجـات الكلامية دون رمـوز،كصوت الامالة والاشمام (٢٤) وبعض الاصوات المركّبـة (٢٤) .

يبـدو واضحا مما تقدم ان هناك نقصـا في تمثيل اصوات الحركة في الرسم العربي،وان هذا النقص كان اكبـر واوسع في بـدء الدراسات اللغوية العربية،فقـد تطورت الكتابة العربية،كمـا يلاحَظ من الرسـم القرآني،حتى وصلت الـى الرسم الحديث تطوُّرًا ملحوظا ؛ وهنا لا بـد من ذكر امـر مهمّ جدا،وهو ان الدراسة اللغوية العربيـة بدات بدراسة اللغة المدوّنة،واقتصرت علـى العربية فقط،دون ملاحظة اللغـات العربية الاخرى التي اشتركت في الاصول مـع اللغة العربية،واستقلّت عنهـا، وخضعت لعوامل غـير العوامل التي خضعت لهـا العربية القـرآنية، فتغير وتطور فيها مـا تغير وتطور،ثم عادت فاشتبكت مـع العربية من جديـد من حيث الرسـم الكتابي والاصول اللغوية باشكالهـا المستقلة المتطورة.وان عمليـة الانفصال والالتئام هـذه غيرت وطورت الكثير من هـذه اللغات،وان الدراسة المقارنة لا بـد منها لتقرير حقائق تطور اللغة . كما ان اللغات الكلامية لـم تَحْظَ بالدرس الا بقدر مـا اخـذ من اللهجات التي عدها علماء اللغـة من الفصيحة ، بالاضافة الى

نقص في وسائل البحث اللغوي والتجريبي . كل ذلك أدى الى وقوع العلماء في كثير من اللبس والغموض في تعليلاتهم الصرفية والنحوية (٣٥)، فقد كانت التعليلات مستنبطة من الصورة المرسومة لا الاصل المنطوق .

ان هذا النقص في وسائل البحث اللغوي، من نقص في الرسم الكتابي الى نقص في التجربة والاختبار، أدى كما نرى الى ارتباك في التحليل، فقد ميّز علماء اللغة الابنية اللغوية وحددوا أسس قيامها، وهي أنها لا تُبْنَى الا من الاصوات الصحيحة. وهذه حقيقة أكدتها الدراسات الحديثة. ثم عادوا، لمّا وجدوا ابنية لا يشترك فيها الا صوتان صحيحان، فرفضوا ما قالوا أو رجعوا عنه، فعدّوا الصوت الحركي منقلبا عن أصل صحيح مماثل، وحاولوا تطبيق قواعد تصريف الثلاثي عليه، فوجدوه شاذا ولا يقبل هذا القياس الا بعد تعنّت وعناء، فحاروا في تعليل ذلك ووقعوا في كثير من التوهم (٣٦) .

وسنحاول الكشف عن بعض أسرار الصيغ الثنائية والثلاثية بدراسة مقارنة في اللغات الاكدية والعبرية والعربية، لعلّنا نستطيع القاء بعض الضوء على ما غمض منها في الصفحات القادمة .

ولما كانت العربية تمثل أقدم وأوسع لغات الجزيرة العربية العربية ، وتظهر فيها كل الصيغ الصرفية التي تحتملها ابنية الكلمة في هذه اللغات مع كافة الاشتقاقات الممكنة ، فاننا سنتخذ من صيغ الثنائية والثلاثية ، وهما أقدم بنائين للكلمة فيها ، اساسا للمقارنة بينهما وبين ابنية الكلمة في اللغات الاخرى من هذه الاسرة .

واذا استثنينا الثنائية التي ما زالت موضع جدل بين العلماء (٣٧)، والتي سنحاول اثبات أصالتها وقدمها ، فان الثلاثية هي الصيغة المشتركة بلا جدل (٣٨) بين هذه اللغات ، والمجردة من الزيادة، على راي من يقول بانها أصل الثنائيات (٣٩)، أو أصل الصيغ جميعا على راي آخر (٤٠) . أما الصيغ الرباعية والخماسية فانها، وفق منطق اللغة، متأخرة جاءت الزيادات فيها نتيجة تطور الثنائيات أو الثلاثيات

في اغلب الاحوال (٤١)،ولذلك فاننا لا نستطيع الاعتماد عليها في الدراسات المقارنة الا قليلا ؛ كما انها قليلة العدد اذا قورنت بالثنائيات والثلاثيات في جميع لغات هذه الأسرة ، وتقتصر على ابنية دون اخرى ؛ اذ ليس في العربية فِعلٌ مجرد يُبْنَى على اكثر من اربعة اصوات،ولا اسم مجرد على اكثر من خمسة اصوات . وامثلة هذه الابنية قليلة تُعَدّ على الاصابع (٤٢) .

ولو اجرينا دراسة دقيقة للمفردات وابنيتها في اللغة العربية وفي لغات الجزيرة العربية الاخرى ، لوجدنا أن بالامكان ارجاع معظم مفردات هذه اللغات الى البناء الثنائي ؛ وهو ابسط صورة لبناء الكلمة،ليس فقط في لغات الجزيرة العربية،بل في جميع اللغات ؛ فالوحدات اللغوية الوحيدة المقطع Monosyllabic ربما كانت هي الاصول الاولى التي نشأت منها وتطورت الوحدات المتعددة المقاطع (٤٣)،إمّا بتغيير الحركات الداخلية،وإمّا باضافة مقاطع خارجية الى صدورها او احشائها او اعجازها،كما في نحو:ضَرَبَ . ضَرْب . و كَتَبَ . كُتِبَ،بالتغيير . و يكتب و تكتب ونكتب،باضافة صدر،و كتبت و كتبنا، باضافة عجز ، ويُكْتَبُ و يُكَتَّبُ،باضافة حشو . ولم يَفُتْ العلماء العرب ما يجري على الابنية الاصول من تغيرات شكلية يُقصَد بها تغيير الدلالة؛بل لا اكون مغالية اذ قلت بأن علماء النحو واللغة العرب ناقوا جميع علماء اللغة في استقصاء اصول الكلمة،وما يجري عليها من تغيير،وما يعتريها من تطور بالاعلال والابدال والقلب والحذف والادغام (٤٤).ولو اجرينا مقارنة بين ما توصل اليه العرب من نتائج مذهلة في ابواب التصريف والاشتقاق في اللغة العربية،وما تم في اللغات الاخرى من ابحاث مماثلة،لوجدنا الاخيرة هزيلة لا تغني ولا تسمن الى جانب ما كُتِب وصُنّف وأُلّف من مؤلفات في الاشتقاق والتصريف في العربية.واذا كان حرص العلماء وجهدهم المضني في البحث والاستقصاء هو السبب الاول لكل هذا الانتاج الغزير ، فان سمة اللغة نفسها والقواعد الدقيقة المحيرة للعقل التي سارت عليها والتزمت بها،هو السبب المباشر الذي اثار العلماء وحفزهم على

التعمق في البحث والغوص وراء اسرارهـــا . ولا ينتقص من هـــذا العلم وهؤلاء العلماء ان بعض مـــا توصلوا اليها من نتائـــج يُعْوِزُها الدقّـــة المبنية على الاختبار والمقارنـــة،وبحاجة الى إعادة النظر فيهـــا وفـــق اسس علميـــة ساعدت الوسائل العلمية الحديثة علـــى اكتشافها . فالخليل،وهـــو اول من درس الاصوات ومخارجها،لـــم يكن يملك من وسائل الاختبار الا فكـــره وتجربته الذاتية في نطق الحروف،ثـــم تحديد مواقعها في جهاز النطق (٤٥)،وعلى الرغم مـــن ذلك فقد اصاب في الكثير من النتائج التـــي توصل اليها . ولو توافرت لـــه وسائل الاختبار الحديثة، وعرف ما بين اللغات مـــن صِلات،وما يجري عليها من تطورات عبـــر الزمان،اذن لكانت نتائجه ادق بكثير مما هي،بل ربما كانت الغاية في الدقة .

وقـــد قال الخليل،« كلام العرب مبني على اربعـــة اصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي » .

واصاب في ذكـــر الثنائي بانه البناء الذي يتالف من صوتين صحيحين؛ وذكر لذلك الامثلة،« قد . هل . لـــو . بل ».ولكنه لم يُصِبْ إذ حـــدّد هذه بانها تكون في حـــروف المعاني فقط ، أما الاسم والفعل فـــلا يردان على اقل من ثلاثة؛وفاته ان الكلمات الاسمية :(اب . ام . اخ . فم . فم) لا تختلف مـــن حيث البناء وعدد الاصوات الصحيحة عن بنـــاء الامثلة التي ذكرها . واساس البنـــاء كما حدد هو الصوت الصحيح ؛ وربمـــا كان السبب في ذلـــك هو خضوع المفردات الاسميـــة والفعلية للاعراب والاشتقاق والتصريف ، وجمود ابنيـــة حروف المعاني في حالة لا تقبـــل التغيير . فالتغيّرات الداخليـــة للحركات،وزيادة اللواحق والسوابـــق، تؤدي بالضرورة الـــى تغيير الحركات النهائية للكلمـــة وفق نُظُم لا يتسع المجال هنـــا لشرحها . يكفي ان نشير الـــى انّ اللغـــة الاكدية كانت ، وهي اقـــدم صور لغات الجزيرة العربيـــة، تتميز بانها اكثر واقـــوى صلة باللغـــة العربية من اخواتهـــا،فهي من دون اخواتهـــا العبرية والارامية تلتزم بالاعراب في جميـــع الحالات،ونهايات الاســـم تحمـــل علامات الاعراب،ليس بالحركات كما في العربيـــة،وانما باصوات المـــد او

حروف العلـــة (و) (٤٦) و (ى) ، وان الصيـغ الثنائية نحـــو:

طيب — tabu و بعيد — Ruku و منير — ellu

و ربه — Rabu و واطىء — Nadu و خالد — Daru

و ناس — Nišu و الـه — Ilu و سماء — Šama

كل هذه الصيغ ثنائيـة،والنهاية الحركية هي علامة الاعراب في حالـة الرفع،كالعربية تمامـا . ولكن الحركات،كما قلت سابقا،لـم تضف الى الكتابة الا بعـد عصر التدوين القـرآني او في حينه ؛ ولذلك فقد رُسم العرب جميعا الحركات بهـذه الحروف . ولعل هذه النهاية الحركيـة التي كانت ترسـم في الكتابات الاسلامية الاولى باصوات المـدّ،جريًا على المألوف في ذلـك الوقت في الكتابات العبرية والآراميـة والنبطية، هي التي أوقعت العلماء في اعتبارها جـزءًا من أصل البناء سقط عندمـا أُهمِل فيما بعـد الاعراب في اللغات العبرية والآرامية،كما هـو معروف، وبقي في العربية (٤٧) . أشير هنـا الى مسالة إعراب الاسمـاء الخمسة، او الستة،واختلاف العرب في اعرابهـا بالحركات او بالحروف،وجـدل النحاة حولها،وصلة ذلـك بالاشتباه بين الحركات والحروف .

واذا عدنـا الى لغات الجزيرة العربية جميعـا-والعربية تمثل الاوسع مـادة والادق ضبطا والاقدم تاريخـا-واستعرضنا الثنائيات فيها،لوجدنا انهـا تتفق جميعا في ان الصيغـة الثنائية فيها،الاسمية والفعلية،تشمل طائفة كبيرة جـدا من المفردات تكاد تفوق الثُلاثيّـات عددا . وانها تنتظم الفئات الآتيـة :

١ — الافعال الناقصة من حيـث التصريف والوظيفة النحوية ، وعددها كما ذكرها النحاة سبعة عشر،منها احد عشر فعلا ثنائيا،هي : كان . صار . ظل . بات . آض . عـاد . غدا . راح . ما (برح) . ما (دام) . ما (زال) . وليس (٤٨) .

وليس في الاكديـة او العبرية افعال ناقصة بالمعنى المعروف في العربية . ولـم تشر الدراسات اللغوية التي قـام بها المستشرقون الى أن ما يماثل هـذه الافعال يختص بوظائف نحويـة تتميز بها

عن الافعال الاخرى ، وان كانت موجودة بصيغها ودلالاتها . فكان في الاكدية — Kanu وفي العبرية כּוּן تعني استقام او تمكن . و"صار" في العبرية מָכַר تعني تحجّر او تصلّب من כַּר حجر . ويتسم تصريف هذه الافعال كالعربية وفق الاحكام الصوتية المعروفة في قوانين علم الصوت ، وسنأتي الى تفاصيلها في بحث مستقل لاحق (٤٩).

٢ — الاسماء المعروفة بالاسماء الستّة عند النحويين القدامى،وهي الاسماء التي اختلف في اعرابها النحاة،فمنهم من قال بانها تعرب بالحركات،ومنهم من قال بالحروف (٤٩)؛وهي في الحقيقة لا تخضع لاحكام الاعراب المعروفة لانها من ذوات المقطع الواحد القصير،ويتطلب الصاق اللواحق بها مدّ حركاتها النهائية،كما في نحو : ابوك واخوك وفوك ؟ وعند الإفراد تُعرَب كما تُعرَب الاسماء الاخرى : جاء الابُ ، ورايت الاخَ (٥٠)

وقد ذكر منها النحاة ستة فقط هي : اب . اخ . حم . فو . ذو . وهن ، في العربية ؛ وفي الاكدية والعبرية ما يقابلها،ولكنها تنتهي في الاكدية والآشورية،كما ذكرنا سابقا،بالحركات الاعرابية التي كانت تُرْسَم آنذاك بحروف المدّ،اي بالواو والالف والياء بدلا من الحركات،على النحو الآتي :

اب = abu . اخ = aḫu = حم Hamu

فم = Pu . اما في العبرية فانها تُرسَم بصوتي البناء الصحيحين فقط،بغير النهاية الحركية لزوال الاعراب في هذه اللغة الا في حالة الاضافة،وتُحَرَّك عند ذاك بالياء ؟ وتكتب على النحو الآتي في حالتي الرفع والنصب : اب = אָב .

اخ = אָח . ذو = זוּ . فاه = פֶּה .

ويُلاحَظ هنا ان بعض هذه الاسماء أُحادية البناء في اللغات الثلاث،اي انها تتالف من صوت صحيح واحد وحركة مدّ طويلة.والواقع ان كل الأُحاديات في جميع اللغات تنتهي بحركات

مـــد طويلة (٥١) . ولا تقتصر الكلمـــات الأحادية علـــى هاتين الكلمتين في لغـــات الجزيرة العربية ، فهناك طائفة كبيرة منهـــا في كل لغـــة من هذه اللغات ، نذكر منها في الاكديـــة :

لـــو = Lu ثور وحشي . مو = Mu مـــاء .

قا = Qa قياس . و تو = Tu سحر . ومثلها الضمائر المنفصلة للمفرد والمؤنث الغائب Su = شو ، و Si = شي للمذكـــر .

وفي العبرية 𐤊 = كا (بالكاف الفارسية) وكذلـــك 𐤊𐤉 = كي بمعنى فخور . 𐤊𐤅 = كا بمعنى سهل . 𐤊𐤉 = كي بمعنى علامة . 𐤌𐤉 = مي بمعنى من . 𐤍𐤀 = نا بمعنى (ني — غير مطبوخ) . 𐤍𐤉 = ني بمعنى نحيب . 𐤍𐤐 = فا بمعنى استفرغ . 𐤓𐤉 = ري بمعنى ري . 𐤔𐤍 = شا بمعنى هدم . 𐤕𐤀 = تا بمعنى غرفة (٥٢) .

٣ — الاسماء الثنائية ، عـــدا الاسماء الستة الوحيدة المقطـــع ، وهـــي كثيرة في جميع اللغـــات العربية .

وهي إمّا أن تكون وحيـــدة المقطع قصيرة الحركة ، وتكون علـــى اصناف ، منها مـــا :

١ — يكون مفتوح الاول ، وهو الغالب ، نحـــو :

قَد . يَد . يَم . دَم . غَم . هَم . كَف . دَف . رَف . خَد . جَد . صَف . بَط . رَب . حَج . ضَب .

٢ — يكون مضموم الأول ، نحـــو :

أُم . دُب . جُب . خُف . دُر . مُر . حُق . بُر .

٣ — يكون مكسور الاول ، نحـــو :

قِط . هِر . زِق . رِق . شِص . دِن . كِن .

وفي اللغات الاكدية والعبرية مـــا يقابلها تماما .

٤ ــ الاسماء الثنائية ذات النهايات الحركية المدودة نحــو :

فتى . صبا . هوى . نوى . جوى . عصا . قفا . مها . قطا . رُبى . عُلا . سُها . رِبا .

٥ ــ الافعال المعتلة ؛ وذكــر النحاة ثلاثة اصناف منهــا :

المثال،وهو مــا كان فاؤه حرف علّة،نحو : وعد . وهب ؛ والاجوف، ما كان عينه حرف علّة،نحو : قال ومال ؛والناقص،ما كــان لامه حــرف علــة .

ولــو انعمنا النظر لوجدنا ان المثال الأول سالم وليس معتلاً ؛ فالواو في (وعد) ليس صوتــا حركيا او حرف علّة بل هو صوت صحيــح، مخرجه من بين الشفتين كالياء والميم،واختفاؤها عنــد تغيير البناء ليس واجبا وانما هــو ظاهرة حضارية،ثبتت في اللغة الكتابية فقط وبقيت في لهجــات الكلام فنحن نقول (يوعد) و (يوهب)؛وهــو بذلك ثلاثي صحيــح .

امــا المثالان الثانيان وهمــا الاجوف في نحو (قال)،والناقص في نحو (سعي)،فثنائيان و (ا) المــد و ياؤه حركتان طويلتان لفــاء الكلمة . واذا تذكرنا ان (ا) المــد تُلفَظ غالبا في اللهجة الكلاميــة اقرب الى الــواو المفتوحة منها الى الالف،وانهــا تلفظ (واوا) مفتوحة في العبرية،وتكتــب بالواو،لعرفنا لمــاذا تصبح (واوا) في المضارع فانهــا في العبرية تُكتب קָם = قــول .

ومعنى ذلــك ان المفردات الثنائية تفوق في العــدد الثلاثيات ، وان معظم الثلاثيات تطوّرت مــن اصول ثنائية .

(١) انظر البحث الذي نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع والعشرون ، سنة ١٩٧٤ ، حول لغات الجزيرة العربية .

(٢) الخليل : العين ، (١٠٠ ــ ١٧٥هـ) تحقيق الدكتور عبد الله درويش « كلام العرب مبني على اربعة اصناف . على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي » .

(٣) سيبويه . الكتاب . تحقيق هرتويغ درنبرج . الجزء الثاني ص ١٩٦ .

وبنات الحرفين في الكلام قليل .

(٤) الاب هنري فليش . تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين . ص ٥٣ .

(٥) المعاجم العربية .

(٦) نقصد باللغة اللهجة التي دوّن بها ؛ فاللغة لهجة حتى تُكتب وتدوّن وتتمّ قواعدها في التعليم والكتابة .

7. L. A. Lipin. The Akkadian Language, p. 72.

8. L. W. King. First steps in Assyrian, p. L III.

(٩) صوت اللين لا يُمَدّ جزءا من بناء الكلمة،فهو حركة طويلة ؛ وصوت العلة في اول الكلمة يُمَدّ صوتا صحيحا،ولا تعتبر لذلك الافعال او الاسماء المبدوءة باصوات العلة بمثلة الاول،نحو:ولد . يد . وعى . وفى .

(١٠) ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا : مقاييس اللغة . المعجم كله يبدا بالابنية الثنائية في كل حرف من حروف الابجدية ثم ينتقل الى الابنية الثلاثية، وهكذا بدأ الخليل بالعين ، وعمل غيره من علماء المعاجم .

(١١) الالفاظ ثنائية ، يشدد فيها الثاني عند الاسناد الى بعض الضمائر فقط .

12. L. A. Lipin. The Akkadian Language, p. 72

(١٣) الاب هنري فليش اليسوعي . تحقيق عبد الصبور شاهين ، سنة ١٩٦٦ . ص ٥٣ .

(١٤) سيبويه : الكتاب الجزء الثاني ، تحقيق درنبرج . ص ١٩٦ .

(١٥) الخليل بن احمد : العين ، تحقيق الدكتور عبد الله درويش . ص ٥٥ .

(١٦) الخليل : العين ، ص ٥٦ .

(١٧) الاب هنري فليش اليسوعي ، ترجمة عبد الصبور شاهين . ص ٥٢ .

(١٨) جان كانتينو ، تعريب صالح القرمادي . ص ١٢٧ وما بعدها .

(١٩) ابن جني : سر صناعة الاعراب ؛ تحقيق لجنة : مصطفى السقا ، ابرهيم مصطفى الخ . ص ١٩ وما بعدها .

(٢٠) ان الشكوك التي تحوم حول نسبة كتاب العين الى الخليل لا قيمة لها من وجهة النظر العلمية،فما هو مدوّن في هذا الكتاب ان لم يكن من علم الخليل وتدوينه

فهو من علـم القرن الثاني الهجري وهو اقـدم تاريخ صُنِّف فيه شيء في دراسـة الاصوات اللغوية بعـد كتاب پانين الهندي في القرن الرابـع ق. م.

(٢١) جلال الدين السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ. طبعة ١٣٢٧هـ. الخانجي ، الجزء الثاني . ص ٢١١ .

22. L. W. King. First steps in Assy. p. XXXVII

23. L. A. Lipin. The Akkadian Lang. p. 109.

(٢٤) محمـد الانطاكي ، الوجيز في فقـه اللغة . ص ٨٩ .

25. Gesenius. Hebrew Gram. P. 37.

(٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) الآيـات من سورة البقرة .

(٣٠ ، ٣١) مـن سورة آل عمران .

(٣٢ ، ٣٣) مـن سورة النساء .

(٣٤) جان كانتينو ، دروس في علـم الاصوات العربية . ص ١٧١ .

ظهرت الامالة والاشمام في بعض القـراءات القرآنية،ولا شك انها تمثل اصواتا قديمة في اللغـة العربية،لوجودها في اللغـات العربية الاخرى،كالاكدية القديمـة والعبرية الكنعانية والآرامية ، ومـا زالت في العبرية الحديثة واللهجات السريانية، وكذلك الاصوات المركبة،وهمـا صوتان للفتحة المركبة والواو المركبة كما في كلمـة "بيت و يـوم" وتمثلان في اللغات الاوروبية بـ ai و au

(٣٥) ابـن جني ، سر صناعة الاعراب . أحيل هنـا القارىء الى تعليل وتحليل ابن جني لعلاقة الحرف (الصوت الصحيح) بالحركة،هـل هي قبله ام معه ام بعـده - والحديث طويل لا مجـال لنقله - ليرى مقدار الفوضى والفارق الكبير بـين الرؤية المبنية على الوهـم،والرؤية الحديثة المبنية على الاختبار والتجربـة والواقع . ص ٣٠ ومـا بعدها .

(٣٦) ابـن الحاجب ، الشافية ، شرح الرضي . ج ١ ص ٦ .

(٣٧) السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ. همع الهوامع . ج ٢ ص ٢١٢ .

38. L. A. Lipin. The Akkadian Language. p. 71.

(٣٩) ابـن الحاجب ، المتوفى ٦٤٦هـ؛ الشافية ، شرح البغدادي . ج ١ ص ٦٠ .

(٤٠) ابـن مالك ، الالفية وشرحها أوضح المسالك لابـن هشام . ج ٣ ص ٣٠٤ .

41. L. A. Lipin. The Akk. Lang. p. 72 - 73.

42. L. W. King. First steps in Assy. p. LXXXVII

43. Leonard Bloomfield. Language. P. 244.

(٤٤) ليس في استطاعتنا هنا ذكر المراجع والمصادر التي صُنّفت في العربية وعلومها، فاتها على الالوف، يكفي ان نقول إن اهم هذه المراجع وضعت في القرن الثاني للهجرة، ولم يكتب شيء مماثل لها او مقارب في اللغات الاخرى الا في القرن الثامن عشر للميلاد .

(٤٥) الخليل : العين ، تحقيق د . عبد الله درويش ، وانما كان ذواته اياها (ويقصد الاصوات) انه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف نحو اب . ات . أح الخ » .

46. L. King. First steps in Assy. P. LVII

47. L. A. Lipin. The Akk. Language. P. 157.

(٤٨) ابن الحاجب : الكافية ، شرح الاسترابادي . ج ٢ ص ٢٩٠ .

49. Langenscheidt. Heb. Diction.

(٥٠) السيوطي : همع الهوامع . ج ١ ص ٣٨ .

(٥١) أدعو القارىء الى ملاحظة الاحاديات في الانكليزية :

zoo, See, do bee, sea, too, you, we, he, she, tea,
key.

وفي الفارسية . دو — اثنان . تا = لقب الامبراطور او الشاه للتعظيم. شا = الملك العظيم . مو = شعر . سي = ثلاثون . سي = اثم . رو = وجه . دو = غاية . خو = عادة . جا = مكان . تا = صفحة او واحد من عدد . پا = قدم .

وفي اللغة الكردية . دو = اثنان . مو = شعر . رو = وجه . شو = زوج . جو = شعير . خو = عادة . رى = طريق . دى = قرية .

52. Gesenius - Heb. gram.

استدراكات على النصوص الشعرية في كتاب "شعراء عباسيون"

للمهندس السيد حاتم غنيم

تمهيد :

جَمْعُ اشعار من فُقدت دواوينهم من الشعراء امر ليس بالهيّن ، فهو يحتاج الى التنقيب في كل ما يمكن التوصل اليه من المراجع والكتب المطبوعة والمخطوطة ، ومقارنة الروايات المختلفة واختيار الانسب ؛ علاوة على ترجيح نسبة الشعر الى شاعر ما عند الاختلاف في نسبته باختلاف المراجع ، وذلك بالاعتماد على اسلوب الشاعر، والمناسبة، وتوثيق المرجع،وغيرها من وسائل الترجيح والاستدلال . فاذا اخذنا بالاعتبار ان كثيرا من المراجع المطبوعة لم يُحَقَّق جيدا ولم يُفهْرَس ، عَلِمْنا مدى الجهد الذي يبذل في جمع النتف المتبقية من نتاج شاعر ما . وقد قام المستشرق الدكتور غوستاف فون غرنباوم بجمع اشعار عدة شعراء نشرها مع دراسات وتعليقات قيّمة في مجلة (Orientalia) (١) ، وقد قام الاستاذ الدكتور محمد يوسف نجم بترجمة الدراسات الخاصة بثلاثة شعراء عباسيين ، وصَحَّح بعضا من النصوص،واضاف اليها شيئا مما فات الدكتور غرنباوم (حوالي ٦٨ بيتا) ثم نشرها في كتاب (شعراء عباسيون) (٢) . وقد قام الدكتور احسان عباس بمراجعة الكتاب .

الشعراء موضع الدراسة :

لا يجمع بين الشعراء الثلاثة الذين تَمَّت دراستهم في الكتاب المذكور سوى وجودهم في عصر واحد،هو بداية الدولة العباسية :

مطيع بن اياس الشاعر اللاهي ، نديم الوليد بن يزيد ، والمستهتر المتهم بالزندقة ، يختلف في نمط حياته ومواضيع اشعاره عن سلم الخاسر،شاعر البلاط المتفرغ لمدح الخلفاء والأمراء والولاة ؛ وكلاهما غريب عن ابي الشمقمق الشاعر الفكه المنتقد الساخط المتذمر . واذا كان هذا الاختلاف يُصعّب المقارنة بين هؤلاء الشعراء،ولا يُشعرنا بوجود مبرّر لجمع اشعارهم في كتاب واحد دون غيرهم من الشعراء (٣) ، فلعل مثل هذا الاختيار يساعد في اعطاء الباحثين صورة شاملة لجميع نواحي العصر الذي عاشوا فيه . وقد قدّم الاستاذ فان غربناوم لمحة موجزة من حياة كل شاعر،والنواحي الفنية التي يتميّز بها وتجدر ملاحظتها ؛ وتعليقاتُهُ على إيجازها قيّمة ومفيدة للباحثين في تطور الشعر العباسي وتاريخه .

هذه الاستدراكات :

عندما حصلتُ على الكتاب (قبل حوالي عشر سنوات) وبدأت مطالعته ، لم يخطر ببالي تتبّع ما فات الاساتذة الذين ساهموا في جمع نصوصه والتعليق عليه ، وذلك لان عملي في حقل الهندسة يستغرق جُلّ وقتي ، ومثل هذا الهدف يستلزم التفرغ ومراجعة الكتب وزيارة المكتبات (كمكتبة الجامعة مثلا) ؛ وانا لضيق وقتي لا استطيع الرجوع الا الى المراجع الموجودة في مكتبتي الخاصة ، وهي،مهما بلغ حجمها،يعوزها الكثير من المراجع . ولكنني عندما وصلت في مطالعتي الى آخر ما جمع لسلم الخاسر،وجدت المترجم قد أضاف بيتين من كتاب « الورقة » اعتبرهما من البحر السريع،وهما (٤) :

تخاله مستقبلا مقعيا ... حتى اذا استدبرته قلت اكَبّْ

وهو على ارهافه وطيّه ... يقصر عنه المحزمان واللّبَبْ

وبما انني اعرف هذين البيتين في شعر علي بن جبلة العَكّوك (٥) ، في قصيدة من بحر الرجز ، فقد ظننت في البداية أن صدر البيت الاول فيه خلل،وان النسبة لسلم غير صحيحة،او على الاقل مشكوك بها ،

حتى رجعت الى كتاب الورقة (٦) فوجدت البيتين في ترجمة المَكّوك ، حيث ذكر البيت الاول كما يلي :

تحسبه اقعد في استقباله وهو اذا استدبرته قلت اكَبْ

ثم قال : « وقد اخذ هذا المعنى من سلم الخاسر حيث يقول :

تخاله مستقبلا مقعيا حتى اذا استدبرته قلت اَكَبْ

وهو على ارهافه وطيّه يقصر عنه المحزمان واللّبَبْ »

فادركت بديهة ان هناك خطأ من الناسخ للأصل استبدل به عجز بيت سلم (الذي هو من البحر السريع) بعجز بيت علي بن جبلة، ثم اكمل بيتي علي (٧) استمرارا في الخطأ،فتوهَّمَ محقِّقا الكتاب (٨) ان البيتين لسلم،ولم يوضحا اختلاف البحر بين صدر البيت الاول وبقية الشعر ؛ ولا بد ان محقق الطبعة الاولى من كتاب الورقة (٩) ، وهي التي رجع اليها الدكتور نجم ، لم ينبّه ايضا الى هذا الاختلال،فتبعه الدكتور نجم في وهمه .

عند ذلك حاولت ان اجد تكملة بيت سلم في المراجع المتوافرة لدي فلم اوفق،ولكنني وجدتُ في كتاب الوساطة (١٠) بيتا منسوبا لبعض العرب :

تخاله مستقبلا اقعدا وهو اذا استدبرت مكبوبُ

ورغم انني لم اقع على قصيدة لسلم على هذا الوزن وبهذه القافية (١١) ، الا انني رجحت ان يكون هذا هو بيت سلم المذكور في « الورقة » ، وكلمة (اقعدا) في صدر البيت رواية اخرى للبيت .

وخلال بحثي عن بيت سلم هذا وقعت على بعض النصوص لسلم ليست موجودة في المجموعة المنشورة ، فدوَّنتُها لنفسي اولا ، ثم لما وجدتها مجموعة صالحة،عزمت على ارسالها للأستاذ الدكتور نجم ؛ واستكمالا للبحث تَتَبَّعتُ بعض النصوص التي فاتته لابي الشمقمق ومطيع ، ولكن الامر استغرق مني اكثر مما قدرت ؛ ثم حدثت عوائق منعتني

من ارسال ما جمعت اليه ، وبعدئذ رايت من الافضل نشر هذه الاستدراكات تعميما للفائدة ، ولكيلا تبقى في انتظار طبعة ثانية من الكتاب لكي تظهر للنور .

وبلغ مجموع ما تتبعته من الابيات ١٥ بيتا لمطيع و٤٦ بيتا لسلم و ٤٠ بيتا لابي الشمقمق . ولا اريد هنا ان أهوّن من الجهد الذي قام به جامعو الكتاب ، فكثير من الكتب التي رجعتُ اليها لم تكن قد طُبعت بعد ، وليس ما قمتُ به الا محاولة ارجو ان اكون وُفّقتُ بها لاكمال ما بذلوه من مجهود .

الابيات المستدركة على ما جمع لمطيع :

ا ــ تخريجها : الحيوان ٦٠٣/٥ ، الاول في البرصان والعرجان ٣١٨ **(من المنسرح)**

١ ــ قد دلّهتْني طويلة العُنُقِ وحُبُّ طول الاعناق من خُلُقي

٢ ــ اتلَفُ من بُعدها فان قَرُبَتْ فالقرب ايضا يزيدُ في قَلَقي

ب ــ تخريجها : الابانة ١٥١ **(من البسيط)**

١ ــ أبَى جزائي على مدحي له وغدا
يمّمُ هاجيَه جهلاً بناثِلِهِ

٢ ــ فلا يميِّزُ من هاجيهِ مادِحَهُ
ولا يُحقِّق فيهِ ظَنَّ آملِهِ

٣ ــ لو كان للسيف عقلٌ او محافظة
لما نَرَى جِيْدُ جاليه وصاقِلِهِ

ج ــ تخريجها : تاريخ بغداد ٣٥١/١٢ **(من الطويل)**

١ ــ وما زال بي حُبّيك حتى كانني
برجعِ جوابِ السائلي عنك اعجمُ

٢ ــ لاسلــم من قول الوشـــاة وتسلمي
ــ سلمتِ ــ وهــل حيٌّ على الناس يُسلمُ

د ــ تخريجها : الابانــة ٧٠ **(من مجزوء الكامل المرفل)**

١ ــ يا ابن الجحاجحة القُرو م السـادةِ الغُـرِّ الكـرامِ
٢ ــ والمستضـاء برايـه وبوجهــه وابـن الامـامِ
٣ ــ لا تَشْكُ عارضَ عِلَّـةٍ وَلَّى ولـم يَـكُ ذا عـرامِ
٤ ــ فالله جَلَّى مـا ترا كَمْ مِـن سحائبها العِظامِ
٥ ــ وكساك عاجلَ صِحَّةٍ وسلامـةٍ طـولُ السقـامِ
٦ ــ والبدرُ يُكسِبُه المَحـا قُ سنى الاضـاءةِ والتمامِ

هـ ــ تخريجها : درة الغوّاص ١٣٩ ، والابيات الاربعة في كنايات الجرجاني ٤٥ منسوبة ليحيى بـن زياد ، والبيتان الاخيران ــ وهما المقطوعة ٦٧ ص ٦٧ من كتـاب (شعراء عباسيون) ــ منسوبان لمطيع في الغيث المسجم ٦١/٢ **(من البسيط)**

١ ــ أمن قلوص غدت لـم يحذها اجـد
إلاّ تذكرهـــا بالرمـــل اوطانـــا
٢ ــ خان العقال لهـا فانبتَّ إذ نفـرت
وانمـا الذنـب فيهـا للـذي خانـا
اوليتنـا منك هجرانـا ومُقلِيَـةً
ولـم تزرنـا كما قـد كنـتَ تغشانـا
خُفِّض عليك فمـا في الناس ذو إبل
الا وأينقـه يَشْـرُوْنَ احيانـا

ملاحظات اخرى على ما جُمع لمطيع :

ا ـ المقطوعة ١١ ص ٣٧ من مخلع البسيط وليس من مجزوء البسيط . وكذلك المقطوعة ١٩ ص ٤١ ؛ أما المقطوعة ٥٢ ص ٦٠ فهي من مجزوء الرجز لا من السريع .

ب ـ المقطوعة ١٦ ص ٣٩ هي لعبد الله بن معاوية في مطيع ، ونسبتها لمطيع وَهْم .

ج ـ المقطوعة ١٩ ص ٤١ نُسِبت لمطيع عن الحماسة ، وهي من ضمن سبعة ابيات في الاغاني ١٤/٣٢٥ ، منسوبة لحماد عجرد في رثاء الاسود بن خلف ؛ ومما يرجِّح ما جاء في الاغاني انَّ ذكر الاسود جاء في البيت الرابع :

على صدى اسود المُوارَى في اللَّحد والترب والصفيح

مما يؤكد انها في رثاء الاسود وليس في رثاء يحيى بن زياد كما جاء في الحماسة .

د ـ القصيدة ٢٣ ص ٤٢ ليست في موت ابيه ولكن في غلام اسمه محمد بن سالم سافَرَ الى الري ..

هـ ـ المقطوعة ٤٠ ص ٥٤ (ستة ابيات) نقلها الجامع عن الاغاني لمطيع ، وهي لبشار من قصيدة (٢٦ بيتا) في ديوانه ٣/١٦٩ (لجنة التاليف) ومنها ٢٣ بيتا في الاغاني ٣/١٨٣ لبشار، وفي نور القبس ١١٨ (٢٣ بيتا) لبشار .

و ـ لا دليل على نسبة المقطوعة ٤٥ ص ٥٦ لمطيع .

ز ـ المقطوعة ٧٦ ص ٧٣ ، لم يستقم فيها وزن البيت الاول ، ولو اطلعنا على ما في الاصل لرجح عندنا ان قراءة البيت يجب أن تكون :

يا مُسمَّى باسم النبيّ الذي خصَّ به الله عبده زكريّا

ح ــ المقطوعة ٧٧ ص ٧٣ ، جميع أبياتها من الهزج ما عدا البيت الاول، فالرواية المذكورة في الكتاب من مجزوء الوافر . وتصحيح البيت (عن بدائع البدائه ص ٢١٧) :

الا يا بابي الناظر من بينهمُ نَحْوي

وهو بهذه الرواية من الهزج أيضا .

ط ــ في الهفوات النادرة (ص ٣٥٢) قصيدة في هجاء اصفهان لعتراه(؟؟) الخياط من عشرة أبيات، جاء من ضمنها الابيات ٤ ، ٥ ، ٦ من المقطوعة ٣٢ ص ٤٨ .

الابيات المستدركة على ما جُمع لسلم :

ا ــ تخريجها : كنايات الجرجاني ٧٠ **(من مجزوء الرمل)**

١ ــ خاط لي زيد قباءْ ليت عينيه سواءْ

٢ ــ قُل لمن يعرف هذا امديح أم هجاءْ

ب ــ تخريجها : الانوار ٣٠٥/١ **(من السريع)**

١ ــ وأغتدي والشمسُ محجوبة لم تَنْسَفِر عنها الجلابيبُ

٢ ــ بسابغٍ الاضلاع ذي ميعة تمَّت له ساق وعرقوبُ

٣ ــ هاديه مثل الشطر من خَلقه اذا عدا والبطنُ مقبوبُ

٤ ــ تخاله مستقبلاً مقعيًا وهو اذا استدبرتَ مكبوبُ

٥ ــ يشرف او ينحط كلَّ معًا فالخلق تصعيدٌ وتصويبُ

٦ ــ كانما الشِّعْرَى على وجهه وفي مجاري المتن تذهيبُ

٧ ــ يحمل منه بعضُه بعضَه فراكب منه ومركوبُ

٨ ــ كالريح الا انها صورة يسمو بها شدٌّ وتقريبُ

جـ ــ تخريجها : الصبح المنبي ٨٤ (من الكامل)

١ ــ وكتائب تغشى العيون اذا جرى
ماء الحديد عليهم الرجراجُ

٢ ــ وتفرقت زُرقُ الأسنّة فيهمُ
تَسقي الحنايا ما لهنَّ مزاجُ

نزلت نجوم الليل فوق رؤوسهم
ولكلّ راس كوكبٌ وَهّاجُ

البيت الاخير هو السابع من القصيدة ٧ ص ٩٥ ــ ٩٦ ، مع اختلاف بسيط في الرواية .

د ــ تخريجها : الاعجاز والايجاز ١٦٥ ــ ١٦٦ (من الكامل)

١ ــ ملكٌ كأن الشمس فوق جبينه
متهلّلُ الامساء والاصباحِ

٢ ــ واذا حللتَ ببابه ورواقه
فأنزِلْ بسعدٍ وارتحل بنجاحِ

هـ ــ تخريجها : المحاسن والمساوىء ٣٦٨/١٠ (من الكامل)

١ ــ اغنى سؤال السائلين بجوده
ملكٌ مواهبه تروح وتغتدي

٢ ــ هذا الخليفة جودُه ونوالُه
نَفدَ السؤالُ وجودُه لم ينفدِ

و ــ تخريجها : تاريخ الخلفاء ٢٦٣ (من الكامل)

١ ــ قتل الحجيج وخلّفوا ابن محمد
رهنًا بمكة في الضريح الملحدِ

٢ ــ شهد المناسكَ كلَّها وامامهم
تحت الصفائح محرما لم يشهدِ

ز ــ تخريجها : تاريخ بغداد ٣٣٦/١٤ **(من الخفيف)**

١ ــ ان للـه في البرية سيفين، يزيداً وخالدَ بن الوليدِ
٢ ــ ذاك سيفُ النبيّ في سالف الدهر وهذا سيف الامام الرشيدِ
٣ ــ ما مقامي على الثماد وقد فا م ضت بحورُ الندى بكفَّيْ يزيدِ

ح ــ تخريجها : جوهر الكنز ١٨٢ **(من المجتث)**

١ ــ اليس هذا عجيبا أموتُ طورا وأُنْشَرْ
٢ ــ قيامةٌ كلَّ يومٍ على فتى ليس يُقْبَرْ

ط ــ تخريجها : المستطرف ١٨/٢ **(من الطويل)**

١ ــ ظللنا فبتنا عند أمّ محمد
بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
٢ ــ اذا صمتت عنّا ضُجِرنا لصمتها
وان نطقت هاجت لألبابنا سُكرا

ي ــ تخريجها : التمثيل والمحاضرة ٤٨٦ ، ونسبها لبكر بن المعتمر في ص ١١ من نفس الكتاب **(من مجزوء الوافر)**

١ ــ هي الايامُ والغِيَرُ وامرُ اللـه منتظرُ
٢ ــ فلا تجزَعْ وان عَظُم البلاءُ ومسَّك الضررُ
٣ ــ أتيأس ان ترى فرجا فاين اللـه والقدَرُ ؟

ك ــ تخريجها : المنازل والديار ٣٣٤/١ ــ ٣٣٥ **(من الطويل)**

١ ــ سلام على الاطلال والمنزل القفرِ
وان كان لا يعنيه وصلي ولا هَجري

٢ ــ ولكــــنَّ آثــار الاحبــة بينهـــا
بَلِـيْنَ ومـا تَبلـى البلابـلُ في صـدري

ل ــ تخريجها : مصارع العشاق ١٢٤/١ **(من الطويل)**

١ ــ ولمـا رأى شوقي اليـه وحسرتي
عليـه واني لسـت اقوى علـى الهَجْـرِ

٢ ــ تُهَدّدنـي بالهجـر ، حتـى كأنمـا
رآنـي مـدلاًّ بالعـزاء وبالصبـرِ

م ــ تخريجها : الحلـة السيراء ٣٤١/٢ **(من البسيط)**

١ ــ اكـرِمْ بقرمٍ امـين اللـه والـده
وأمُّـه امُّ موسى بنـت منصـورِ

ن ــ تخريجها : الرسالة الموضحة ١٩٢ **(من المنسرح)**

١ ــ كأنهـا روضـة منوَّرة تنسمت في أواخـر السحرِ

لعلّـه والمقطوعة ١٦ ص ١٠٠ مـن قصيدة واحـدة .

س ــ تخريجها : المحاسن والمساوىء ٣٦٨/١ **(من الكامل)**

١ ــ ان الخلافـة لـم تكن بخلافـة
حتـى استقـرّت في بنـي العبـاسِ

٢ ــ شـدّت مناكـب ملكهـم بخليفـة
كالدهـر يخلـط لينـه بشمـاسِ

لعلهمـا والمقطوعة ٢٩ ص ١٠٦ مـن قصيدة واحـدة .

ع ــ تخريجها : الشريشي ٨٥/٣ ، نصرة الثائر على المثل السائـر ٣٨١ **(من الكامل)**

١ ــ اقبلن في راد الضحيّ بنا يُسْتُرن وجه الشمس بالشمسِ

في طبقات الشعراء ٣١ لبشار مع بيت آخـر .

ف ــ تخريجها : تاريخ بغداد ٢٣٥/١٤ **(من المتقارب)**

١ــ وليت الامير ابــا خالد يزيــدُ ، يزيدُ كمــا ينتقصْ

ص ــ تخريجها : بدائع البدائة ٣٧ ، الاغاني ١٨٣/٢٠ **(من الخفيف)**

١ ــ ... يحيى أخَــطَّ من كفّ يحيــى
ان يحيــى بـــ ... لخَطــــوطُ

ق ــ تخريجها : المحاسن والمساوىء ٣٦٧/١ **(من الطويل)**

١ ــ اليس احــقَّ الناس ان يُدرِك الغنى
مُرَجّــي امــير المؤمنــين وسائِلُــهْ

٢ ــ لقــد بسط المهديُّ عــدلا ونائــلا
كانهمــا عــدلُ النبــيّ ونائِلُــهْ

ر ــ تخريجها : تاريخ الخلفاء ٢٧٤ **(من الوافر)**

١ ــ وباكيــة علــى المهــديّ عُبْرَى
كــأنّ بهــا ، ومــا جُنَّــت ، جنونــا

٢ ــ وقــد خَمَشَت محاسنهــا وابــدت
فدائرُهــا ، واظهــرتِ القُرونــا

٣ ــ لئــن بليَ الخليفــة بعــد عــزّ
لقــد ابقــى مساعيَ مــا بلينــا

٤ ــ سلام اللّــه عــدّة كــل يــوم
علــى المهديّ حيــث ثَوى رهينــا

٥ ــ تركنــا الديــن والدنيــا جميعــا
بحيــث ثــوى امــيرُ المؤمنينــا

ملاحظات اخرى على ما جُمِع لسلـم :

ا ــ يضاف الى نسبـة البيتين السابع والثامن مـن القصيدة ٧ ص ٩٥ ــ تروى لابي الهـول الحميري في فوات الوفيـات ٥٣٢/٢ ، ولأشجع في الطبقات ٢٥٢ ، والثامن لأشجع في الاغاني ١٥٦/١٨ مع بيت آخـر ، ولأشجع في الاوراق ٩٤ قصيدة بنفس الـوزن والقافية . وينسب البيـت السابع ايضا لبشار، انتحلـه سلم في الاغـاني ٢٤٢/١٩ .

ب ــ المقطوعة ١٨ ص ١٠٠ من مخلع البسيط،وكذلك القصيدة ٢٤/٢٣ ص ١٠٤/١٠٣ .

جـ ــ البيتان ٢٣ ، ٢٤ مـن القصيدة ٢٣ ص ١٠١ (ومعهما بيت ثالث) نُسِبا في الجهشياري ٢٠٤ لعنان ، وفي الاغاني ١٦٧/١٨ لأشجع .

د ــ في عيون الاخبار ١٨٨/٣ يروي ابـن قتيبة ان معاوية كـان يتمثل بالبيتين ١ ، ٤ مـن القصيدة ٤٠ ص ١١٠ ؛ وهـذا وهـم ، والارجح ان الابيـات لسلم ، فهي كذلك ايضا في المرقصات ٤٥ .

هـ ــ المقطوعة ٤٥ ص ١١٢ هي في نجاح الحاجة وليس في نجاح الحاجب .

الابيات المستدركة على مـا جُمِع لابي الشمقمق :

ا ــ تخريجها : نـور القبس ٢٠٢ ــ ٢٠٣ **(من المتقارب)**

١ ــ رايتك في النوم اطعمتني تواصر مـن تمرك البارحَـهْ
٢ ــ فقلتُ لصبياننا ابشروا برؤيـا رايتُ لكـم صالحَهْ
٣ ــ تواصر تأتيكمُ باكـرا والا فتأتيكـمُ رائحَـهْ
٤ ــ فـأُمّ العيال وصبيانُها الى الباب اعينهم طامحَـهْ
٥ ــ فقل لي،نعم انها حلوة ودعْ عنـك:لا إنها مالحَـهْ
٦ ــ وصَدِّق بنجحك تعبيرُها فـلا بـك تعبيرُها نازحَـهْ

٧ ــ فأنت امرؤ تبتني المكرمات
سَبوقٌ الى الصفقة الرابحَهْ

٨ ــ يداك يَدٌ لسهام العدى وأخرى لأفواقها مانحَهْ

ب ــ تخريجها : مجمع الامثال ٢/٢٥٤ ، المستقصى ١/٣٢١ ، جمهرة الامثال ٢/٢٢٢ ، الدرة الفاخرة ٢/٢٧٧ **(من الطويل)**

١ ــ شفيعي الى موسى سَماحُ يمينه
وحسبُ أمرئٍ من شافع بسماحِ

٢ ــ وشِعريَ شعرٌ يشتهي الناس اكله
كما يشتهي زبد بزبٍّ رباح

ج ــ تخريجها : البرصان والعرجان ٢٣١ **(من مجزوء الرمل)**

١ ــ رجل زيد بن عمارَهْ مثل مفتاح مُنارَهْ

د ــ تخريجها : ثمار القلوب ٣٨٤ (دون عَزْو) **(من مجزوء الرمل)**

١ ــ قد وَلِيَ فارسُ والاهـ ـوازَ داودُ بن بشْرِ
وله لحيةٌ تيس وله منقار نَسرِ
وله نكهة ليثٍ خالطت نكهة صَقرِ

بزيادة البيت الاول عن المقطوعة ١٤ ص ١٣٥

هـ ــ تخريجها : بخلاء البغدادي ١٠٨،ودون عَزْو في الشريشي ٣/٤٢١ **(من السريع)**

١ ــ آويت دهليزك مذ اربعٍ ولم اكن آوي الدهاليزا

٢ ــ خبزي من السوق ومدحي لكم
تلك لعمري قسمة ضيزى

و ــ تخريجها : بخلاء البغدادي ١٠٧ **(من مجزوء الرمل)**

١ ــ انا من زوّار بيتي وانا ضيف لنفسي

٢ ــ اشتري في كل يـــوم حزمـــةَ البقـل بفلـسٍ

٣ ــ واذا ما ذقت خـــلاًّ كـــان من ايـــام عرســي

ز ــ تخريجها : نـــور القبس ١٤٤ ، ودون عَزْوٍ في كل من اخبار الظراف والمتماجنـين ٤٨ ، والتطفيل ٣ ، واخبـــار الحمقى والمغفلـين ١٩ **(من السريع)**

١ ــ يا ايها السائلُ عن منزلي نزلتُ في الخـــان على نفســي

٢ ــ آكُلُ من مالي ومن كسرتي حتى لقـــد اوجَعني ضرســي

٣ ــ يغدو عليَّ الخبزُ من خابزٍ لا يُقْبَل الرهـــنُ ولا يُنْســي

ح ــ تخريجها : بخلاء البغدادي ١٠٦ ــ البيتان ١ ، ٢ والابيات الثلاثة دون عَزْوٍ في المحاسن والمساوىء ٤٢٠/١ **(من السريع)**

١ ــ الخبز يُبطي حين يُدعَى به كأنّمـــا يُقْـــدم مـــن قـــافٍ

٢ ــ ويَمْدحُ الملـــحَ لاخوانـــه يقـــول،هـــذا ملـــحُ ســـيرافٍ

٣ ــ سِيّانِ اكلُ الخبز في داره وقلـــعُ عينيـــه بخَطّـــافٍ

ط ــ تخريجها : بخلاء البغدادي ١٧٣ **(من مجزوء الكامل المرفل)**

١ ــ يـــا كاسرا حرفَ الرغيفِ عرضـــتَ نفســـك للحتـــوفِ

٢ ــ أوَمَا علمتَ بـــأن هَـــوْ م ذَةَ غـــيرُ نَـــوّامٍ ضعيـــفِ

٣ ــ وتـــراه خـــوفَ مُطَفِّـــلٍ للبخلِ ياكـــل في الكنيـــفِ

ي ــ تخريجها : الحيوان ٣٤٣/٢ **(من السريع)**

١ ــ ضيَّع مـــا وَرَّثه راشدٌ من كيلـــه الاكداس في صِفِّـــهِ

٢ ــ مُرَبَّ كدسٍ قد علا رمســه كالديك اذ يعلـــو على رَفِّـــهِ

ك ــ تخريجها : الشريشي ٢١١/١ (من مجزوء الرمل)

انـا في حالٍ تعالَى اللـــــــه ربّي ايّ حـــالِ
ليس لي شيء،اذا قيـــــــلَ،لمن ذا قلتُ ذا لي
فاراضي اللـــه فرشي والسمـــواتُ ظِلالـــي
ولقـد افلستُ حتـــى حـــلَّ اكلـي لعيـــالي
مـــن راى شيئـــا مُحالاً فانـــا عـينُ المحـــالِ
لو بقيْ في الناس حُـرٌّ لـم اكن في مثـل حالـي

الابيات في القصيدة ٣٨ ص ١٤٦ ما عدا الثالث منها .

ل ــ تخريجها : المحاسن والمساوىء ٤٤٦/٢ (من السريع)

١ ــ ان امين الله موسى الذي لا يشتـري المدحـة بالدَّيْـنِ
٢ ــ ايا امين الله والمصطفى دُقَّ ثنايـــاي بالفـــينِ

م ــ تخريجها : الابانـة ١٦١ (من الخفيف)

١ ــ خاض بحـرَ الموتِ الزؤامِ كَنَـاسٍ
او كمستحقِـــرٍ لـــه مستهـــينِ
٢ ــ وسعى في اكتســاب شُكرٍ وحمـدٍ
وحـوى مـــا ابتغى بغـيرِ مُعـينِ

ن ــ تخريجها : الحيوان ٢٤٧/٦ (من الكامل)

١ ــ واذا تجنَّن شاعر او مُفْحَمٌ اسعطتـــه بمرارة الشيطـانِ

س ــ تخريجها : بخـلاء البغدادي ١٨٥ (من البسيط)

١ ــ مـــا إن رايـتُ خنازيرا مغرَّبَـــةً
الا ذكـرتُ بهـــا ناســا بحلـــوانِ
٢ ــ قـــوم اذا حـــلَّ ضيف بين اظهُرهم
لـــم يُنزلـــوه،ودلّـــوه علـــى الخـــانِ

ع ــ تخريجها : الصبح المنبي ٢٥٠ (من مجزوء الكامل المرفل)

١ ــ المرء ليس بمدرك ... من دهره ما يبتغيهِ

٢ ــ يُسقي العليلَ من الدوا ... ء خلافَ ما هو يشتهيهِ

ف ــ تخريجها : تاريخ بغداد ٣٣٦/١٤ (من الكامل)

رحل المطيّ اليك طُلاّب الندى ... ورحلتُ نحوك ناقتي نَعليَّهْ

اذ لم يكن لي يا يزيد مطيّة ... فجعلتُها لك في السفار مطيَّهْ

تحدو امام اليعملات وتفتلي ... في السير تترك خَلفَها المهريَّهْ

من كل طارئة الصوى مزوّرة ... قطعاً لكل تنوفةٍ دوّيَّهْ

١ ــ واذا ركبتُ بها طريقاً عامراً ... تنساب تحتي كانسياب الحيَّهْ

٢ ــ لولا الشراك لقد خشيت جماحها ... وزمامها ما إن تمس بدبَّهْ

تنتاب اكرمَ وائل في بيتها ... حسباً وقُبَّة مجدها مبنيَّهْ

اعني يزيدا سيف آل محمدٍ ... فرّاج كل شديدةٍ مخشيَّهْ

يوماه، يومٌ للمواهب والندى ... خَضِلٌ، ويومُ دمٍ وخطفٍ منيَّهْ

ولقد اتيتُك واثقا بك عالما ... انْ لستَ تَسمَعُ مَدحَةً بِنَسِيَّهْ

كامل القصيدة ٥٤ ص ١٥٢ ــ ١٥٣ باختلاف يسير في الرواية، وبزيادة بيتين بين الرابع والخامس .

ملاحظات اخرى على ما جُمع لابي الشمقمق :

ا ــ البيتان ١٠ ، ١٢ من القصيدة ٢ ص ١٣١ ينسبان ايضا الى ابي نواس في المحاسن والمساوىء ٤٢٢/١، وفي المحاسن والاضداد ٥٨. ويذكر الشريشي ٢٠٩/١ ان القصيدة تُروَى ايضا عن وهب عابد قرطبة .

ب ــ في بخلاء الخطيب البغدادي ١٠٥ يروي البيتين ١ ، ٣ من المقطوعة ١٧ ص ١٣٦ لابي الشمقمق في هجاء اوفى بن نوفل (برواية البيت الاول : ادنى بن خنزير) ثم يذكر انها تروى ايضا لحفصويه في

هجاء بن زيد بن زبر (برواية البيت الاول : حتى رأيتك يـا زيد بن خنزير) وفي المحاسن والمساوىء ١/٤١٨ يذكرهما دون عزو برواية « عوف بن خنزير » . أما رواية المحاسن والاضداد ٥٦ فهي : على ارض ابن منصور — وهما دون عزو هناك .

ج — يرجح نسبة القطعة ٤٧ ص ١٥٠ الى ابي الشمقمق كونها في هجاء جميل بن محفوظ ، وقد هجاه ابو الشمقمق بأرجان (المقطوعة ٤٠ ص ١٤٦) .

د — المقطوعة ٥٣ ص ١٥٢ تنسب في بخلاء الخطيب البغدادي ١٠٣ لابي هفّان او لابي الشمقمق .

هـ — المقطوعة ٢ — زيادات ص ١٥٤ تُرْوَى لمسلم بن الوليد في اكثر المصادر بالاضافة الى بيت ثالث (راجع ديوان مسلم ص ٢٧٠) وهي لابي الشمقمق في التبيان في علم البيان ١٨٢ .

و — المقطوعة ٥ — زيادات ص ١٥٦ تُرْوَى ايضا لعليّ بن جبلة في الابانة ٧٦، والصبح المنبي ٢٣١، وبدائع البدائه ٢٨٩ ، كما تُرْوَى لدعبل في العقد الفريد ١/٣١٤ .

---

(١) راجع كتاب (شعراء عباسيون) ص ٧ الهامش . وقد قام الدكتور احسان عباس بترجمة الدراسات المتعلقة بشعر أبي داود الايادي وعلق عليها، واضاف الى النصوص التي جمعها الاستاذ غرنباوم ثم نشرها ضمن كتاب (دراسات في الادب العربي) بدار مكتبة الحياة ــ بيروت سنة ١٩٥٩ .

(٢) نشر دار مكتبة الحياة ــ بيروت سنة ١٩٥٩ .

(٣) لعله كان من الانسب جمع شعر مطيع بن اياس مع شعر حماد عجرد ويحيى بن زياد مثلا ، وجمع شعر سلم مع شعر مروان ابن ابي حفصة والمكوك ، اما ابو الشمقمق فيبقى نسيج وحده في عصره، ولا يمكننا ان نقرنه بابي دلامة او ابي هفان مثلا..

(٤) (شعراء عباسيون) ص ١٢٠ .

(٥) ديوانه جمع الدكتور حسين عطوان طبع دار المعارف ــ القاهرة سنة ١٩٧٢ ــ ص ٣٣ .

(٦) كتاب الورقة لابن الجراح ــ طبع دار المعارف سنة ١٩٦٦ ــ ص ١١٦ ــ الطبعة الثانية.

(٧) نسبة البيتين ثابتة لعليّ بن جبلة ــ راجع الاغاني ١٩/٢٩٠ ، ديوان المعاني ١/٥١ ، ٢/١٠٨ ، الوساطة ٢٨٩ .

(٨) الدكتور عبد الوهاب عزام والاستاذ عبد الستار احمد فراج . وقد نبه المحققان الى ان البيت الثاني من قصيدة علي بن جبلة .

(٩) طبعة ليدن سنة ١٩٣٩ بتحقيق عباس اقبال .

(١٠) للجرجاني ــ ص ٢٨٩ طبعة عيسى البابي الحلبي ــ الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ ــ تحقيق محمد أبو الفضل ابرهيم وعلي محمد البجاوي .

(١١) وقعتُ حديثا على ثمانية أبيات لسلم منها البيت المذكور ، ذكرتُها في مكانها من مستدرك شعره ، مما اكد صحّة حدسي .

مراجـــع التحقيـــق

١ ــ **الابانـــة** : الابانة عـــــن سرقات المتنبي ــ للعميدي نشر دار المعارف ــ مصـــر سنة ١٩٦١ .

٢ ــ **اخبار الحمقى والمغفّلين** ــ لابن الجوزي طبع المكتـــب التجاري بـــــيروت .

٣ ــ **اخبار الظُرّاف والمتماجنين** ــ لابن الجوزي منشورات المكتبـــة الحيدريـــة ــ النجف سنة ١٩٦٧ .

٤ ــ **الاعجاز والايجاز** ــ للثعالبي ، تحقيق اسكندر آصاف .

٥ ــ **الاغاني** ــ لابي الفرج الاصفهاني ــ نشر دار الثقافة ــ بيروت .

٦ ــ **الانوار** : كتاب الانوار ومحاسن الاشعار لابـــن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي ــ القسم الاول طبع الكويت سنة ١٩٧٧ .

٧ ــ **الاوراق** : قسم اخبار الشعراء ــ للصولي تحقيق ج هيورث دن .

٨ ــ **بُخلاء البغدادي** : البخلاء ــ للخطيب البغدادي ــ الطبعة الاولى ــ بغـــداد سنة ١٩٦٤ .

٩ ــ **بدائع البدائه** ــ لعلي بن ظافر الازدي؛ تحقيق محمد ابو الفضل ابرٰهيم ــ مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠ .

١٠ ــ **البرصان والعرجان** : البرصان والعرجان والعميان والحولان ــ للجاحظ ــ مطابع الاهرام التجارية سنة ١٩٧٢ .

١١ ــ **تاريخ بغداد** ــ للخطيب البغدادي ــ مطبعة السعادة سنة ١٣٥٠هـ

١٢ ــ **تاريخ الخلفاء** ــ للسيوطي ــ تحقيق محمـــد محيي الدين عبـــد الحميد ، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني سنة ١٩٦٤ .

١٣ ــ **التبيان في علم البيان** : التبيان في علـــم البيان المطلع على اعجاز القرآن ــ لابن الزملكاني ــ مطبعة العاني،بغداد،سنة ١٩٦٤ .

١٤ ــ **التطفيل** : التطفيل وحكايات الطفيليين واخبارهم ونوادر كلامهم واشعارهم ــ للخطيب البغدادي ــ نشر المكتبة الحيدرية ــ النجـــف سنة ١٩٦٦ .

١٥ ــ **التمثيل والمحاضرة** ــ للثعالبي ــ طبعة دار احياء الكتب العربية ــ مصـــر سنة ١٩٦١ .

١٦ ــ **ثمار القلوب** : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ــ للثعالبي ــ تحقيق محمد ابو الفضل ابرٰهيم ــ مطبعة المدني،سنة ١٩٦٥ .

١٧ ــ **جمهرة الامثال** ــ للعسكري ــ مطبعة المدني،سنة ١٩٦٤ القاهرة.

١٨ ــ **الجهشياري** : الوزراء والكتاب ــ للجهشياري ــ الطبعة الاولى سنة ١٩٣٨،مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

١٩ ــ **جوهر الكنز** : تلخيص كنـــز البراعة في ادوات ذوي اليراعة ــ لنجم الدين بن الاثير ــ نشر منشاة المعـــارف الاسكندرية .

٢٠ ــ **الحلة السيراء** ــ لابن الأبار ــ تحقيق الدكتور حسين مؤنس ــ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر،سنة ١٩٦٣،القاهرة .

٢١ ــ **الحيوان** ــ للجاحظ ــ تحقيق عبد السلام هرون ــ الطبعة الثالثة.

٢٢ ــ **درة الغواص** : درة الغواص في اوهام الخواص،للحريري ــ صورة عـــن طبعة ليبزيج سنة ١٨٧١ .

٢٣ ــ **الدرة الفاخرة** : الدرة الفاخرة في الامثال السائرة ــ لحمزة بـــن الحسن الاصبهاني ــ طبعة دار المعـــارف،سنة ١٩٧١ .

٢٤ ــ **ديوان بشار** ــ طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٠، بتحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

٢٥ ــ **الرسالة الموضحة** : الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي وساقط شعره ــ للحاتمي ــ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ــ نشر دار صادر، سنة ١٩٦٥، بيروت .

٢٦ ــ **الشريشي** : شرح مقامات الحريري ــ للشريشي ــ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ــ نشر المؤسسة الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٦٩ وما بعدها .

٢٧ ــ **الصبح المنبي** : الصبح المنبي عن حقيقة المتنبي ــ للبديعي ــ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ .

٢٨ ــ **طبقات الشعراء** ــ لابن المعتز ــ تحقيق عبد الستار احمد فراج ــ طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٦ .

٢٩ ــ **العقد الفريد** ــ لابن عبد ربه ــ طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر .

٣٠ ــ **عيون الاخبار** ــ لابن قتيبة ــ طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٤ وما بعدها .

٣١ ــ **الغيث المسجم** : الغيث المسجم في شرح لامية العجم، للصلاح الصفدي ــ الطبعة الاولى ــ المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥هـ

٣٢ ــ **فوات الوفيات** ــ لمحمد بن شاكر الكتبي ــ مطبعة السعادة سنة ١٩٥١ .

٣٣ ــ **كنايات الجرجاني** : المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء ــ للجرجاني ــ مصورة عن طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦هـ .

٣٤ ــ **مجمع الامثال** ــ للميداني ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ .

٣٥ ــ **المحاسن والاضداد** ــ للجاحظ ــ تحقيق فوزي عطوي ــ الشركة اللبنانية للكتاب سنة ١٩٦٩

٣٦ ــ **المحاسن والمساوىء** ــ للبيهقي ــ تحقيق محمد ابـــو الفضل ابراهيم ــ مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٦١ .

٣٧ ــ **المرقصات** : عنوان المرقصات والمطربات ــ لابن سعيد المغربي ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ ــ دار حمـــد ومحيو ــ بيروت .

٣٨ ــ **المستطرف** : المستطرف في كل فن مستظرف ــ للأبشيهي ــ مطبعة المشهد الحسيني سنة ١٣٦٨هـ .

٣٩ ــ **المستقصى** : المستقصى في أمثال العرب ــ للزمخشري ــ طبعة دائرة المعـــارف العثمانية سنة ١٩٦٢ .

٤٠ ــ **نصرة الثائر على المثل السائر** ــ للصلاح الصفدي ــ مطبوعات مجمع اللغـــة العربية بدمشق سنة ١٩٧٢ .

٤١ ــ **نـــور القبس** : نور القبس المختصر مـــن المقتبس ــ للمرزباني ، اختصار الحافظ اليغموري ــ تحقيق رودلف رنهايم ــ المطبعـــة الكاثوليكية سنة ١٩٦٤ .

٤٢ ــ **الهفوات النادرة** : لغرس النعمة الصابي ــ مطبوعات مجمـــع اللغـــة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ .

حول تعريب العلوم
مشاكل، وحلول، وآراء

للدكتور : أحمد سعيدان

شرّفني مجمع اللغة العربية الاردني ، فأسند الي مهمّة الإشراف على ترجمة كتب متخصصة ، في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، وذلك في اطار العمل على تعريب التعليم الجامعي . وغنيّ عن البيان انني لست متخصصا في هذه العلوم كلها ، فاشرافي انما هو تنظيميّ ، ولكنّ المهمة قد اتاحت لي ان اعيش مع مختلف المشاكل التي يعيش معها ويعاني منها الزملاء الذين يقومون بالترجمة ، كلّ في حقل تخصصه . ولأني اقف من المشكلة ، في أكثر الأحيان ، كمن ينظر من بعيد فيرى ما لا يراه القريب ، او كخليّ البال الذي ينظر بعين نقية صافية ، لا يغشاها ولا يثقل جفونها ما يغشى العيون ويثقلها من حواشي المشاكل وتلافيفها ، ومن لواحقها وعقابيلها ، فقد تبدت لي حلول لبعض المشاكل القائمة ، وملاحظات حول حلول سبق ان أُقرّت او اُقترحت . وانه ليسعدني ان اعرض ها هنا حلولي وملاحظاتي ، عسى ان يجد فيها من يعنيهم الامر ما يستحق الاعتبار .

١ ــ الرموز العلمية

الرموز العلمية اشارات وحروف : اما الاشارات فهي عالمية ، لا يختص بها وطن من الاوطان ، ولا لغة من اللغات ؛ فكما اخذنا في الماضي اشارات الضرب والقسمة والمساواة ، نأخذ في الحاضر كل ما يستجدّ من إشارات ونُجري ، حيث يلزم ، التغيير الذي يقتضيه ان الاشارة

تستعمل لدينا في اثناء كلمات تكتب من اليمين الى اليسار . فالاشارات ﻫ ، ﻫ ، ﻫ تظهر في الكتابة العربية ﻫ ، ﻫ ، ﻫ على سبيل المثال .

ليس في الاشارات العلمية اذن مشكلة ؛ فماذا عن الحروف ؟ الحل الذي لقيناه مطروحا هو ان الحروف انما هي رموز ، كالاشارات ، فلا ينبغي ان تختلف من مكان الى مكان : على هذا جرى الكيميائيون العرب ، فاعطوا المركب الكيميائي رموزه اللاتينية ، واعطوا التفاعل الكيميائي صيغته المألوفة في اللغات الاوروبية . وعلى هذا جرى بعض الذين ترجموا كتب الرياضيات من قبلنا ، سواء عن الانكليزية او عن الروسية ، فجعلوا الرموز كلّها لاتينية ، حتى لقد صوروا المعادلات الرياضية تصويرا من الاصول التي عنها ترجمت .

وعلى هذا جرينا اول الامر في ما نقوم بترجمته . اما في الكيمياء فلم تجابهنا مشكلة ، فالطلاب قد أُلِفوا الرموز اللاتينية من قبل ان يأتوا الى الجامعة ، فلن تصدمهم هذه الرموز على اعقابها ؛ ثم هي رموز تخصّ عِلْمًا بذاته ، ويجري ترتيبها حسب نظام مرسوم ، حتى ليبدو رمز الماء مثلا ، او غاز النشادر او السكر : كلّ ، كأنما هو مجموعه ، هوية ما يرمز اليه ، او اسم علم لا يحتاج الى تعريف ، شأنه في ذلك شأن الآلاف من اسماء الامراض والادوية ، او الاسماء العلمية للاحياء ؛ اسماء يعرفها المتخصصون ، وقلّما تعني شيئا لسواهم .

واما في الرياضيات والفيزياء فالامر يختلف : هنا ترمز الحروف ، على الغالب ، الى اعداد او افكار مجردة . وفي هذه الحالة قلّما يتوجب استعمال حرف بالذات ، سوى ما يقتضيه حكم العادة ؛ فما نعطيه الرمز س او ص ، يمكن ان نعطيه ، اذا شئنا ، اي رمز آخر . يُستثنَى من ذلك احرف قليلة محدودة ، جرى العرف على استعمالها للدلالة على مقادير بذاتها ، مثل π ، ﻫ

ثم ان الرموز والمعادلات والصيغ الرياضية تختلف عن مثيلاتها الكيميائية في ان الحاسب يخضعها لما يشاء من ضرب وقسمة ، ورفع وتجذير ، وتفاضل وتكامل ، وبرمجة وغير ذلك من العمليات الرياضية .

فماذا يجري اذ نقرأ الكلمات من اليمين الى اليسار ، ونقرأ ما بينها من صيغ رياضية من اليسار الى اليمين ؟ ان ما جرى لي — وأقولها بصدق — شعور بالدوخة، اذ مضى نظري يمنة ويسرة ، في قفزات بهلوانية . وان ما جرى لطلابي ، وقد عُلِّمْتُه علم اليقين ، التباس عَقَّدهم حتى اجفلوا من الرياضيات ، وفقدوا الشعور بالاتجاه . جاءتني طالبة تسأل باستيحاء : هل ٤ - س هي ٤ — س أم س — ٤ ؟ ولم يُغْنِها جوابي ، فهي تقرأ كما اعلّمها ولكنها تسبق الى التفكير كما تألف .

ثم ان الصيغ الرياضية تختلف عن الصيغ الكيمائية من نواح اخرى. فاذا كانت الكيمياء للمتخصّصين فالرياضيات للملايين . انها للجميع وفي خدمة الجميع ، لا يستغني عنها أحد . فهل نقبل فعلا ان نرى المحاسب ، وعامل الكمبيوتر ، والمهندس يجرون حساباتهم بالانكليزية وهم يعايشون العربية ، وبها يتكلمون ؟ لماذا الترجمة اذن ؟ ولِمَ نشقى في تعريب العلوم اصلا ؟ ثم ان الطالب يستعمل في الرياضيات رموزا عربية منذ بدء دراسته الى ان يلتحق بالجامعة ، فلماذا لا تكون الجامعة ، ولو في المراحل الاولى ، استمرارا لما عرف وأُلِف ، كي نأخذ بيده برفق لنعرّفه على المزيد ؟ لهذه الاسباب رأينا ان نعرّب الرموز والصيغ الرياضية ، وكل ما تنطوي عليه من قواعد ومعادلات ومتباينات . وفي تنفيذ هذا توخّينا الامور التالية :

١ — هنالك ، كما سبق ، رموز أصبح لها ، كأسماء الاعلام ، دلالات خاصة مميزة . فهذه حافظنا عليها باشكالها واسمائها ، ولكن وضعناها في سياق عربي ، فكتبنا ع π ، π² ، جـ ، ج ، كما نكتب ٢س ، س٢ .

٢ — غايتنا أن يقرأ ابناؤنا وأن يكتبوا بلغتهم ؛ ولكنّا نعرف ان هذا لن يغنيهم عن الرجوع الى المراجع الاجنبية ؛ فاخذنا على عاتقنا أن نسهّل عليهم الامر . واننا نعلم ان هذا يقتضي اجراءات ليست من شأن المترجم ، ولكنّا ، في نطاق مهمتنا ، جرينا على وضع الصور الانكليزية للصيغ والقوانين المتقدمة كي تألفها عين الطالب ولا تنفر منها .

٣ ـ في اللغات الغربيـــة تُسْتَعْمَل حروف متناظرة تخدم اغراضا خاصة ، مثل e ، A ، ∝ . ولأداء هـــذه الاغراض نقترح استغلال اشكال الحـــروف العربية على النحـــو التالي :

ا ، ا ، ا

ب ، ت ، ث

ج ، حـ ، جـ ، ح ، ح ، ح ، خ ، خ ، خ

د ، د ، د ، ذ

ر ، ر ، ز

س ، سـ ، سـ ، سـ

ش ، شـ ، شـ ، شـ

ص ، صـ ، صـ

ض ، ضـ ، ضـ

ط ، ظ

ع ، عـ ، عـ ، عـ

غ ، غـ ، غـ ، غـ

ف ، ق ، قـ

ك ، ك ، ك ، ل

م ، مـ ، ن ، نـ ، ن

هـ ، ه ، و ، ى

بمثل هذه المجموعات تصبح الابجديـــة العربية اكثر سخاء مـــن الانكليزية في مـــد الحاسب بالرموز المتناظرة .

٢ ـ الارقـــام

ثمـــة مشكلة لا بـــد من عرضها بوضوح ودون تهويل أو تهوين . وثمة بصددها حقائق يحســـن استذكارها . أمـــا المشكلة فيجابهها من يتعاملون مـــع الارقام ، وهي ان أشكال بعض الارقام العربية لـــم تعـــد تصلح لمسايرة التطـــور الرياضي والتقني . واعني بذلـــك رمزي الصفر والثلاثـــة .

أمـــا الصفر فان صِغَره ، ومشابهته للنقطة، يعرّضانه لخطـــر الاخفاء والاختفاء والتزوير ، حتى لنفضّل، في احيـــان كثيرة ، كتابة كلمـــة الصفر كاملة خشية الالتباس ، ولا سيما ونحـــن نستعمل النقطة لعدة اسباب ومناسبات ، ونستعمل الصفر الموجـــه وصفر المصفوفة وغيرهما مـــن الاصفار التي ادرجت مؤخرا في مناهج التعلّـــم والتعليم .

وامـــا شكل الثلاثة ، ذو الاسنان الثلاثة (٣) ، فيسهل التباســـه بشكل الاثنين (٢) ، ولا سيما اذا انبرى احـــد الاسنان . وقد يبدو هـــذا امرا هيّنا ، ولكن مـــن نتائجه الملموسة اننـــا لا نستطيع ان نطبع بارقام عربية جداول بحجم كتب الجيب . وينسحب هـــذا على كل الكتب العربية المطبوعة التي تكثر فيهـــا الارقام ، فهي في العربية اضخم منهـــا في اللغات الاوروبية ؛ فاذا علمنا ان الرقم ٣ هو احـــد الاسباب ، حـــقّ لنا ان نتساءل : الا يمكن تعديلـــه او تغييره ؟

تلـــك هي المشكلة ؛ امـــا الحقائق التي يحسن استذكارها بهـــذا الصدد فهـــي ان مجموعَتَي الارقام : المشرقية (العربيـــة) والمغربية (الافرنجية) ، كلتاهما هندية عربيـــة : فهما هنديتان لان منشأهما فـــي الهنـــد ، وعربيتان لان العرب اكتشفوهما ، بعـــد ان كانتا مغمورتين ، ونشروهما . أمـــا المجموعة العربية فقـــد جاءت من السِّند بالذات ، وانتشرت في ما نسميه اليـــوم بالشرق الاوسط ، وهي مـــا تزال تستعمل بصورها الاصلية في الباكستان وبنغلادش وافغانستان . وامـــا المجموعة (الافرنجية) فقـــد اخذها (الافرنج) مـــن اسبانيا ، وما تزال تُستَعمَل في بـــلاد شمالي افريقيا ، وهي هنـــاك اعرق منها في العالم الاوربي .

قـد يبدو الحلّ واضحا : ناخـذ اشكال الصفر والثلاثة والخمسة المغربية ، ونستعملها بدلا مـن اشكالها المشرقية . ولا ضرر في ذلـك ولا ضرار ، فهي بضاعتنا رُدّت الينا . وقد يبدو هـذا الحل اهون امـراً من الحل الذي يدعـو الى استبدال الارقام المغربية كلها بالارقام المشرقية ، اعني التخلي عن هـذه والاستعاضة عنها بالارقام التي تُستَعمَل في الغرب، وتجري بهـا الآلات الحاسبة والآلات الكاتبة وحسابات العالم باسره .

وسواء اخذنا بهـذا الحلّ او ذاك ، فهما لا يستدعيان اهمال اي رمـز من الرموز بحيث يذهب نسيا منسيّا ، اذ يمكـن ان يستعمل حيث لا يخشى الالتبـاس .

ولكـنّ هناك امرا يخطر على بالي : اننـا نعرف كلتا المجموعتين ، قراءة وكتابة ، ونتعلّمها منـذ الصغر ، ولا نجـد صعوبة في كتابة اي منهما ، فلمـاذا لا نستعملها كما نشاء وحيـث نشاء ، وهما مِنّا والينا ؟ يمكن استعمال المجموعـة المشرقية في ترقيم الصفحات مثلا ، وفي الترقيم المتسلسل في الجـداول ، واستعمال المجموعة المغربيـة في المحاسبة والحسـاب .

٣ ـ المصطلحات بـين الترجمة والتعريب

هنـا المشكلة الكبرى والعقبة الكأداء ، فالمصطلحات العلمية كثيرة تُعَـدّ بالملايين ، وهي تتكاثر على نحـو يعجز حتى التعريب عن مجاراته ، بله سبقه ، ناهيك عـن الترجمة . ولست انوي ، وليس فـي مقدوري ، ولا احسب ان احـدا يتوقع مني ، ان اضع البلسم الشافي لهـذه المشكلة ، او ان آتي لهـا بالترياق من العـراق . اني انما ادوّن افكارا في نطاق ما نجريه لمجمـع اللغـة العربية الاردني من ترجمة ، وعلـى صعيد المراحل الاولى الجامعيـة . « بيت القصيد »،كما يقولون،هـو : انترجم ام نعـرّب ؟

اذا نحن اخترنا التعريب ، او اجزناه ، يهون الامر ، ومـا علينا عندئذ سوى ان نتّفق علـى ضوابط وانظمة لهـذا التعريب . واذا نحن اخترنا الترجمة يطول الامـر ويُستبطأ الحل .

ولكـــن للترجمة مزايا أراها في صالـــح المجتمع وفي صالح العلم ، فضلا عن انهـــا تلقى رضى وترحابا من اللغويين .

امـــا انها في صالح المجتمع فلأنها تساعد في نزول العلـــم الى الشارع، ووضعه تحت متناول يـــد المجتمع ، وعلى لسان الجميـــع ؛ أن اللفظ الاجنبي يجعل المصطلح يبـــدو غريبـــا ، وقد يجفل منـــــه الشخص العادي كما يجفل مـــن اسم المرض ، او يرتبك بـــه كما يرتبك باسم الدواء . صحيح أن العمال قـــد عرّبوا اسماء الادوات والاجهـــزة والآلات التي يستعملونها ، ولكـــن الشارع يعرّب ما يعرف ومـــا يستعمل ، ونحن المربين واجبنا ان نزيـــد من معرفته بأن نقرب لـــه ما لا يعرف ، ونُعَرِّبه .

وامـــا ان الترجمة في صالح العلـــم فمردّ ذلك الى أن في العربيـــة اكتفاء ذاتيا ، في نطـــاق ما تستوعبه من كلمـــات . فالمصطلحات الانكليزية مثلا تتركب مـــن مقاطع لاتينية او اغريقية ، إنْ يعرفهـــا القليل يجهلها الكثير ، ولـــذا تبقى بعيدة عن حياة المجتمع بعدا قـــد لا نلحظه الآن واضحا ، لان المجتمـــع الانكليزي يسوده طابع علمي نفتقده في المجتمعات العربيـــة ؛ فالمتعلمون فيه كثر ، وكـــلٌّ يستعمل مصطلحات تخصّصـــه ومصطلحات من تخصصات اخرى عرفهـــا . هذه النسبة من المتعلمـــين لـــو توافر بعضها في مجتمع عربي تُرْجَـــمَ المصطلحات العلمية ، لكـــان طابعه العلمي اقوى واوضح ؛ ذلـــك أن اللفظ العربي المترجـــم ينقل معناه ، كلّه او بعضه ، على درجـــات قد تتفاوت من الوضوح ، لمـــن يعرف ، ولمـــن لا يعرف . مصطلحاتنا العربيـــة منّـــا والينا ، ولن نحتاج الـــى رحلة بعيدة في القواميس كـــي ندرك كنهها ونحواها .

كنت أتحدث مـــع باحث ، لغتـــه الانكليزية ، في امـــر علمي ، فَجَرَت على لساني عبـــارة trigonometric function (= اقتران مثلثي) واذا بصاحبنا ينظر الـــيّ متسائلا في حيرة : function ؟ ماذا تعني ؟

واوجزت لـــه مفهوم الاقتران في الرياضيات ، فقال : يـــا الهـــي ! كـــم تعبثون ؟ ان كلمـــة function تعني الوظيفة التي حددها الخالـــق للمخلـــوق .

للقارىء عليّ حق ان اوجز لـــه معنى كلمة « اقتران ــ function في الرياضيـــات :

اذا اقترن متغيران ، كعمـــر الطفل وطوله ، او كالسعر والربـــح ، بحيث اذا حـــدد احدهما يتحدد الآخر ، نقول ان هنـــاك اقترانا . هـــذا المعنى البسيط لا يتضمن اكثر ممـــا تؤديه كلمة « اقتران » اداء طبيعيـــا لا نتكلفـــه ولا نتصيده ولا نتطاول حتى نبلغـــه . دع ما يبقى من شروط الاقتران والتعبير عنـــه رياضيا ، فتلك تفاصيل تعني الدارس وحـــده ، اما المعنى العام ، لـــب المسألة ، فقد ادّتـــه الكلمة بيُسر .

فـــاذا جئنا الى كلمة function نجـــد معناها الدارج « وظيفة او مهنـــة » ، ولكن علماء الفلسفة والديـــن جعلوا لها في عالمهم المعنى الذي عرفـــه صاحبنا وكأنه لا يعرف غـــيره ، في حين جعل لـــه الرياضيون المعنى الـــذي اربك صاحبنا حتى حُسبُنا نعبث ؛ وهـــذه المعاني كلهـــا كامنة في جذور الكلمة . ولكـــن جذورها ليست انكليزيـــة ، وقد لا يعرفها علمـــاء الفلسفة ولا علماء الرياضيات الا مـــن القاموس ، لانهـــا جذور ميتة .

ولا اظنني بحاجـــة الى ايراد مزيـــد من الامثلة ، ولكن تحضرني قصـــة طريفـــة :

كنـــت اتحدث مع رفيق طريق انكليزي ، فقلت لـــه في معرض حديث مجاملة عابر : كلامك هـــذا حـــق . واستعملت في عبارتي كلمـــة sentence . ولدهشتي ضحك الرجـــل بملء فيه ، وقال لـــي وهو يكاد يأخذني بالاحضان : كيـــف عرفت انني قاض ؟ ان كلمـــة sentence التي كانت اول ما تعلّمناه في دروس القواعـــد الانكليزية ، وقيل لنا إنها تعني « جملـــة »، انما تعني ذلك على صعيـــد القواعد المدرسية فقـــط ، ولكنها في الحياة العامـــة تعني العقوبة او القضـــــاء .

لست اجهل ولا انكر ان الالفـــاظ العربية تحمل معاني متعـــددة ومتباعدة ، كالانكليزية ، ولكنهـــا تقوم على جذور حيـــة ، عربيـــة او

معرّبة ، فهي ايسر فهمـــا ، واقرب الى الذهن والـــى اللسان . وهذا ما اعنيه اذ اقول إن في العربيـــة اكتفاء ذاتيا يجعـــل في صالح العلم أن تصير العربية لغـــة علـــم ، لان فيها القدرة على الوصول الـــى الملايين .

امـــا ان الترجمة تلقى لـــدى اللغويين رضى وترحابا لا يلقاهمـــا التعريب ، فمـــن منطلق خلاصته : اذا كان هنالك لفـــظ عربي يؤدي المعنى فلا حاجة لنـــا باللفظ الاجنبي .

ولا اعترض على هـــذا المنطلق من حيث المبـــدأ ، غير اني لا ارضى ان يُجْعَل قاعدة ندور حولهـــا بعيون معصوبة .

اجـــل ! لا حاجة لنا باللفـــظ الاجنبي اذا كان يجافي الذوق العربي ويستعصي علـــى اللسان ، او يثير ايحاءات ممقوتة ؛ امـــا الأجنبي الخفيف الظل ، الحلـــو الشمائل ، فلماذا لا نرحب بـــه ليكون لنا ثروة لغوية ؟ انـــه سيتخذ سبيله الـــى الشارع ، وسيقبله الناس مـــع الشراب السائغ اللذيـــذ .

اننـــا نترجم لنحفظ للغتنـــا اصالتها ومقوماتها ، ولكن هنالك امرا ينبغي الا يفوتنا ، هـــو ان اللغة كيان حي متطور ، وان وضـــع العراقيل دون تطورها أشـــد خطرا عليها من اللفظ الدخيل . ولتطوّر اللغـــة ، في تخيّلي ، سبـــل قليلة معروفة ، منهـــا أن تُفْتَح جميع النوافذ على لغات العالم، فتتلقّى منها مـــا تشاء ، اقتباسا ، واستعـــارة وتعريبا . ومنهـــا ان يُفسَح المجـــال لصياغة الفاظ جديدة ، او تحميـــل الالفاظ المتوافرة معاني جديدة . ويبدو لـــي ان اللغويين يباركون هـــذا التطوير باللسان وبالجنان ، ولكنهم في الواقـــع يعارضونه عنـــد التنفيذ : الا تراهم مـــا زالوا يلحّون علـــى ان النسبة لا تكون الا للمفرد، مـــع ان الناس يتحدّثون عـــن "الجماهيرية والملائكية والعقائدية والدولية"، كمـــا تحدّث القدامى عن "الشعوبية والانصارية"، حتى و"البحرانية والفاسيانية" (نسبة الـــى المثنى) . ان اللغـــة في اي عصر تساير ذوق الجماهير اكثر مما تساير قواعـــد اللغويين .

اننـــا نترجم لنحفظ للغتنـــا مقوماتها ؛ ولكنّ هنالك امرا ينبغي الا يفوتنا ، هـــو ان علينا أن نجعل لغتنا عالمية ؛ وهـــذا يقتضي ، في نطاق العلم ، ان يكون بينها وبـــين اللغات العالمية عناصر مشتركـــة ، ولقـــد احسنت المجامع العربيـــة صنعا اذ افتت بـــأن أي مصطلح علمي مشترك بين اللغات الثـــلاث : الانكليزية والفرنسية والالمانيـــة ، يعتبر عالميا ، ومن ثـــم نُعَرّبه ولا نترجمه . فليتنا نتخـــذ هذه الفتوى ركيزة في ما نعرّب ومـــا نترجـــم .

جـــاء في المصباح المنير ان « الاسم المعرّب هـــو الذي تلفظه العرب من العجم نكرة ، نحـــو ابريسم :

ثم (١) ما أمكن حمله على نظيره من الابنية العربية حملوه عليه ،
(٢) وربما لم يحملوه على نظيره ، بل تكلموا بـــه كما تلقّوه
(٣) وربما تلعّبوا بـــه فاشتقّوا منـــه .
(٤) وان تلقّوه علمـــًا فليس بمعرّب » .

وليس في هـــــذا النص من جديد ، وما جئت بـــــه الا لتوكيد اننا انما نصنع مثل مـــــا صنعوا : نتلقى اللفـــظ الاعجمي واغلبـــه ، في هذه الايام ، غربي ، ثـــم نحن قد نستبقيه كما تلقيناه ، وقـــد نخضعه للأوزان العربية فنحوّره بعض الشيء تحويرنـــا التلفزيون الى تلفـــاز ، وقد نتلعب بـــه فنشتق منه تلفـــز وتلفزة وبرامج متلفزة .

غـــير اني وأنا أتخيل امامي ذلـــك الحشد الهائل مـــن المصطلحات العلمية الاجنبية ، والجهـــود المتواضعة التي يبذلها مجمعنـــا الناشيء لتعريبها ، يلفت انتباهي في النص ان الأعلام تؤخذ كما هـــي ، لا تترجم ، حتى ولا تعـــد معرّبة . واود لـــو نضع في صف الاعلام قائمة طويلة تضم اسماء اجهـــزة القياس ، وأصناف الاحياء ، مـــــن نباتات وحيوانات ، واسماء العلوم المختلفة ، مثـــل البيولوجيا والجيولوجيـــا والاركيولوجيا ، وكـــل مصطلح اكسبه الشيوع وكثرة الاستعمال هويـــة خاصة وشخصية خاصة ترفعـــه فوق مستوى النكرة ، ولا سيمـــا المتخصصة منها التي يتعامل بهـــا المتخصصون دون سواهـــم .

صفوة القول اذن اننـــا ، سواء أترجمنا المصطلحات ، أم عرّبناها ، أم اخذناها كما نأخـــذ الاعلام ، فاننا في الحالات جميعا نخـــدم اللغـــة ونخدم المجتمع ؛ المهـــم ان نعمل بحزم وعزم ؛ وإنـــا لعاملون .

وفي غضون عملنـــا بالترجمة ، بحزم وعزم ، تجابهنا المصطلحـــات الانكليزية بما تجـــرّ خلفها وتسوق قدامها من بوادىء ولواحق ، فَنُحارُ بها اذ نترجم ونحارُ ايضـــا اذ نعرّب ؛ وكثيرا مـــا نلجأ الى النسبة، فيُمْثُل امام ناظري شبـــح اللغويين ؛ ذلك اننـــا نضطرّ احيانا الى النسبة على غـــير قياس . ثم ان يـــاء النسبة قد طغى استعمالها ؛ سواء في النسبة ذاتها ام في يـــاء الجمع ، مثل "القدرية والنباتية والحيوانية والاحيائية"، وفي المصادر الصناعيـــة ؛ في مثل "الدمقراطية والاشتراكية والانعزالية". وهنـــا يدور في خلدي خاطر :

مِـــن قديم استعمَلُ العربُ صِيَغا تعمل عمـــل النسبة ، او شبـــه عملها ، هـــي كالبوادىء او كاللواحق ، ولكـــن اللغويين لم يسلطوا عليها ما ينبغي من اضـــواء .

فمـــن اشباه البوادىء استُعملت ذو وذات وابن واخـــو وامثالها ؛ فقالـــوا :

ذو مـــال ، وذات الصدور ، واخو حزم ، وابن آوى ، وابن دنيـــا ، وابن السبيل ، وكثيرا غيرهـــا . ومن اشباه اللواحق قالـــوا : بدران ، وزيدان ، وسعيدان ، وارادوا آل بـــدر ، وآل زيد ، وآل سعيـــد . وفي بـــلاد عربية ينسبون الى نادي الهلال فيقولون هلالاب ، والـــى الارض فيقولون ارضاب . ومجموعات اخـــرى نسبت الى السعد فقالـــت سعدون والى العجـــل فقالت : عجلون ؛ ومثلها حمدون ، وزيدون .

انهـــا ملاحظات مشتتة غـــير مبلورة اضعها تحت نظر مجمـــع اللغة من ناحية ، وتحت نظـــر الزملاء الذين يقومون بالترجمـــة ، من ناحية اخرى ، حتى اذا ضاقت بهـــم السبل ، استنفروا السليقة اللغوية ، ولـــو كره اللغويون .

الدكتور احمـــد سعيدان

من تاريخ حيفا العثمانية
دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي

للدكتور محمد عدنان البخيت

في سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م عندما كان الداعية الاسماعيلي ناصر خسرو (١) (ت ح ٤٥٢هـ/١٠٦٠م) في طريقه من مرو الى القاهرة ، مركز الدعوة الفاطمية آنذاك ، مرّ بحيفا (٢) التي يصفها لنا بقوله : « ثم غادرتها (أي عكة) الى قرية تسمى حيفا في طريق به كثير من الرمل الذي يستخدمه صياغ العجم،والمسمى بالرمل المكي . وحيفا مشيّدة على البحر، وبها نخل واشجار كثيرة . وهناك عمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجودي » (٣) . وبعد ذلك بقرن من الزمان يشير الجغرافي ابو عبد الله محمد بن محمد الادريسي الحسني (٤) (ت ٥٦٠هـ/١١٦٠م) اليها بقوله : « وحيفا تحت طرف الكرمل،وهو طرف خارج في البحر وبه مرسى حسن لارساء الاساطيل وغيرها . ومدينة حيفا هي فرضة لطبرية وبينهما ثلاث مراحل خفاف » (٥). ان هذه الصورة المشرقة لحيفا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، تنعكس وتبدو مكفهرّة في المصادر العربية،وذلك بسبب الخراب الذي لحق بها بعد استرجاعها من ايدي الفرنجة : فهذا شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، لا يذكر شيئا عن صناعة السفن فيها،ولا يشير الى مرساها؛وجلّ ما يسجّله لنا عنها على انها « حصن على ساحل بحر الشام،قرب يافا، ولم يزل في ايدي المسلمين الى ان تغلّب عليه كندفري (٦) الذي ملك القدس في سنة ٤٩٤هـ / ١٠٩٩م وبقي في ايديهم الى ان فتحه صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م (٧) وخرّبه (٨) . ولم تمكث حيفا طويلا في ايدي المسلمين،اذ استرجعها الفرنجة منهم . والجدير بالذكر أن

الملك لويس التاسع، حوالي سنة ١٢٥٠ ــ ١٢٥١م، حصّن فيها القلعة التي تعرّضت للخراب ثانية على يد المماليك، وذلك في سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م . فيذكر القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) ، في اخبار سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، ما يلي : « وفي سادس وعشرين جمادى الاول (٢ آذار ١٢٦٥م) توجّه السلطان (الظاهر بيبرس) الى جهة عتليت جريدة وسيّر الامير شمس الدين اقسنقر السلاح دار الظاهري والامير عز الدين الحموي والامير شمس الدين سنقر الالفي الظاهري الى حيفا، فساروا اليها ودخلوا قلعتها، فنجا الفرنج بانفسهم الى المراكب بعد ان قتل منهم واسر ، واحضرت الاسارى والروس ، واخربوا المدينة وقلعتها واحرقوا ابوابها، وجعلوها خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس. وكان اخذها وما اعتمد فيها من قتل واسر واخراب واحراق في يوم واحد، وعاد الامراء سالمين » (٩) . ويؤكد على هذه الصورة من الخراب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) الذي ينقل عنه الكاتب الموسوعي شهاب الدين أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، وصفه لحيفا بهذه الكلمات : « وهي خراب على الساحل » (١٠) والى مثل ذلك اشار البحارة العثماني بيري محيي الدين ريس (١١) (ت ح ٩٦٢هـ / ١٥٥٤/١٥٥٥م) ، في مؤلفه : **كتاب بحرية** ، الذي قدمه سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥/١٥٢٦م الى السلطان سليمان القانوني ، حيث ذكر ان قلعتها مدمرة لكن ميناءها يصلح للرسوّ (١٢) .

كانت حيفا في العهد المملوكي جزءا من عمل اللجّون (١٣) الذي كان تابعا لصفد، والتي هي بدورها كانت تشكل القاعدة الخامسة من قواعد المملكة الشامية (١٤)، ولم تتبدل هذه التبعية في العهد العثماني . فمن المعروف ان العثمانيين بعد قضائهم سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١م ، على حركة العصيان التي قادها ضدهم الامير المملوكي جان بردى بن عبد الله الغزالي المولى على دمشق « ومعاملاتها » (١٥) ، من قبل السلطان سليم الاول ، قسموا بلاد الشام الى ثلاث ولايات : ولاية حلب ، ولاية طرابلس الشام، وولاية دمشق الشام . وقسمت

الولاية الاخيرة الى عـــدد من السناجق (الالوية) هي : دمشق ، تدمر ، عجلون ، الكرك (كانت في معظـــم الاحيان تدمج مـــع عجلون) غزة ، القدس الشريف ، نابلس ، صفـــد واللجون (١٦) . وعنـــد العودة الى دفاتر الطابو (الاراضي) العائدة الـــى سنجق اللجون نجدها تذكر حيفا كقرية في ناحية ساحـــل عتليت الغربي التابـــع للسنجق المذكور . ولعله من المفيد هنا أن نقارن المعلومات الواردة عن حيفـــا في دفترين من دفاتر الطابو : الاول منهما (١٧) يعـــود تاريخه الى سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ، اما الثاني (١٨) فيرجع تاريخـــه الى سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م .

الضرائب مقدرة بالاقجة وهي ربـــع المحصول الشتوي

رقم الدفتر وتاريخـــه	عدد السكان خانة (١٩)	حنطة غراره	شعير غراره	خراج اشجار زيتون + تين	رسم معزة	رسم نحل	بادهوا	معادية	محصول اسكلة (ميناء)
١٩٢ (اسطنبول)	٢٠ مسلمون ٢٥		١٠	٧٥	٦٣	٢٩٣	٢٠٠	٤٠٠	١٠٠٠
٩٤٥هـ / ١٥٣٨م		٣٠٠٠	٧٢٠						+ محصول اسلكة ساحل عتليت
١٨١ (انقـــرة)	٣٢ مسلمون ٤٠		٢٠	+ كروم وغيره	+ نحل		بادهوا + رسم عروس		وطيونه وطرطور
١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م		٥٦٠٠	١٦٠٠	١٠٠٠	٣٥٠		٣٥٠		٥٠٠٠ (خاص شاهي)

نلاحظ من هذين الاحصائين انه خلال العهد العثماني من القرن السادس عشر الميلادي أن عدد السكان بحيفا كان قد تضاعف . وهذه الزيادة العالية جاءت متفقة مع ظاهرة زيادة السكان التي شهدتها ولاية دمشق حتى مطلع سبعينات القرن السادس عشر ، الا أن سكان حيفا لم يتناقصوا على غرار ما لوحظ في ولاية الشام (٢٠) . ولقد واكب هذه الزيادة ارتفاع في كميات الضرائب المحصلة اذ ارتفعت من ٤٧٥١ اقجة (٢١) بموجب الدفتر الاول الى عشرة آلاف اقجة حسبما جاء في احصاءات الدفتر الثاني . بجانب ذلك نلحظ ارتفاع الاسعار ، فمثلا كانت غرارة (٢٢) الحنطة تقدر بمائة وعشرين اقجة سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م فأصبحت تقوم بمائة واربعين اقجة بعيد نهاية القرن . وعلينا أن نتذكر هنا ، أن الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي قد بدأت تعاني من أزمة تضخم مالي كبيرة ، اذ أن عملتها الفضية لم تعد قادرة على مواجهة ضغط العملات الاوروبية خاصة الفلوري الايطالي الذهبي الذي بدأ يغزو الاسواق العثمانية المفتوحة نتيجة لتدفق كميات ضخمة من الذهب والفضة من أمريكا على أوروبا . وكان اجتهاد الدولة العثمانية الذي الحق الضرر الكبير بعملتها يتلخص بانتقاص كمية الفضة في تلك العملة ، فارتفعت نتيجة لذلك اسعار السلع وبهذا ضعفت القوة الشرائية للاقجة (٢٣) .

كما نرى من قائمة الضرائب المدونة سابقا ، أن الدولة العثمانية كانت تأخذ ربع الحاصل الشتوي عينا أو قيمته نقدا (٢٤) . أما فيما يتعلق بأشجار الزيتون فلقد نص قانون لواء اللجون على ما يلي : اذا كان الزيتون روماني فنصف حاصله يعطى للسباهية ، أما اذا كان الزيتون اسلاميا فلقد كانت الدولة تجبي اقجة عثمانية واحدة عن كل شجرتين . وكانت الدولة تأخذ عن كل مائة شجرة من الكرمة خمس اقجات عثمانية . والجدير بالملاحظة أن الضريبة على الاشجار يشار اليها في هذه الدفاتر بالمصطلح الاسلامي المعروف « خراج » (٢٥) . أما الضريبة المحصلة عن الماعز فيشار اليها باسم « رسم » والقاعدة التي اتبعت في جبايتها أن تؤخذ اقجة واحدة عن كل راسين من

الماعز (٢٦) . والطريف أن العثمانيين كانوا يجبون رسوما على المناحل بمعدل اقجة واحدة عن كل منحلة (٢٧) . ويلمس الدارس لدفاتر الطابو المتعلقة ببلاد الشام أن تربية النحل كانت منتشرة في هذه البلاد .

لقد شهدت المحاكم في بلاد الشام في العهد العثماني اجراءات جديدة تتمثل في جمع رسم محدد عند النظر في الدعاوى والقضايا ، او عند عقد نكاح وكذلك عند تسجيل حجة . فكانت الرسوم التي تجمع عند عقد نكاح بكر أو مطلقة او ارملة يطلق عليها اسم « رسم عروس » (٢٨) كان جزء من هذه الرسوم يخصص للقاضي ولمن يعمل معه في المحكمة والقسم الاكبر كان يعطى لاصحاب « الخاص » أو « الزعامت » او « التيمار » حسبما يحدد ذلك دفتر الطابو لكل بلدة أو موقع . أما الضرائب الطارئة والمتفرقة وهي تشبه ما كان يشار اليه في العهد العباسي باسم « الطيارات » ، فان المصادر العثمانية عادة ما تعبر عنها بالمصطلح الفارسي « بادهوا » (٢٩) . وعند وقوع جريمة قتل او سرقة او انتحار فان الدولة كانت تأخذ من المسؤولين عن تلك الجريمة رسوما تعرف باسم « رسم جرم وجناية » . أما اذا كان المتسببون بذلك مجهولين فان أهالي الحارة كانوا يجبرون على دفع تلك الرسوم (٣٠) .

اذا ما اجلنا النظر في قائمة الضرائب المدونة سابقا نجدها تشير الى ضريبة تسميها محصول اسكلة (٣١) (ميناء) . واذا ما عدنا الى قانون نامه لواء اللجون فاننا لا نجد نصا يوضح القاعدة التي كان يتم بموجبها جمع هذه الضريبة . الا ان قانون نامه لواء الشام ، لحسن الحظ ، يحدد بالتفصيل مقدار الرسوم المحصلة سواء على المواد المصدرة او المستوردة ويشير الى ذلك بما يلي : « يطلق على ما يجبى من جمارك ورسوم وغيرها من الواردات عند ابواب الموانىء الكائنة في ولاية الشام كبيروت وصيدا وصور وعكة ويافا ، يطلق عليها اسم موجب باب الميناء . ويزودنا قانون نامه المذكور أعلاه بقائمة طويلة ومفصلة باسماء السلع والمواد المستوردة او المصدرة ومقدار الرسم المتوجب عليها مبينا القاعدة

المتبعة في تقدير قيمة البضاعة والرسم المستحق (٢٢) . وهناك ضريبة تذكر في الدفتر الاول فقط بينما لا يذكرها الدفتر الثاني ، حيث ترد باسم معادية وليس لدينا معلومات عنها ، ولربما كانت المعادية تشبه الضريبة التي كانت تجمع في لواء نابلس من المسلمين باسم « رسم رجالية » بمعدل ٤٠ اقجة على الخانة المسلمة الواحدة (٢٣) . واخيرا فان هذين الدفترين لا يشيران الى ضريبة تجمع عن اشجار النخيل في حيفا مما يدل على عدم وجودها ، هذا مع العلم ان ناصر خسرو كما راينا في رحلته يشير اليها في حيفا بقوله : « وبها نخل واشجار كثيرة » .

ان كلا الدفترين يشيران الى أن قرية حيفا كانت من ضمن اقطاع أسرة آل طراباي (٢٤) التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم الاسرة الحارثية (٢٥) . فالدفتر الاول يذكرها من ضمن الاقطاعات التي اعطتها الدولة العثمانية « لامير الدربين » طراباي بن قراجة . كما أن الدفتر الثاني يبين أن ريعها كان موزعا ما بين احمد وعلي : ولدي طراباي ووكيلهم (كتخداهم) داؤد . هذا بالاضافة الى خمس مزارع جوار حيفا بلغ مجموع ما يتوجب منها سبعة آلاف اقجة موزعة بين ثلاثتهم (٢٦) . الا انه من الملاحظ أن هذه الاسرة لم تسع الى تطوير ميناء حيفا واستغلاله تجاريا مع أوروبا التي نمت تجارتها مع سواحل بلاد الشام في مطلع القرن السابع عشر ، على غرار ما اقدم عليه معاصرهم فخر الدين المعني في تطوير وتوفير الامن في موانىء بيروت وصيدا وعكا . بل كانوا في سياستهم تلك يلتقون الى حد بعيد مع سياسة الزعيم السني يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م) في طرابلس (٢٧) في عدم اكتراثه بتشجيع التجارة مع الاوروبيين . بل اكثر من ذلك فان احد الاحكام الشريفة المرسلة من السلطان الى قاضي اللجون بتاريخ ١٧ شوال ١٠١٩هـ / ٢ كانون الثاني ١٦١١م ، يشير الى أن تجار الافرنج الذين كانوا يفدون على حيفا للتجارة كانوا يتعرضون للأذى والخطر من جانب امير اللواء وآخرين من رجاله . لذا فان هؤلاء التجار لم يعودوا يرتادون حيفا وان الحكم يطلب من القاضي أن يمنع امير اللواء ورجاله من التعرض بأي اذى لهؤلاء التجار (٢٨) .

ويمكننا القول انـــه نتيجة للصراع الذي نشب ما بين الامير فخـــر الدين المعني والامير احمـــد الحارثي (ت ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م) فان حيفـــا قد اصيبت باضرار بالغـــة . ففي سنة ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م تبين لفخر الديـــن المذكور ، زعيـــم الجناح القيسي في بـــلاد الشام ، ان احمـــد الحارثي ، زعيم الجناح اليمني آنـــذاك ، يعمل ضده فأرسل فخر الدين احـــد رجاله « نصوح بلوكباشي مسك برج حيفـــا » فما كان من علـــي الحارثي : شقيق احمـــد ، الا ان اغار على ساحل عكـــا واخـــذ طرشه وعاد الى بلاده مارا على حيفـــا فطلع اليه ولاقاه نصوح بلوكباشي بسكمانيته وبيرقه في برج حيفـــا لان الامير كان اوقفه فيـــه كما ذكرنا ، وحاربه وقصد بذلك اخـــذ الطرش منه واستخلاصه فركضوا عليـــه وعلى جماعته بالخيل وجماعة مشاة فقتـــل نصوح المذكور مع رجلين آخريـــن وانهزم الباقي الى البرج فدخـــل عليهم الوهم ونزلوا في مركب وجاؤوا الى عكـــا (٣٩) . . . وصارت عرب الامير احمـــد بن طرباي تغير على بـــلاد كفركنا وتأخـــذ طرشها وغلالها وصيرتها دكـــا واستمروا على ذلك الى ان وصل اليهـــم خبـــر كسرة عسكر الشام » (٣٩) في معركة عنجـــر (٤٠) . فبعد انتصار فخر الدين في تلك المعركة ، قـــام في شهر شعبان ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م بالتوجـــه الى شمالي فلسطـــين حيث اعادها الى سيطرته وكـــان من ضمن ذلك حيفـــا . « وابقى في برج حيفا ترتر حمزه بلوكباشي وحط عنده عازقا (٤١) يكفيه وعمل الامير فخـــر الدين في هذه المنزلة اوتراق (٤٢) ثلاثة ايام » (٤٣) وكانت قـــد جرت اتصالات للصلح ما بـــين المعنيين والحوارث « وفـــي عاشر شهر شوال (١٠٣٣هـ / ٢٧ تموز ١٦٢٤م) صار بين الامير فخـــر الدين وبين الامير احمـــد بن طرباي مكاتبات ومراجعـــة ومراســـلات وحصل الاتفاق بينهما ان الامير فخـــر الدين بن معن يرفع سكمانيتـــه من برج حيفـــا وان الامير احمـــد بن طرباي يمنع عربانه عـــن التخريب في بـــلاد صفد وتصير المصافاة بينهما على بعـــد ، ففعل كل منهما ذلـــك ، غير ان الامير احمـــد بن طرباي ارسل هدم برج حيفا المذكور بعـــد خروج السكمانية منـــه ومشت الدروب بين بـــلاد حارثة وبلاد صفد وما عاد احـــد يتعرض الى احـــد » (٤٤) فلربما بسبب هذا الخراب نرى احمـــد

الحارثي يخرج عن سياسته التقليدية القائمة على عدم الاهتمام بالميناء فنجده يسمح لاحد الرهبان الكرمليين سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م ببناء مساكن في الميناء ويعطيه بذلك دستورا يقول فيه : « ... وكذلك في الميناء يعمر ما يحتاج اليه من المساكن واعطيناه دستور في ذلك ، فبموجب ذلك لا احد يعترض لهم في ذلك بوجه من الوجوه لا من اهل البلد ولا من غيرهم من العربان والفلاحين وكل من يعترض لهم لا يلوم الا نفسه والحذر من المخالفة في ذلك ، وذلك جرى في اواخر شهر جمادى الاول سنة واحد واربعين بعد الالف » (٤٥) . وكما يبدو ان هذه التجربة لم يكتب لها النجاح اذ أن هناك بعض الاشارات تفيد انه بدا يضايق الرهبان بل زيادة على ذلك سجن احدهم ولم يطلقه الا بعد ان دفع ذاك الراهب لاحمد الحارثي فدية عن نفسه (٤٦) .

كانت الدولة العثمانية السنية تنظر بمزيد من الحذر لتحركات الاقليات من الجماعات والطوائف غير السنية في بلاد الشام خاصة في منطقة الشوف وجبل عاملة والجليل الاعلى . فلقد كان سكان هذه المناطق خاصة جنوبي لبنان وشمالي فلسطين ، خليطا من الدروز والشيعة الاثني عشرية (المتاولة) والعناصر المسيحية التي كان من ابرزها الموازنة الذين دابوا على الهجرة من الشمال الى الجنوب بتشجيع من فخر الدين المعني الثاني ، هذا اذا اخذنا ايضا بعين الاعتبار الهجرة اليهودية في القرن السادس عشر (٤٧) الى منطقتي طبرية وصفد . يضاف الى كل ما ذكر اعلاه تواجد العناصر البدوية ، ولعلنا لا نجانب الحقيقة اذا قلنا ان نسبة العناصر السنية المستقرة كانت في تلك المنطقة ضئيلة بالنسبة لمجموع السكان . فمن اجل معالجة هذا الامر نجد ان الدولة العثمانية تحاول سنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م ، بعد هروب فخر الدين المعني الى تسكانيا ، اجراء تنظيم اداري جديد في ولاية دمشق الشام . فاقتطعت ناحيتي صيدا وبيروت ولواء صفد وشكلت منها ولاية جديدة عرفت باسم ولاية صيدا ، وكانت الغاية الاولى من وراء ذلك مراقبة وضبط حركات الدروز (٤٨) . الا ان الحياة لم تكتب لهذه المحاولة اذ ان الدولة العثمانية عادت وصرفت النظر عنها واعادت الولاية الجديدة

الى ما كانت عليه في السابق من حيث تبعيتها لولاية دمشق الشام . والمحاولة الثانية التنظيمية جاءت سنة ١٦٦٠م وهدفت كالاولى الى ضبط العناصر المحلية من المعنيين والشهابيين والحمادية والشيعة وكانت كما وصفها المطران الماروني اسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤م) مشيرا الى خطورة خطوة الوزير محمد باشا كوبريلي والي دمشق الشام آنذاك : « ... وحتى يحطم ذراع أولاد العرب عمل صيدا باشاوية وكتبها على علي باشا الدفتردار » (٤٩) . وبالرغم من هذا التنظيم الاداري الجديد ظلت حيفا جزءا من لواء اللجون وتابعة لولاية دمشق الشام مع العلم أن مساحات كبيرة من الاراضي المحيطة بحيفا بما في ذلك خليجها الشمالي ، كانت قد ضمت الى اراضي الولاية الجديدة . وربما كان هذا من حسن حظ حيفا اذ أنها بسبب بعدها عن عين سلطة دمشق اصبحت مأوى للقراصنة وللتجارة المهربة حتى اصبح يطلق عليها اسم « مالطة الصغرى » . فأخذت السفن تقصدها متجاوزة عن عكا وصيدا وعلى الاغلب للتهرب من دفع الضرائب المستحقة او لشراء مواد لم تكن الدولة تسمح بالمتاجرة بها كالقمح والبارود وللتزود بالماء . وكان القنصل الهولندي في عكا طرفا في عملية التهريب تلك فكان ذلك مدعاة لاثارة حفيظة زميله القنصل الفرنسي نظرا للأضرار التي لحقت بالتجارة الفرنسية التي كانت تعتمد مينائي صيدا وعكا . ونتيجة للشكاوى الفرنسية ، أصدرت الدولة العثمانية سنة ١٧١٦م فرمانا الى خليل باشا واليها في صيدا ، تشير فيه الى حركة القرصنة وتأمره ببناء عدد من الابراج حول ميناء حيفا في محاولة منها لوضع حد لعملية التهريب تلك . واستجابة لذلك قام الوالي المذكور بزيارة استطلاعية للمنطقة وكانت توصياته تتلخص باعادة بناء القلعة ولكن وفاته المفاجئة أجلت الموضوع الى أن استؤنف النظر فيه سنة ١٧٢٢م (٥٠) . وكان قرار الدولة العثمانية يتلخص في تعمير برجين على جانبي الخليج ، بدل اعادة تعمير القلعة نظرا لما كان يتطلبه اعادة بنائها من التكاليف الباهظة . وكلفت واليها عثمان باشا ابو طوق (٥١) في صيدا بالاشراف على تنفيذ هذا القرار .

فتم انجاز تعمير البرج الاول على الجهة الشرقية في سنة ١٧٢٣م وفرغ من اقامة البرج الثاني على الجهة الغربية من الميناء في سنة ١٧٢٥م . واقام عثمان باشا ابو طوق في كل منها ستة وثمانين من جنود المدفعية (٥٢) وستة وثلاثين من الجبجية (٥٣) ولقد زار الرحالة الانجليزي Richard Pococke حيفا سنة ١٧٣٧م واشار الى أن الهدف من وراء تشييد هذين البرجين ، كان صد هجمات القرصان . ومن خلال تفاصيل رحلته يلاحظ القارىء نشاط القرصان من مالطا في منطقة شرقي البحر الابيض المتوسط (٥٤) . كل ذلك تم وحيفا ما زالت تابعة لولاية الشام ، فمن أجل تصحيح هذا الوضع ووضع الامور في اطارها الطبيعي صدرت أوامر الدولة في سنة ١٧٢٥م بضمها وضم طنطورة الى ولاية صيدا (٥٥) . ورغبة من الدولة في تعمير حيفا ، وعدت ستة من اصحاب الزعامات في سنجق اللجون وخمسة وثلاثين من اصحاب التيمارات في السنجق المذكور باعفائهم من دفع بدل رواتب الجنود الذين كان يجب عليهم توفيرهم على حسابهم الخاص مقابل حصولهم على تلك الزعامات والتيمارات ، فيما اذا انتقلوا وسكنوا في بيوت تقام لهم بالقرب من البرجين المذكورين . وزيادة في التشجيع على سكنى حيفا وعدت الدولة المسيحيين الذين ينتقلون للاقامة في حيفا باعفائهم من الجزية وكذلك من سائر التكاليف العرفية (٥٦) ، ولقد كانت الاستجابة من جانب اصحاب الزعامات والتيمارات والينكجرية كبيرة ، ويلاحظ انه بعد انتقالهم للسكنى في حيفا بدأوا بالعمل في الزراعة مما جعلهم يصطدمون مع الاهالي من سكان حيفا ومع الفلاحين هناك . ولقد عقد اجتماع في أواخر صفر ١١٣٨هـ أوائل تشرين الثاني ١٧٢٥م ، برئاسة الوالي الحاج عثمان باشا ابو طوق المذكور اعلاه للنظر في الامر وللبحث عن حل للمشكلة . وتم الاتفاق في ذلك الاجتماع على أن لا يتعرض الاهالي ولا الفلاحون اصحاب الزعامات في حراثة وفلاحة الاراضي المهجورة . وسجلت بنود هذا الاتفاق في حجة شرعية باللغتين العربية والعثمانية وحفظت نسخة منها في « الجبخانة » للعودة اليها . ونظرا لاهمية هذه الحجة فاننا نثبت نصها العربي التالي (٥٧) :

« لمـا انعقد المجلس الشرعي في القلعـة المجددة موجب الفرمان العالي الشريف غربي اسكلة حيفـا بحضرة جناب الدستور المكـرم المشير المفخم ناظم مناظم الامم الحاج عثمان (٥٨) باشا محافظ ايالة صيدا حالا زاده اللـه رفعة واجلالا وبحضرة فخـر الاشباه الحاج مصطفى (٥٩) حمود زاده ضابـط (٦٠) اسكلة حيفـا الملحقة باسكلة عكـا (٦١) وفخري المستحفظين (٦٢) طوبجي ابرهيم اغا وجبجي باشي محمد اغا وشعبان اغا وفخـر الاشباه حسين بيك اميرالاي (٦٣) سنجق اللجون حالا واميرالاي السنجق المزبور سابقا مصطفى زعيم (٦٤) الطـيرة (٦٥) وحيفـا وبحضرة الشيخ رافع (٦٦) والشيخ أحمد مرعي (٦٧) المتكلمين على اهالي حيفا وكافة الاسباهية والينكجرية الساكنين بقلعة حيفا الشرقية واحمـد مصلح وسائر الفلاحين (٦٨) والاسباهية والينكجريـة المرموقين . ان الشيخ رافـع والسيد احمد مرعي مشايخ حيفا يتعارضونهم في اراضي ناحية حيفا قائلين وزاعمين انها لهم ولا يأذنون لهم في حرثها وزرعها وطلبوا دفعهم عنهـم وعدم المنازعة لهـم . فسئل من مشايخ حيفـا المذكورين ومن فلاحيها عن ذلك فأجابوا منكريـن المنازعة والمعارضة بـل لسائر سكان القلعتين الشرقية والغربية ان يزرعـوا ويحرثوا في اي ارض ارادوا زرعها وحرثها ان كانت من ارض السعـادة (٦٩) او الحوارث (٧٠) وسائـر اراضي احمـد زيدان (٧١) واتباعه النازحين عـن قريتهم واي ارض تركها اهلها ثلاث سنوات معطلة وغامرة من غـير حرث ولا زرع لهـم ان يحرثوا ويزرعوا ويتصرفوا بهـا كما شاءوا واختاروا شرعا وفرعـا لا ينازعهم منازع ولا يعارضهم معارض ، فعندهـا كان من كلام جناب الوزيـر المشار اليه ان هـذه الاراضي حيث تركها اهلهـا ونزحوا عن بلادهم رجعت رقبتها وتصرفها لبيت مال المسلمين وصار أمرها مفوضا لوكلاء حضرة السلطان نصره العزيز الرحمـن ولضابطي المقاطعات ولمـا كان الامر كذلك ، صدر الامـر منه ان من سكن في احدى القلعتـين المزبورتين من الفلاحين والزراعين والحراثين وساير الرعايـا على موجب الفرمـان العالي الشان السلطاني وعمر بهما بيتـا من حجر ومدر وسكن واستقر بهما لاجل محافظة بـلاد المسلمين ونفوس المؤمنين ففي اي ارض حـرث

وزرع من سائر اراضي سنجق اللجون لا يدفع من محصولاتها الا العشر الشرعي للمعشر كما هو مسطر في كتب الفقه ويكونون معافون (كذا) من جميع التكاليف الشاقة وغيرها ، فعندها التمس سكان القلعتين سندا شرعيا يكون بيدهم مخلدا فقرر مشايخ حيفا ان بلدهم خمسية ومن الآن كل من طلبوا منه ما هو متوجب عليه من المال فيفر عنهم ويسكن في احدى القلعتين فيلزم منه خراب بلدتهم ، فعندها صدر الامر من جناب الوزير المشار اليه ان من فر من اهالي حيفا وسكن باحدى القلعتين فمهما كان متوجب عليه من المال يدفعه لهم ولا ينازعهم من سكان القلعتين منازع ومن تاريخ هذا الكتاب من أراد السكنى من اهالي حيفا في احدى القلعتين فلا يواويه احد من سكانهما وارتضى كل من الفريقين على ذلك واقره كل منهم وانفصل الامر عليه والتمس كل منهما كتب هذا الصك وحفظه في كل من القلعتين في الجبخانة العامرة ليكون للفريقين سندا شرعيا فكتب ما وقع وحرر بالطلب في اواخر صفر الخير لسنة ثمان وثلاثين ومائة والف »

شهود

الحاج يوسف بيك	**محمد بيك زعيم**	**ابراهيم بيك زعيم**
رجب بيك	**احمد بيك**	**عوض بيك**
احمد بيك	**قرا حسن طوبجي**	**يوسف جبجي**

وغيرهم

لقد اتسم العهد العثماني في بلاد الشام ، مقارنة بغيره من العهود الاسلامية ، بتوفير الامن والحماية لسواحل تلك البلاد ، ولقد واكب ذلك ازدهار تجاري اوروبي مع السواحل الشامية ، فكان من النتائج التي ترتبت على ذلك ان السواحل التي كانت مهجورة منذ اخراج الفرنجة منها سنة ١٢٩١م ، قد دبت فيها حركة العمران ، ونتيجة للاغراءات التجارية ونظرا للانقسام الذي أصاب الكنيسة الارثوذكسية ، اصبحت العناصر السكانية ، خاصة المسيحية منها

تهاجر بالتدريج من الداخل الى الساحل الذي اصبح يكتسب سمة مسيحية بارزة.وزيادة على ذلك فان مراكز الثقل الحضاري والتجاري والفكري والسياسي قد بدأت أيضا تتحول تدريجيا عن الداخل نحو الساحل.ومن هنا لم يكن ظهور الزيادنة واحمد باشا الجزار ثم دور مدن السواحل في القرن التاسع عشر والعشرين عفويا .

ان حركة العمران تلك التي عرضنا لها في حيفا لم تكن الوحيدة في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر بل ان هناك تجارب مشابهة ، والذي يهمنا أن ندعو اليه هنا انه من أجل فهم دقيق وموضوعي للقرن التاسع عشر ، أنه آن الاوان لدراسة القرن الثامن عشر من مختلف جوانبه لفهم حركة الاصلاح والتجديد ، قبل هبوب رياح الحضارة الاوروبية على المجتمع الشامي الاسلامي لتتركه على مفترق الطرق .

(١) أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي من مواليد سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م ، عمل ، بعد دراسته مختلف فروع المعرفة المعروفة في عصره آنذاك موظفا في مرو وتقلب في عدد من المناصب ، الا أنه تركها وغادر مرو لاداء فريضة الحج ، وربما جاء ذلك تلبية لدعوة من الخليفة الفاطمي في القاهرة . بعد اقامة له بالقاهرة ادى فريضة الحج وعاد الى بلخ وهو يحمل « لقب الحجة في الدعوة » ، طارده السلاجقة فالتجأ الى مناطق يمكان حيث انصرف للتأليف والدعوة توفي سنة ٤٥٢ / ٤٥٣هـ ١٠٦٠/١٠٦١م ، حول مؤلفاته ورحلته انظر :

E. Berthels, "Nasir-i : Khusraw" E. I. Vol. iii, PP. 869 - 70.

كذلك انظر المقدمة التي صدر بها يحيى الخشاب الترجمة العربية لسفر نامه ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٥ ــ ٣٢ .

(٢) حول حيفا انظر : "Hayfa" E. I , Vol. iii, PP. 324 - 6

انظر كذلك النصوص المجموعة عنها :

Palestine Under The Moslems, by Guy Le Strange, Khayats, Beirut, 1965, P. 446,

وفي كتاب بلدانية فلسطين العربية للاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي ، مطبعة جان دارك ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . أما عن حيفا في القرن التاسع عشر فانظر كتاب :

Laurence Oliphant, Haifa or Life in Modern Palestine, London, 1887.

اشكر الاستاذ عبد العزيز الدوري والدكتور عوض خليفات اللذين زودائي بنسخة مصورة من هذا الكتاب ، كذلك انظر مقالة :

Archdeacon Dawling, "The Town of Haifa", Palestine Exploration Fund, Vol. (1914) PP. 184 - 91.

أما عن حيفا في مطلع القرن العشرين فراجع محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الحلبي ، ولاية بيروت ــ القسم الجنوبي ، مطبعة الاقبال ، بيروت ، ١٣٣٥هـ ، ص ٢٢٦ ــ ٢٧٠ .

(٣) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٥٣ ، أما الجودي فهي مفردة قرآنية ترد في سورة هود في معرض قصة سفينة نوح عليه السلام حيث يقول سبحانه وتعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » آية رقم ٤٤ . وفسرت الجودي هنا بانها مكان حيث يذكر ياقوت ذلك بقوله « الجودي ... هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح عم لما نضب الماء » ومثل ذلك يذكره ابن منظور الا أنه يضيف اليها معنى آخر نقلا عن الجواليقي فيقول : « والجودياء بالنبطية او الفارسية الكساء » وذكرت الكلمة في بيت من الشعر بمعنى « جبة السمور » حتى هنا نرى ان هذه اللفظة لا تستخدم بمعنى السفينة والجدير بالذكر أن شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر

البناء البشاري المقدسي (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) عند تعداده لبعض أنواع السفن لا يذكر الجودي ، زيادة على ذلك لا يأتي على ذكر حيفا عند تناوله اقليم الشام . كما أن حبيب الزيات في مقالته « معجم المراكب والسفن في الاسلام » لا يذكرها ، وعند العودة الى كتاب جورج فضلو حوراني فانه لا يذكر الجودي ، راجع موهوب ابن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) **المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم** ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، طبعة الاونست ، طهران ، ١٩٦٦م ، ص ١١١ ، انظر **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** ، تحقيق دوغويه ليدن ١٩٠٦م ، ص ٨١ ، ص ١٥١ — ١٩٢ ، **معجم البلدان** ، ٦ م تحقيق فردناند وستنفيلد ، طبعة مصورة ، طهران ، ١٩٦٥م ، م ٢ ، ص ١٤٤ ، **لسان العرب** ، ١٤ م ، دار صادر بيروت ، ١٩٥٥ — ١٩٥٦م ، م ٣ ، ص ١٣٨ — ١٣٩ ، حبيب الزيات ، «معجم المراكب والسفن في الاسلام» ، **المشرق** ، م ٤٣ ، (١٩٤٩م) ص ٣٢١ — ٣٦٤ .

George Fadlo Hourani, Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, Khayats, Beirut, 1993.

(٤) حول حياة الادريسي انظر :

G. Oman, "al-Idrisi" II[3] Vol. iii, PP. 1032 - 5.

(٥) الادريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، المجلد الرابع ، روما ، ١٩٧٤م ، ص ٣٦٥ .

(٦) كندري المقصود به هو Godfrey de Bouillon (١٠٦٠ — ١١٠٠م) دوق لورين الدنيا ، كان قد استجاب مع اخوته لنداء البابا اوربان الثاني في ارسال حملات صليبية لاستخلاص قبر السيد المسيح من أيدي المسلمين ، وشارك في حصار القدس والدخول اليها في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩م ، حيث وقع عليه الاختيار ليكون اول ملك فرنجي للقدس ولكنه رفض لقب ملك واكتفى بلقب :

Advocatus Sancti Sepulchri

ولقد كانت وفاته يوم الاربعاء في ١٨ تموز سنة ١١٠٠م وخلفه على ملك القدس اخوه بلدوين الاول انظر حول هذه الاحداث :

S. Runciman, A History of the Crusades, Vol. I, Cambridge U. P, PP. 112, 145 - 7, 280 - 6, 291 - 318

(٧) ذكر ياقوت خطأ ان تاريخ استرجاع حيفا كان سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م والواقع كان ذلك بعد عشر سنوات من التاريخ الذي ذكره . حول ذلك انظر العماد الاصفهاني ، محمد بن صفي الدين (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) ، **الفتح القسي في الفتح القدسي** ، تحقيق وشرح محمد محمود صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٩٤ ، حيث يذكر أن حيفا استسلمت الى بدر الدين دلدرم وغرس الدين قليج بعد فتحهم قيسارية .

(٨) ياقوت ، **معجم البلدان** ، م ٢ ، ص ٣٨١ .

(٩) حول هـذا الدمار الذي لحق بحيفا في عهد السلطان الظاهر بيبرس ، انظر محيي الدين بن عبد الظاهر **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦م ، ص ٢٢٤ ، وكذلك راجع بيبرس الدواداري المنصوري (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** ، المتحف البريطاني ، رقم Add. 23325 ورقة ٧٠ ب ، راجع أيضا تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، م ١ / ق ٢ تحقيق محمد مصطفى زياده ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨ ، والملاحظ ان الشيخ قطب الدين يونس بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) لا يذكر خبر مهاجمة حيفا في أخبار سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، انظر **ذيل مرآة الزمان** ، ٢ م ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، م ٢ ، ص ٣١٨ . أما أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) فيشير الى أن الظاهر بيبرس فتح قيسارية « وتسلم قلعتها في يوم الخميس الآخر خامس عشرة فهدمها وانتقل الى غيرها » **البداية والنهاية** ، ١٤ م ، بيروت ، ١٩٦٦م ، م ١٣ ، ص ٢٤٤ .

(١٠) القلقشندي ، **صبح الاعشى في صناعة الانشاء** ١٤ م ، المطبعة الاميرية ، دار الكتب المصرية ١٩١٣ ــ ١٩١٩م ، م ٤ ، ص ١٥٥ .

(١١) حول حياة هـذا البحار انظر :

Franz Babinger, "Piri Muhyi al-Din Reis" E. I, Vol. iii, PP. 1070-71.

(١٢) انظر هـذا الوصف في النص الذي ترجمه ونشره :

U. Heyd, "A Turkish Description
of the Coast of Palestine in the Early Sixteenth Century", Israel Exploration Journal, Vol. Vi, (1956), PP. 201-216.

(١٣) حول اللجون انظر صدر الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني الدمشقي (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٦م) حيث يذكره على انه ولاية من العمل السابع في صفد وان اهله من مشير يمن

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS, Vol. XV/3, (1953), P. 483.

انظر أيضا ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٣٥١ .

(١٤) حول صفد المملوكية انظر العثماني المذكور أعلاه ، والقلقشندي ، **صبح الاعشى** ، م ٤ ، ص ١٤٩ .

(١٥) حول هذه الحركة انظر شمس الدين بن طولون (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان** ، ٢ م ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ــ ١٩٦٤م ، م ٢ ص ١٢٣ ــ ١٢٤ ، كذلك لنفس المؤلف ، **اعلام الورى بمن ولي نائبا من الاتراك بدمشق الشام الكبرى** ، تحقيق محمد احمد دهمان ، دمشق ، ١٩٦٤م ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٧ .

(١٦) حول هـذه التقسيمات انظر :

U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine

1552 - 1615, (O. U. P.) 1960, P. 35.

(١٧) هـذا الدفتر محفوظ بمديرية المحفوظات التابعة لرئاسة الوزراء باسطنبول ، تحت رقم ١٩٢ . والجدير بالذكر أنه يوجد بنفس المديرية دفتر طابو اخر تحت رقم ١٠٣٨ ، غير مؤرخ يزودنا بالمعلومات التالية عن حيفا : « قرية حيفا تابع مرج بني عامر ، خانة ١٦ ، حاصل قسم من الربع »

حنطة / غراره	شعير / غراره	خراج زيتون	خراج تين	رسم معزة	رسم نحل
١٥	٨				
١٩٥٠	٥٦٠	١١٦٥	٥٠	١٣٥	٢٥٠

يكون ٤١١٠ ، ص ٢٢١ » ويبدو أن هـذا الدفتر أقدم بعض الشيء من دفتر رقم ١٩٢ م .

(١٨) مديرية الاراضي والطابو بانقرة ، رقم ١٨١ . لقد استخدم كل من W. D. Hutteroth and K. Abdul Fattah

هذا الدفتر في دراستهما المعنونة باسم :

Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th, Erlangen 1977.

من دفاتر الطابو انظر أيضا :

O. L. Barkan, "Daftar-i Khakani : E. I.[2] Vol, ii PP. 81 - 3.

وأما عن الدفاتر المتعلقة بالبلاد العربية انظر :

B. Lewis, the Archives as a Source for the History of the Arab Lands" JRAS, London, PP. 139 - 55.

Ibidum," Studies in the Ottoman Archives I. BSOAS, Vol. XVI / 3, London (1953) PP. 469 - 501.

هـذا بالاضافة الى الدليل الواسع الذي أعده :

Midhat Sertoglu, Muhteva Bakimindam Basvekalet Arsivi, Ankara, 1955.

أما بشأن مديرية محفوظات اسطنبول التابعة لرئاسة الوزراء ، انظر :

B. Lewis, "Basvekalet Arsivi" E. I.[2] Vol. i, PP. 1089 - 91.

(١٩) الخانة : وحدة تعداد السكان في الدولة العثمانية ، والمقصود بذلك الاسرة ويقدر الدارسون لهذا الموضوع عدد أفرادها ما بين ٥ — ٧ أشخاص . أما الذين لم يكن لهم اسر فكانوا يدونون تحت عنوان مجردين أي غير متزوجين .

(٢٠) حول سكان لواء دمشق الشام في القرن السادس عشر ، أنظر :

M. A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century Ph. D. London, 1972, PP. 44 - 94.

(٢١) الاقجة : الاسم الذي كان يطلق على وحدة النقد العثماني المضروبة من الفضة وتشير اليها المصادر الاوروبية عادة باسم أسبر المحرف عن اليونانية . حول تاريخ هذه الوحدة النقدية ، أنظر :

H. Bowen, "Akce" E. I. , Vol. I., PP. 317 - 8.

(٢٢) كانت غرارة دمشق تزيد بقليل من ٢٥٠ لتر ، حول ذلك أنظر :

B. Lewis, "Jaffa in the 16th Century According to the Ottoman Tahrir Registers" in Arabic and Islamic Studies in Honour of Hamilton A. R. Gibb, Leiden, P. 437, Footnotes.

(٢٣) حول اسباب هذه المشكلة من التضخم وارتفاع الاسعار ، أنظر :

B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey, (O. U. P.) 1965, PP. 29 - 32.

وانظر أيضا :

Halil Sahillioglu, "Sivis Year Crises" in Studies in the Economic History of the Middle East, Edited by M. A. Cook, O. U., P. 1970, PP. 240 - 1

(٢٤) انظر : O. L. Barkan, Kanunlar, Istanbul, 1945, P. 220.

(٢٥) دفتري طابو ، ١٨١ (أنقرة) ، ص ٢ .

(٢٦) المصدر والمكان ذاتهما .

(٢٧) ينص قانون نامة لواء الشام على ما يلي :

"ve iki Kavana Bir Para resimolina" Barkan, Kanunlar, P. 220.

(٢٨) حول هذه الضريبة أنظر :

B. Lewis, "Arus Resmi" E. I.^{2} , Vol. I. P. 679.

وكانت القاعدة في دمشق الشام أنه عند عقد نكاح بنت بكر أن تأخذ الدولة مائة وخمسة وعشرين درهما ، عشرون منها تعطى للقاضي العثماني الحنفي ، ودرهم واحد للمأذون الذي أجرى العقد ، وأربعة للشهود ، أما المائة الباقية فكانت اما أن تحول للخاص السلطاني ، أو لخاص أمير اللواء أو لاحد أصحاب التيمارات حسبما يحدد ذلك دفتر الطابو . أما في حالة الارملة أو المطلقة فكان الرسم دون ذلك ويبلغ خمسة وسبعين درهما ، خمسة وعشرون منها توزع بالطريقة المشروحة أعلاه والباقي تحول اما للخاص أو لصاحب الزعامة أو للمستفيد من التيمار ، أنظر :

Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, PP. 139 - 40.

(٢٩) بادهوا (ريح الهواء) مصطلح فارسي مركب من كلمتين — باد — ريح وهواء العربية وهي الضرائب المتفرقة حول هذه الضريبة راجع :

B. Lewis, "Bad - i Hawa" E. I. , Vol. i, P. 850.

(٣٠) حول هذه الضريبة أنظر : Bakhit, The Ottoman Province, P. 140.

حول الغرامات والعقوبات التي تلحق المرتكب « للجرم والجنايت » في قانون العقوبات العثماني ، أنظر :

U. Heyd, Studies in Old Ottoman Criminal Law, Edited by V. L. Menage, (O. U. P.) 1973, P. 276.

(٣١) كلمة اسكلة مفردة من اصل يوناني تفيد معنى التحميل والتنزيل ، دخلت الى اللغة الايطالية وعن طريق هذه اللغة وبسبب النشاط التجاري للمدن الايطالية تسربت هذه الكلمة للغة العربية على شكل « سقالة » والى اللغة التركية باسم اسكلة ـ اي الميناء . حول تاريخ هذا المصطلح البحري انظر :

H. Kahane and A Tietze, The Lingua Franca in the Levant, Turkish Nautical Terms of Italian and Greek Origin, Urbana, 1953, PP. 568 - 72.

انظر ايضا :

R. Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2 Vols, Brill, Leiden, 1881, Vol. i. P. 23

(٣٢) J. Redhouse, Turkse - Ingilizce Sozlugu, Istanbul, 1966, P. 550.

Barkan, Kanunlar, PP. 224 - 6.

(٣٣) طابو دفتري ١٠٣٨ (اسطنبول) ، ص ٢٣٥ .

(٣٤) طابو دفتري ١٩٢ ، ص ٤ .

(٣٥) حول هذه الاسرة انظر دراستي : الاسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ـ ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م . المقدمة الى ندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس ، ايار ١٩٧٧ ، وكذلك مقالة :

M. Sharon, "The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries" in Studies on Palestine During the Ottoman Period, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

(٣٦) طابو دفتري ١٨١ (انقرة) ، ص ١٩ .

(٣٧) حول حياة ودور هذا الزعيم في مجريات الاحداث المحلية انظر محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٤ م ، تصوير مكتبة خياط ، بيروت ، لا ، ت ، م ٤ ، ص ٥٠٣ وكذلك دراسة :

K. Salibi, "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640" Arabica, Vol. XX, (1973), PP. 25- 52.

كذلك مقالتي « احداث بلاد طرابلس الشام ١٠١٥ / ١٠١٦هـ ، ١٦٠٥ / ١٦٠٦م ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، العدد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ١٧١ ـ ٢٠٦ والمصادر المذكورة في هذا المقال .

(٣٨) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, P. 129.

(٣٩) الشيخ احمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م) ، تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني ، تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٩ .

(٤٠) المصدر ذاته ، ص ١٤٢ .

(٤١) المازق ، محرفة من ازيق التركية وهي المؤونة ، انظر رد هاوس ، ص ٨٢ ـ ٨٣ (طبعة ١٩٢١) .

(٤٢) أوتراق : الاقامة ، أنظر رد هاوس ، ص ٩٠٤ (طبعة ١٩٦٨) .

(٤٣) الخالدي الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

(٤٤) الخالدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ، يذكر طنوس الشدياق (ت ١٨٥٩م) دون أن يذكر مصدره ان هدم البرج كان جزءا من بنود الاتفاق ، **أخبار الاعيان في جبل لبنان** ، ٢ م ، تحقيق نؤاد أفرام البستاني ، بيروت ، ١٩٧٠م ، م ١ ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، يشير جميل البحري الى برج العجوز أو برج الزورة على أنه « صخرة منتصبة على شاطىء البحر قيل أنها من بقايا برج حصين للمدينة القديمة ، فلربما كانت هذه الصخرة من بقايا البرج الذي هدمه أحمد الحارثي . هذا مع العلم أن ظاهر العمر الزيداني سنة ١٧٥٠م هدم حيفا وبنى مدينة جديدة بالقرب منها أسماها العمارة الجديدة وانه بسبب ذلك وعلى الارجح ، لم يعن بالبرج القديم أنظر ، جميل البحري ، **تاريخ حيفا** ، المطبعة الوطنية ، ١٩٢٢ ، ص ٥ ، كذلك راجع :

L. A. Mayer and J. Pinkerfeld, Some Principal Muslim Religious Buildings, Jerusalem, 1950, PP. 39 - 40.

(٤٥) أنظر نص هذا الدستور في كتاب جميل البحري ، **تاريخ حيفا** ، ص ٥٠ ، ويذكر البحري أنه نقله عن مخطوط موجود في مكتبة دير الكرمل .

(٤٦) أنظر محمود العابدي ، **صفد في التاريخ** ، عمان ، ١٩٧٧ ، ص ٧٠ .

(٤٧) انظر حول ذلك : B. Lewis, "The Jews in Palestine in the 16th Century" in Notes and Documents From the Turkish Archives, Jerusalem, 1952, PP. 5 - 47, See also U. Heyd "Turkish Documents Concerning the Jews of Safed in the Sixteenth Century" in Studies on Palestine During the Ottoman Period, PP. 111 - 18.

(48) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, PP. 47 - 8.

(٤٩) الدويهي ، اسطفان (ت ١٧٠٤م) ، تاريخ الازمنة ، تحقيق الاب فردينان توبل اليسوعي ، بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٣٥٧ — ٣٥٩ ، حول منزلة اسطفان الدويهي التاريخية أنظر :

Kamal Salibi, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, PP. 89 - 160.

الشدياق ، **أخبار الاعيان** ، م ١ ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧ ، راجع ايضا :

A. Rafeq, The Province of Damascus 1723 - 1783, Khayats, Beirut, 1966, PP. 3 - 4, 32.

(٥٠) انظر : Amnon Cohen, Palestine in the 18th Century, Patterns of Government and Administration, Jerusalem, 1973, PP. 137 - 140.

وحول تواجد القناصل في الدولـــة الاسلامية انظر :
B. Spuler "Consul" E. I. Vol. ii, pp. 60 - 61.

والجدير بالذكر أن السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) ، يعرف القنصل بقوله : « تلت ويعبر بـــه عن الوكيل للكفار في بـــلاد الاسلام » ، **تـــاج العروس** ، م ٨ ، ص ٨٩ .

٥١) القبودان عثمان باشا أبـــو طوق (ت ١٧ ربيع الثاني ١١٣٩هـ / ٢٦ كانون الاول ١٧٢٦م) ، كـــان زوجا لشقيقة السلطان ، تولـــى حكومة دمشق الشام أكثر من مرة ، وكذلك البصرة وصيـــدا ، وأثناء توليه دمشق كـــان أمير قافلة الحـــاج الشريف أكثر من مسرة ومن هنا اكتسب لقب حاج . ولي أحـــد أبنائه الذي كان زوجا لابنة السلطان صيدا وآخر ولـــي القدس . اتسم عهده بدمشق بظهور فئـــة أطلق عليها اسم العوانية ، الحقت الضرر بالناس وابتزت أموالهم مما دفـــع العامة بقيادة المفتي محمـــد خليل البكري الصديقي (ت ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م) الى أن يهاجموا العوانية « فمنهم من قتل ومنهم من صلب وأخبروا الدولة العلية بما وقـــع وصدر » ، حول أوضاع بـــلاد الشام في عهده انظر ، محمد بـــن جمعه المقار (ت ح ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) ، **كتـــاب الباشات والقضاة** نشره صلاح الدين المنجد مع نصوص أخرى **باسم ولاة دمشق في العهـــد العثماني** ، دمشـــــق ، ١٩٤٩م ، ص ٥٧ ــ ٦٠ ، الشـدياق ، **أخبـــار الاعيان** ، م ١ ، ص ٥٧ ، م ٢ ، ص ٣١٦ ، حيدر احمـــد الشهابي (ت ١٨٣٥م) **الغرر الحسان في اخبـــار ابناء الزمان** ، تحقيق اســـد رستم وفؤاد أفرام البستاني ، م ٢ ، ص ١٧ ، عبـــد الكريم رافق ، **بـــلاد الشام ومصر** ، دمشـــق ، ١٩٦٨م ، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ ، ولنفس المؤلـــف :
The Province of Damascus PP. 77 - 85, 112 - 13.

يذكر عبد الامير محمـــد أمين شخصا باسم الوزيـــر عثمان باشا متسلما للبصرة **ما بين ١٧١٢ ــ ١٧١٤م** ، **القوى البحريـــة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر** ، بغداد ، ١٩٦٦م ، ملحق رقم ٣ ، ص ٩٣ ، حول حيـــاة الشيخ البكري ، راجع محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م) **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** ، م ٢ ، ص ٨٣ ــ ٩٧ .

(٥٢) تذكر المصادر العثمانية جنـــود المدفعية باسم طوبجو ، حول هـــذا المصطلح انظر :
H. A. R. Gibb and H. Bowen, Islamic Society and the West, (O. U. P) 1963, Vol. i, Part i, PP. 66.7.

(٥٣) الجبجية : الجنود الذيـــن يلبسون الدروع ، انظر **المرجع السابق** ، الصفحة ذاتها .

(٥٤) يصف ذلك بقولـــه : "There are also ruins of a large building that seems to have been the castle ; and they have built two forts, as a defence against the corsairs", A Description of the East and some other Countries, Vol. ii, Part i. Observation on Palestine or the Holy Land, Syria, Mesopota-

mia, Cyprus and Candia, London, W. Bowyer, 1745, PP. 51, 56.

ولزيـــد من التفاصيل حول هذه الرحلـــة انظـــر :

Mohammad Ali Hachicho, English Travel Books About the Arab Near East in the Eighteenth Century, Leiden, E. J. Brill, 1965, PP. 35 - 8.

(٥٥) امين كوهين ، **المرجع ذاتـــه** ، ص ١٤٠ .

(٥٦) **المرجع ذاتـــه** ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ .

(٥٧) الحجة التي تثبت النص العربي منها هنـــا وجدتها ملصقة في داخل دفتـــر الطابو رقـــم ١٨١ الموجود في مديرية الاراضي بأنقرة ، وتاريخها « أواخر صفر الخير لسنة ثمـــان وثلاثين ومائـــة وألف » بينما يشير امين كوهين الى وثيقة مشابهة لهـــا ضمن مجموعة المالية المدورة باسطنبول ولكن تاريخها ١٣ ربيـــع الثاني ١١٣٨هـ / ١٩ كانون الاول ١٧٢٥م . انظـــر كوهين ، **المرجع ذاتـــه** ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ ، وهامش رقـــم ٩٦ .

(٥٨) انظر هامش رقم ٥١ اعـــلاه .

(٥٩) لـــم اعثر على ترجمة للحاج مصطفى حمـــود زاده الا انـــه كما يبدو ان عائلـــة حمود الصيداوية خـــلال مطلع القرن الثامن عشر قـــد كانت تلتزم جباية الضرائب المتوجبة على عكـــا وصور وصيدا وبيروت وبهـــذا الخصوص يذكر عبـــود الصباغ مـــا يلي : « بما ان عكـــا لم كانت في ذلك الوقت في يـــد ضاهر بك كان ملتزمها علي اغـــا حمود الذي كان مقيم في صيـــدا ويلتزم من كل وزير يحضر عكـــا وبيروت وصور اقلام صيدا ويرسل الـــى الاماكن المذكورة متسلما من طرفـــه » **الروض الزاهر في اخبـــار ضاهر** ، المكتبة الوطنية ، بـــاريس ، Arabe 4610 ورقـــة ٩ ا .

(٦٠) ان طبيعة عمـــل الضابط من خلال هـــذا النص ونصوص اخرى تبدو لنا انهـــا تعني الالتزام بالضرائب ولكـــن على نطاق ضيق ومحدود . وعلى الارجح انـــه ليس ذا بعـــد عسكري . وكان هـــذا اللقب يطلق على الملتزمين بغض النظـــر عن دينهم ، فمثلا يذكر حيدر احمـــد الشهابي أن فارس الدهان (مسيحي) كـــان ضابط الكمرك لدى الجزار ، على أيـــة حال فان الضابطية كمؤسسة بحاجة لدراسة اوفى ، انظر **تاريخ احمـــد باشا الجزار** ، نشره الاب انطونيوس شبلي والاب اقناطيوس عبده خليفة ، مكتبـــة انطوان ، بيروت ، ١٩٥٥م ، ص ١٠٣ ، انظر ايضـــا :

B. Lewis, "Dabit". E. I.[3] , Vol. ii, P. 74.

(٦١) حول تطوير عكـــا في القرن الثامن عشر انظر ، امين كوهين ، **المرجـــع السابق** ، ص ١٢٨ ــ ١٣٧ ، راجع ايضـــا النصوص التي جمعها عنها الاب مرمرجي الدومينكي، **بلدانيـــة فلسطين** ، ص ١٦١ ــ ١٦٦ كذلك انظـــر :

F. Bühl, "Akka" E. I.[2] , Vol. i, P. 341.

(٦٢) المستحفظان : هم الجنود الذين كانوا يوضعون لحماية القلاع .

(٦٣) الآي كلمة تركية تعني مجموعة من العسكر ، أنظر : جب ، وبون ، المرجع ذاته ، م ١ ، ج ١ ، ص ١ ، ٥١ ، ١٤٥ .

(٦٤) زعيم رتبة في نظام التيمار العثماني ، كان صاحبها يمنح اقطاعا من صنف الخاص ، انظر المرجع السابق ، ص ٤٦ ــ ٥٦ .

(٦٥) في القرن السادس عشر كان هناك ثلاث قرى باسم الطيرة ، منها أولا قرية طيرة اللوز تابع ساحل عتليت الغربي التي كان عدد سكانها سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ، ٦٩ خانة ومجردين ، وقيمة حاصلاتها المستحقة ٢٠٣١٠ اقجة (ص ٥ ــ ٦) ، أما في سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م ، فان عدد سكانها يتناقص الى ٥٢ خانة ، وكانت قيمة وريع حاصلاتها ٢٢٠٠٠ اقجة أما رسم الماعز والنحل المحصل منها فكان ٢٠٠ اقجة ومثل ذلك « البادهوا ورسم عروس » . خمسة عشر الف اقجة من هذه العائدات كانت مخصصة كجزء من زعامات أحمد وعلي ولدي طراباي وكتخداهم (وكيلهم داود) . (ص ١٨ ــ ١٩) ، أما الطيرة الثانية ، فكانت تعرف باسم الطيرة الشمالية عدد سكانها بموجب الدفتر الاول ثلاث خانات وقيمة ريع حاصلاتها ١٩٤٢ اقجة . والطيرة الثالثة تذكر باسم الطيرة القبلية عدد سكانها ٥ خانات وقيمة ريع حاصلاتها ١٩٧٠ اقجة (ص ٢٩ ــ ٣٠) ، وبموجب الدفتر الثاني تذكر الطيرة الشمالية والقبلية كمزارع من زعامات أحمد وعلي ولدي طراباي وقيمة ريع حاصلاتها في السنة ١٢٠٠٠ اقجة (ص ١٧) . من هذا يظهر أن المقصود بقرية الطيرة هي المشار اليها باسم طيرة اللوز لان الاخيرتين تحولتا الى مزارع . ويشير U. Heyd الى أن الامير عساف ال طراباي في سنة ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م ، كان قد بنى مسجدا في قرية الطيرة ، راجع :

U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, P. 110. n. 4

(٦٦) ان كلمة شيخ الشائعة والمتداولة منذ زمن بعيد في التاريخ العربي الاسلامي ذات مدلولات مختلفة ، فعند النسابين تفيد معنى المتنفذ في العشيرة ، وبالنسبة للصوفية تعني من بلغ مستوى رفيعا في الطريقة ، ولدى اصحاب الحرف والاصناف تدل ايضا على المستوى الرفيع في تنظيمهم الهرمي ، وهي رتبة علمية في وسط العلماء . والملاحظ أن مثل هذا اللقب يشيع استعماله في ريف بلاد الشام بين الفلاحين والزراع ولا يقتصر استخدامه على المسلمين السنة فقط بل ان فيرهم من بعض الاسر الدرزية والمسيحية كان لها مثل هذا اللقب . والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل لقب أمير وشيخ ومقدم الذي تذكره المصادر كان يمنح ويستخدم بموافقة الدولة العثمانية أم أنه كلقب كان يدل على منزلة اجتماعية نشأ محليا ؟ من ناحية أخرى حافظت الدولة العثمانية على مؤسسة المشيخة التي كانت استمرارا لمؤسسة امارة العرب التي وجدت في العهد الايوبي واستمرت في عهد المماليك . والذي يبدو أن المشايخ في القرى كانوا أصحاب نفوذ ولم يكونوا أصحاب سلطة الى أن بداوا يعملون كملتزمين صغار ربما باستثناء ظاهر العمر

الذي يصفه عبود الصباغ بقوله « تصار الاسم الى ظاهر عند الدولة والمشيخة عند الفلاحين » وانه كان يحارب « مشايخ الفلاحين الذين بالقرب منه ويأخذ بلادهم ويلتزمها » وأصبح لقبه كما يذكره المرادي « شيخ شيوخ البلاد الصفدية » . وعلى الارجح أنه لم يكن للشيخ في القرى في هذه المرحلة السلطة والصلاحيات وشبه الصفة الرسمية التي كان يتمتع بها الشيخ في القرية المصرية في القرن الثامن عشر . حول من تلقب بهذا اللقب أنظر الشيخ حسن البوريني (ت ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م) ، **تراجم الاعيان من ابناء الزمان** ، ٢ م ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٩م ، ١٩٦٣م ، م ٢ ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ، الخالدي الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٣ ، ١٤ ، ٢٦ ، ص ٣٤ ، ٤١ ، ٦٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٩٦ ، المرادي ، **سلك الدرر** ، م ٣ ، ص ١٨٤ ، عبود الصباغ ، **المصدر ذاته** ، ورقة ٣ ب ٧ أ ، حيدر الشهابي ، **الفرر الحسان** ، م ٢ ، ص ٦ .

عن الشيخ في مصر في القرن الثامن عشر انظر :

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، **الريف المصري في القرن الثامن عشر** ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤م ، ص ١٨ — ٢٣ .

أنظر أيضا عن سياسة الدولة العثمانية تجاه القبائل واحياء المشيخة في القرن الثامن عشر : Barbir, Carl K., The Dynamics of Ottoman Rule in Damascus During the First Half of the Eighteenth Century Ph. D. Princeton 1976, PP. 135 - 139.

(٦٧) لم أعثر على ترجمة أو أية معلومات عن الشيخ رافع أو الشيخ احمد مرعي .

(٦٨) ان قوانين نامه الولايات العربية في الدولة العثمانية (قوانين نامه الموصل ، القدس ، الشام ومصر) . تذكر الفلاحين في معرض اعطائهم نصف محصول الزيتون الروماني ، وان الفلاحين كما نص قانون نامة لسواء دمشق الشام ليسوا جزءا من ملكية الارض وان اقتسامهم مخالف للقانون ، والملاحظ أن الفلاحين في القرن الثامن عشر في بلاد الشام أصبحوا قوة محلية ذات رئاسة متمثلة بالمشايخ . ويلمس من يقرأ **الروض الزاهر في تاريخ ظاهر** ، ان عبود الصباغ يكثر من استخدام هذا المصطلح مثل « ... والمشيخة له عند الفلاحين » وانه كان « ... يصطبر على الفلاحين لثاني سنة فلأجل ذلك كانت الفلاحين داخل البلاد جميعا يحبوه » ورقة ، ٣ ب ، ٦ أ ، ١٦ ب ، حول كلمة فلاح في قوانين نامة أنظر :

Barkan, O. L., Kanunlar, Istanbul 1945, PP. 122, 178, 217, 226, 359 - 72.

انظر ايضا الخالدي ، الصفدي عن الفلاحين في شمال فلسطين ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

(٦٩) يذكر الخالدي نهرا في لحف جبل الكرمل اسمه نهر السعادة فلربما كانت الارض المحيطة به تسمى أرض السعادة ، الخالدي ، الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

(٧٠) اي اراضي الاسرة الحارثية ، ثم يذكر عبود الصباغ أن ظاهر العمر فيما بعد صار يتغلب على بلاد حارثة ويأخذها من مشايخ الفلاحين التي بها ، الروض الزاهر ، ١٠ أ ، ب ، حول اسرة الحوارث ، انظر الملاحظات المذكورة في هامش رقم ٣٥ أعلاه .

(٧١) ان المصادر التاريخية المتوافرة لدينا غير واضحة في المادة التي توردها عن ظاهر العمر الزيداني ، فمثلا المرادي (ت ١٢٠٦ / ١٧٩١م) وهو من اقدم المصادر عن ظاهر يترجم له تحت حرف العين فيقول : « عمر بن صالح الملقب بالظاهر الصفدي الزيداني حاكم مدينة عكا وشيخ شيوخ البلاد الصفدية صاحب المواقع الشهيرة الخارج عن طاعة الدولة العثمانية مولده بصفد سنة ست ومائة والف (١٦٩٤م) ومن غريب الاتفاق أن هذا التاريخ اعني تاريخ مولده موافق لعدد لقبه ظاهر ... وكان والده وجده واعمامه حكاما بصفد وعكا ويعرفون ببني زيدان وهم حمولة كبيرة » من هنا يظهر لنا حسبما جاء عند المرادي ان اسمه عمر وان اسم ابيه صالح وظاهر هو عبارة عن لقبه . واذا عدنا الى تاريخ ميخائيل نقولا الصباغ (ت ١٨٦١م) نجده يذكر أن الاسرة كانت تسكن في معرة النعمان وان كبيرها كان اسمه علي وان ابنه الذي تولى مشيخة العائلة كان اسمه عمر تزوج من السردية فانجبت له ثلاثة اولاد : علي توفي بعد والده عمر ، وسعد وظاهر ، وان الاسرة بقيادة عمر هاجرت الى الجليل « وقاموا جميعا جهزوا حالهم وشدوا رحالهم وسافروا ونزلوا عند قيسارية فاقاموا قليلا فما اعجبهم ذلك المكان لقبحه وخرابه فانتقلوا الى نواحي الاردن الى طبريه ونزلوا بكبير تومها وباهلها فاعجبتهم فاستوطنوها ورأوا اراضيها خصبة فاستفلحوا بها واشتروا الغنم والبقر واخصبت معهم تلك السنة وكان ذلك سنة ١٧٠١ وكان ظاهر له من العمر اثني عشر سنة » وفي سنة ١٧٣٠م انتقلوا من طبرية الى قرية عرابة ، فمن المعروف أن قيسارية تقع قريبة من جنوبي حيفا وربما كان جد ظاهر اسمه احمد زيدان ، او ان احد اقاربه كان يحمل هذا الاسم وعرفت الارض به بعد انتقال العائلة من قيسارية الى طبرية ثم فيما بعد الى عرابة . انظر المرادي سلك الدرر ، م ٣ ، ص ١٨٤ — ١٨٧ ، عبود الصباغ ، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر ، ورقع ، أ — ٣ ب ، ميخائيل نقولا الصباغ ، تاريخ ظاهر العمر ورقع ١ أ — ٣ أ ، حيدر الشهابي ، الغرر الحسان ، م ٢ ، ص ٦ ، ص ٧ . انظر أيضا الرسالتين اللتين نشرهما عيسى اسكندر المعلوف بعنوان « تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني » المشرق ، م ٢٤ ، (١٩٢٦م) ، ص ٥٢٩ — ٥٦٠ ، حول ابناء واقارب ظاهر انظر :

Cohen, Palestine in the 18th Century, PP. 8 - 10, 14, 25, 34, 46, 58, 81, 84, 85, 95 - 96.

حول قيسة مخطوط عبود الصباغ انظر :

George, Haddad, "The Chronicle of Abbud al - Sabbagh and the fall of Daher al - Umar of Acre" al - Abhath, Vol. XX (1961), PP. 37 - 44.

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الرابعة والأربعين

للدكتور عدنان الخطيب
(الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع)

(ينصّ قانون مجمع اللغة العربية بالقاهرة على انه يتالف من اعضاء مصريين واعضاء يمثلون البلاد العربية الاخرى ؛ وهم يلتقون مرة واحدة على الاقل في كل سنة ، في مؤتمر تُعرَض فيه الاعمال العلمية التي نظر فيها مجلس الاعضاء المصريين ، وكلمةُ المؤتمر فيها هي الفصل .

وزميلنا الدكتور عدنان الخطيب يتابع نشر موجز عن اعمال المؤتمرات التي يحضرها ؛ وقد خص مجلتنا بوقائع المؤتمر الاخير) .

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة والاربعين ، في المدة الواقعة من تاريخ الرابع من شهر ربيع الآخر الموافق ١٣ من آذار (مارس) حتى تاريخ الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٧ من آذار (مارس) سنة ١٩٧٨م ، وعقد خلالها تسع جلسات علمية بالاضافة الى جلستي الافتتاح والختام .

(*) يخطّىء بعض علماء العربية كلمة « وقائع » على اساس ان مفردها « وقيعة » فلا تؤدي معنى « الاخبار والحوادث تقع فتسجل » الذي تساق فيه ؛ وقد عرض مؤتمر مجمع اللغة العربية لهذا الامر في دورته الحادية والاربعين ، وانتهى الى اقرار تصحيح لفظة « وقائع » على ان مفردها « وقعة » حملا على نظائره من مثل : رُخْصَة و حَلْبَة و كَنَّة .

لقد كانت ابحاث المؤتمر وقراراته على جانب كبير من الاهمية ؛ وفيما يلي عرض موجز لتلك الابحاث **مع تسجيل كامل للتوصيات والقرارات** التي اتخذها المؤتمر في جلسته الختامية :

اولا ـ جلسة الافتتاح :

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين الثالث عشر من آذار سنة ١٩٧٨ ، واستمع المؤتمرون والمدعوّون من رجال الفكر والادب الى كل من :

١ ـ الاستاذ عبد المنعم الصاوي، وزير الثقافة والاعلام ؛ وقد رحّب بكلمته بالمؤتمرين، مشيرا الى الروابط المتينة بين اللغة وحياة البشر ، ثم بين ما تميّزت به اللغة العربية على سائر اللغات ؛ واشاد بالدور العظيم الذي يقوم به مجمع اللغة العربية **للحفاظ على سلامتها متطورة تلاحق العصر، وتستوعب كلّ جديد او طريف او مستحدَث .**

٢ ـ الدكتور ابرهيم مدكور، رئيس المجمع ، الذي أوضح في كلمته أن ابحاث المؤتمر ستدور حول « العامية والفصحى » في عدد من الاقطار ؛ مشيرا الى دعوات خبيثة ظهرت من اوائل هذا القرن تزعم بأن العامية تصلح أن تكون لغة قومية ، ونفى عن **لطفي السيد**، الرئيس الاسبق للمجمع، أن يكون من مؤيدي تلك الدعوات ، **مؤكدا** أن كل ما كان يدعو اليه هو **الاخذ بفصحى جديدة سهلة ميسرة**، تمقت الحوشي والغريب من الالفاظ ، وتأنس بالكلمات والتعبيرات السائغة ؛ وهذا امتداد لما بدا به رفاعة الطهطاوي وعزّزه الاستاذ الامام . ثم قال : ان لطفي السيد يُعَدّ بحقّ من **مؤسسي الفصحى الحديثة ، بقلمه وأسلوبه** في الجريدة وغيرها، وبتلاميذه امثال طه حسين، ومصطفى عبد الرازق، وعلي عبد الرازق، واحمد حسن الزيات . وبعد أن بيّن الدكتور مدكور انحسار الدعوات الى العامية في العقد الثالث من القرن ، اعلن أسفه لاسترداد

هذه الدعوات في **اوائل العقد السادس** شيئا مما فقدته، تعينها في ذلك بعض وسائل الاعلام، **وتشجّعها لفة بعض القادة والرؤساء** . ثم اهاب بالمؤتمر ان يواصل الجهود التي يبذلها في المساعدة على سيادة الفصحى .

٣ ـ الدكتور محمد مهدي علاّم، امين المجمع ؛ وقد عرض في كلمته لأعمال المؤتمر السابق والتوصيات التي اتخذها ، ثم **عرض اعمال مجلس المجمع خلال السنة الماضية** وانجازاته التي ستناقَش في هذا المؤتمر . ثم أشار الى الاعضاء الذين افتقدهم المجمع ، مرحّبًا بالزملاء الذين انضمّوا اليه ، معدّدا الاعمال التي انتهت طباعتها، أو التي هي قيد الطبع .

٤ ـ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، عضو المجمع من تونس، ممثّلاً اعضاء المؤتمر الوافدين من سائر الأقطار العربية ؛ وقد شكر في كلمته رعاية مصر لهذا المؤتمر، مشيدا بميزات لغة الضاد ودقّتها ومرونتها وعظيم استيعابها ، في العصور الاسلامية الاولى ، لحضارة فارس ومدنية اليونان وحكمة الهند . وانهى كلمته بذكر جهود مجمع اللغة العربية في رفد العربية بكل مستحدث لتواصل مواكبتها لهذا العصر، الذي **لا يمرّ فيه يوم من غير أن تَجِدَّ معه مئات المصطلحات والالفاظ في عديد الميادين** . وخُتِمَت الجلسة على أن تُعْقَد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى المجمع نفسه .

ثانيا ـ المصطلحات العلمية :

درس المؤتمر وناقش ، خلال جلساته اليومية ، المصطلحات العلمية والفنّية التي رفعتها اليه اللجان المختصة عن طريق مجلس المجمع في القاهرة ؛ وقد اقر المؤتمرون، بالاجماع حينا وبالاكثرية احيانا ، اكثرها ، كما جرى تعديل بعض منها او اعادته الى اللجان المختصة لاستيفاء دراسته .

وبلـغ عـدد المصطلحات التي نظر فيهـا المؤتمرون (١١٤٥) موزّعة بين العلـوم والفنون التاليـة :

ا ــ ٢١٤	مصطلحًا في الفيزياء (الفيزيقـا)
ب ــ ١٠٩	مصطلحات في الكيميـاء والصيدلة .
جـ ــ ٧٨	مصطلحًا في جيولوجية النفـط .
د ــ ١٦٠	مصطلحًا في الجيولوجيـة .
هـ ــ ١٠٠	مصطلح في علـم التربية وعلـم النفس .
و ــ ٢٢٩	مصطلحًا في القانون المـدني .
ز ــ ١٩٧	مصطلحًا في علـم المياهيات (الهيدرولوجيا) .
ح ــ ٥٨	مصطلحًا في الفـاظ الحضارة الحديثة .

ثالثا ــ البحـوث والدراسـات :

استمـع المؤتمرون الـى بحوث ودراسات القاهـا الاعضاء ، فناقشوهم فيما ارتأوه،او علّقوا على ما جاؤا بـه ، مقرّين نشرها ونشر البحوث الأخرى التي قدّمهـا اعضاء لم يستطيعوا الاشتراك في المؤتمـر والقاءها ، محيلين بعضها على اللجـان المختصة لابداء الراي فيهـا .

كانت البحوث والدراسات التي استمع المؤتمرون في هـذه الدورة اليها هي التالية،مع اهـم ما دار حولها مـن مناقشات :

١ ــ « **من قصة العامية في الشـام** » بحث القاه الاستاذ سعيد الافغاني، عضو المجمع المراسل مـن سورية ، تحدّث فيه عـن حال العربية في بـلاد الشام في العقدين الاولين من القـرن العشرين ، وافاض في ذكـر **ما صنعه الروّاد الشاميّون في أوائـل النهضة العربيـة الحديثة** احياء للفصحى لغـةَ تخاطب،ودفعًا لطـلاب المدارس الـى الالتزام بهـا،بالترغيب تارة وبالترهيب اخـرى .

وجرى بعض التعليقات على الفاظ وردت في البحث، مثل فعل (يعكس) الذي انتقل بالمعنى الذي استعمل فيه من لغة العلوم الى لغة الادب ، ومثل لفظة (عملاء) **التي ادخلتها السياسة في الفاظ التنبيذ والاحتقار** .

٢ ـ **« تقريب العامية من الفصحى »** بحث القاه الدكتور حسين علي محفوظ، عضو المجمع المراسل من العراق ، تحدّث فيه عمّا تزخر به لغة العامة في العراق من كلمات يمكن ردّها الى الفصيح، واغناء الفصحى بها ؛ مشيرا الى اتجاه عدد من العراقيين نحو تدوين العامية العراقية للافادة منها . واعقب الحديث نقاش حارّ سَبَّبَه التوهّمُ بان غاية المتحدث الدفاع عن عامية اهل العراق ؛ واشترك في المناقشات الاستاذ عباس حسن (مصر) رافضا مفهوم « التقريب »، محتجًّا بأن كل كلمة إمّا ان تكون فصيحة او غير عربية ، **مؤكدا رفض مجمع اللغة العربية فكرة تدوين العاميات لان في ذلك احياء لها** ، والعرب اليوم في امسّ الحاجة الى التوحيد بالفصحى ونبذ العاميات . وتحدّث الدكتور محسن مهدي (العراق) مؤيدا فكرة دراسة الالفاظ والتراكيب والاصوات العامية وتسجيلها، لتسهيل الجهود التي تُبذَل لنشر الفصحى . ودافع محمد عزيز الحُبابي (المغرب) عن كل مسعى يُبذَل من اجل الافادة من العاميات فيما لا نظير له في الفصحى . أما الدكتور اسحٰق موسى الحسيني (فلسطين) فقد قال معلّقا : انكانت غاية البحث استخلاص الكلمات الفصيحة التي تنتشر على السنة العامة، فهذا عمل جيد ، **أمّا إن كانت غاية « التقريب » الاستعانة بمفردات عامية في الفصحى، فهذه فكرة جانَبَها التوفيق** .

وخُتِمت المناقشات بكلمة من صاحب البحث، نفى أن يكون قد تجاوز في بحثه مجرّد الاشارة الى ان العامية العراقية اقرب الى الفصحى ، او انه في قوله : « انه لا بد من قاموس يُذكَر فيه ما يقابل الدخيل والاجنبي والعامي من العربي الفصيح » تجاوز حدود تيسير الوصول الى العربية والفصحى .

٣ ــ « **الفصحى المعاصرة** » بحثٌ القاه الدكتور شوقي ضيف، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه تطور العربية في مختلف العصور متأثرة بتطور العلوم والفنون ، كما عرض ظروف نشوء العاميات ومدى ارتباطها بالفصحى على مر الزمن ، مؤكدا **على ازدهار فصحى هذا العصر، وعلى ان عاميته آخذة في الاقتراب منها، ممّا يبشر بخير عميم.** وأثار البحث تعليقات جمة ، اهمها كان استغراب الدكتور ابرٰهيم السامرائي (العراق) هذا التفاؤل العريض في البحث بينما تناقضه حقائق ملموسة .

وردّ الدكتور ضيف على المعلّقين مشيرا الى ان لكل عصر فصحاه وعاميته ، وان الحديث عنهما يُعتَبَر **تقييما** لمزايا كل واحدة منهما وبيانا لشوائبها، بهدف زيادة المزايا واستبعاد الشوائب ؛ مؤكدا على ان العامية في عصرنا تدنو من الفصحى ، وان الفصحى المعاصرة توشك ان تقضي على العاميّة .

٤ ــ « **العامية في العراق** » بحث القاه الدكتور ابرٰهيم السامرائي، عضو المجمع المراسل من العراق ، عرض فيه نشأة العامية في العراق، ومدى تأثير الفارسية وغيرها من اللغات فيها ، **داعيا الى ضرورة العمل على تنقية الفصحى مما تَسَرَّب اليها من شوائب عامية، والى عدم التساهل مع ما يغزو الفصحى اليوم من التراكيب والاستعمالات والالفاظ العامية، وبخاصة السياسية منها** . وجرت مناقشات حول بعض الشواهد والامثلة التي وردت في البحث ، ثم خُتمت بكلمة تقدير من الاستاذ سعيد الافغاني (سورية) لان المحاضر اجتنب تعبير « فصحى معاصرة »، والفصحى دوما واحدة، أمّا العاميات فهي وحدها متعددة تقترب من الفصحى في زمن، وتبتعد عنها في زمن آخر .

٥ ــ « **خواطر حول الترجمة الذاتية في العصور الاسلامية** » بحث القاه المستشرق الالماني الاستاذ رودلف زلهايم، استاذ العربية بجامعة فرانكفورت وعضو المجمع المراسل ، عرض فيه **الطابع المميّز لفن**

الترجمة عند المسلمين وارتباطه موضوعيا بالعلم، ولا سيما الديني، بخلاف ما عند الامم الاخرى،اذ ينتحي لديها المنحى الشخصي معتمدا على التحليل والتصوير ، ومع كلّ هذا فلم تَخْلُ العصور الاسلامية من ظاهرة الخُيَلاء عند بعض المؤلفين، وحبّ التحدث عن النفس، ممّا اوجد الترجمة الذاتية . واتى المحاضر بامثلة توضح الخواطر التي أُحَبُّ تسجيلها .

وتحدَّثَ إثْر انتهاء المحاضرة الدكتور ابرٰهيم مدكور، رئيس المجمع، عن موضوعية الترجمة عند علماء المسلمين، **وبُعد هؤلاء عن الترجمة الذاتية حياءً وتواضعا** . ثم علَّق الدكتور اسحٰق موسى الحسيني (فلسطين) على المحاضر مقدرا البحث في هذا الموضوع الذي يحتلّ مكانا عظيما في التراث الاسلامي يسترعي النظر والاهتمام ، واضاف بانه يعتقد ان اسباب ذلك ترجع الى :

١ ــ الحسّ التاريخي بالزمن عند المسلمين ،

٢ ــ الدافع الديني الى ضبط الحديث النبوي وتدوين السيرة ،

٣ ــ العناية الفائقة بتسجيل الاسانيد، وطلب الاجازة بالرواية من الشيوخ ،

٤ ــ الرغبة في القدوة الحسنة بالحصول على تراجم ذاتية من الشيوخ .

٦ ــ **« موسوعة تراجم رجال القرن الثاني عشر الهجري » بحث** القاه الدكتور اسحٰق موسى الحسيني، عضو المجمع من فلسطين ، استهلّه باسترعاء الانظار الى سعة الموضوع المتّصل بتراجم الرجال ، والى انفراد العقلية العربية بمزايا في فن الترجمة ، مؤكدا على **فضل المؤرخ الشامي خليل المرادي، مفتي دمشق**، صاحب « سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر » بمراسلة عدد من علماء الاقطار العربية يحثّهم على جمع تراجم اعيان اقطارهم ، مما زوَّدنا بموسوعة ضخمة في تراجم رجال القرن الثاني عشر . ثم عرض وصفا لخطوط في

تراجم اعيان فلسطين لحسن الحسيني يُعتبر جزءا مهما من تلك الموسوعة .

واعقب المحاضرة عدد من التعليقات المفيدة ؛ فقد نوّه الدكتور ابرٰهيم مدكور رئيس المجمع بهذه الدراسة الشاملة المقارنة قائلا : « وأعتقد انه آن الاوان لأمّتنا العربية كي تستعرض تراثها عصرا عصرا »،كما اضاف الاستاذ محمد عبد الغني حسن (مصر) في ذكر الخط التاريخي الذي اتبعه المرادي،وكان ابن خلكان قد بداه في « وفيات الاعيان »،وقد ترجم فيه للرجال من اقدم العصور حتى القرن السابع ، ثم جاء بعده ابن حجر العسقلاني صاحب « الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة »،واعقبه السخاوي صاحب « الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع »،ومن بعده الغزّي صاحب « الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة »،ثم المحبي صاحب « خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر » . واضاف الاستاذ شوقي امين (مصر) اسم احمد تيمور بعد المرادي في تراجمه لاعيان القرن الثالث عشر . وذكر اعضاء آخرون مؤرّخين وكُتّابًا اتّبَعت الخطّ التاريخي نفسه،ممّا يفيد الدارس ومن يحب المتابعة .

٧ ــ « **اللغة والواقع** » بحث القام الدكتور محمد عزيز الحُبابي عضو المجمع المراسِل من المغرب ، عرض فيه لواقع العربية بالنسبة للتقدم السريع في العلوم والفنون الذي يدفع الدول الغربية الى ان تضيف كل يوم الى لغاتها اشكالا ومفاهيم جديدة ، وانه يدعو الى صنع معاجم جديدة **تقوم على تفريغ كلمات كثيرة تمتلىء بها المعجمات القديمة من معانيها اللغوية الميتة،وتحميلها معاني جديدة** او المعاني التي تحملها في العامية ؛ كما انه يدعو الى وضع الحركات على الحروف،والعناية بعلامات ضبط القراءة،وايجاد لون جديد من الحروف للتفريق بين مختلف المعاني وظلالها،واستعمال الارقام الغبارية ، وكلّ هذا لاعانة الطلاب على فهم النصوص ، وبه تستطيع العربية مسايرة لغات العالم المتقدم .

واثارت افكار الدكتور الحبابي تعليقات حارة ، فلفت الدكتور ابرٰهيم مدكور الانظار الى **خطورة وضع معاجم باجتهادات فردية**، واشار الاستاذ عباس حسن الى أن المجمع **سبق أن رفض بعض الافكار التي يدعو اليها المحاضر** ، منكرا عليه الدعوة الى شكل الحروف حيث لا ضرورة اليه .

وخُتِمت المناقشات بايضاح من الدكتور الحُبابي بأنه **يريد محاربة العامية بتيسير تعليم العربية**،وبالعمل على ازالة صعوبات النطق والهجاء ، وانه لا يريد تغيير الحروف العربية بل استكمالها، ونقل مزايا اللغات الاجنبية الى اللغة العربية !

٨ ــ « **العربية في تونس بين الفصحى والعامية** » بحث القاه الدكتور **محمد** الحبيب ابن الخوجة ، عضو المجمع من تونس ، عرض فيه الواقع اللغوي في افريقية يوم فتحها المسلمون **ووحدوا نواحيها بفصحاهم** ، وكيف غدا اهل اللهجات المختلفة عربا بلغتهم ؛ كما بيّن اثر اللهجات البربرية ورسابات كل من : الفارسية والتركية والاسبانية والطليانية والفرنسية في العاميات المنتشرة اليوم ، وكيف ان الناس يصِفُون ، حتى الان ، من يستخدم العامية في حديثه بانه (**بربر**) بينما ينعتون المتكلم بالفصحى بالـ (**متفقه**) .

وقد اجمع المؤتمرون على تقدير البحث ، واشادوا بفائدته وامثاله في دعم الفصحى في تونس وسائر المغرب العربي ، شاكرين المحاضر على جهوده .

٩ ــ « **من اسرار الزيادة في القرآن الكريم** » بحث القاه الاستاذ على النجدي ناصف، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه موضوعا نحويا هاما، معللا نزول (ان) بعد (لما) و (ما) بعد (اذا) في بعض آيات القرآن الكريم، مفيدا ان هذه الزيادة **من ضرورات المعنى المراد في تلك الآيات** .

وعلّق على البحث كلّ من الدكتور ابرٰهيم الدمرداش والاستاذ **شوقي امين**، معلنين الشكر للمحاضر مع التقدير .

١٠ ــ « **كتاب مخطوط لابن عسكر ولابن خميس** » القاه الاستاذ محمد الفاسي ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه مخطوطا نادرا ضَمَّ نُبَذاً من اخبار وتراجم رجال مالقه في الاندلس . والكتاب حلقة في سلسلة من كتب تاريخ المغرب والاندلس يعمل الاستاذ المحاضر على نشرها مشكورا .

١١ ــ « **العربية امس واليوم** » بحث القاه الاستاذ عبد الله كَنّون ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه للعربية بين امسها وحاضرها بعد ان **غدت احدى اللغات العالمية الكبرى ، ولغةً رسمية في المحافل الدولية**، حاثًّا العلماء المهتمّين بمستقبلها على التضافر وبذل الجهود في العناية بمشكلاتها . ولقي البحث تقديرا من المؤتمرين كافة .

١٢ ــ « **اللغات العامية واللسان المدون** » بحث القاه الاستاذ الشاذلي القليبي، عضو المجمع من تونس ، عرض فيه واقع الفرد في العالم العربي ، اذ **لكلّ واحد لغتان مختلفتان ، يستخدم الاولى في البيت والمصنع والسوق ، ثم يقرأ ويكتب بالاخرى** ، وكل جهد يبذل لتوحيد هاتين اللغتين عقيم ؛ وبينما تختلف اللغة الاولى بين بلد وبلد ، نجد الثانية توحّد بين ابناء مختلف الاقطار ، لذلك فهي السبيل الوحيد للتقارب والتفاهم ؛ ومع هذا الواقع ، لا بد من اجماع العرب على رفع مستوى اللغة التي لا سبيل للتفاهم فيما بينهم إلاّ بها ، وسلوك الدروب المؤدية الى الغاية المرجوّة ؛ واكد الاستاذ القليبي على **مسؤولية وسائل الاعلام بانواعها** ، فيجب الزامها بفصحى ميسَّرة يرتفع معها مستوى العاميات ، حتى ينتهي الامر بنا الى لغة قومية مشتركة توحّد بين الاقطار المتباعدة .

ولقي البحث صداه المستحب ، وعقب عليه كثيرون بالثناء والتقدير .

١٣ ــ « **الجغرافيا عند العرب** » بحث القاه الدكتور محمد محمود الصياد، عضو المجمع من مصر ، رسم فيه صورة واضحة المعالم تبيّن **الفضل الكبير للعرب على علم الجغرافية** ، وكيف نشأت معلوماتهم

الجغرافية مروية ممتزجة باللغة والادب ، ثم استكملوهـا بالبحث والدراسة ، مندفعين في ذلك بحسّهم الجغرافي المرهف وبشعورهم الديني المارم ، منذ كانوا بُداةً رُحّلا، مضطرّيـن الى معرفة الارض وجِهاتها المختلفة ، الى أن اصبحوا اصحاب دولة وحضارة، مضطرّين بحكم دينهم وسلطانهم الى معرفة كل ما يعينهم على اداء فروضهم ومناسكهم الدينية، والحفاظ على دولتهم وحضارتهم .

واعقبت هذا الحديث تعليقات طريفة دلّت علـى انه جزء من موضوع ضخم يعمل الدكتور الصياد على انجازه .

١٤ ــ هذا وكان المؤتمرون على موعد مع الدكتـور ناصر الدين الاسـد، عضو المجمع من الاردن ، للاستماع الى بحثه « **شواهد على صحة الشعر الجاهلي من شعر صدر الاسلام والشعر الاموي** »، وهـو حلقة من سلسلة يحاول الدكتور الاسد معها تقويض مزاعـم الشككين بالشعر الجاهلي ، ولكـن غيابه بمهمة رسمية جعـل المؤتمرين يقررون الانتظار حتى يُنْشَر البحث فيقراوه .

رابعـا : المعجم الكبير (*)

عرضت على المؤتمر المواد التي انهى مجلس المجمع دراستها مـن المعجم الكبـير ، وهـي :

١ ــ المواد المبتدئة من اول حرف الثاء والميم وما يثلثهما ، حتى نهايـة مـواد هذا الحرف .

٢ ــ المواد من أول حرف الجيم الى اخر الجيم والتاء وما يثلثهما .

وقد اقر المؤتمرون اكثرها بعد سماع ملاحظات الاعضاء وتعديـل بعضها ، كما انهم اعادوا بعض المواد الى اللجنة لاعادة النظـر فيها في ضوء ما تقدم به الاعضاء من اقتراحات .

(*) أتـم المجمع طبع الجزء الاول من هـذا المعجم في مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠م في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، متضمنا مـواد حرف الهمزة ، وأمـا الجزء الثاني المتضمن مـواد حرف الباء فما زال قيـد الطبع .

خامسا : اعمال لجنة اللهجات

عرض الاستاذ شوقي امين على المؤتمرين اعمال لجنة اللهجات وتتضمن قرارات انتهت اليها في المسائل الآتيـة :

المسالة الاولى : ظاهرة الاسكان في الفصحى

انتهت لجنة اللهجات ، في دراستها ظاهرة الاسكان في اللغة العربية ، الـى ان :

« اسكان الحركة الإعرابية ليس بمنكور في الفصحى ؛ وهي تـرى امكان الاستناد الى ذلك في اجازة الوقوف بالسكون على الأعلام المتتابعة »

واعترض بعض الأعضاء منكرين هذا القرار ، غير ان غالبية المؤتمرين احجموا عن الاعتراض عليه ، فأُعتُبِر **بمثابة فتوى يمكن اللجوء اليها عند الضـرورة .**

المسالة الثانية : المصطلحـات اللغويـة

قامت لجنة اللهجات بجمع اللهجات القديمـة في لسان العـرب ، وصُنِّفت المادّة المجموعة بطريقة تُيَسِّر على الباحثين الانتفاع بها . وكـان التصنيف وفقا لمستويات اللغة بالترتيب الآتي :

« ما يتّصل بعلم الاصوات ، وما يتّصل بعلم الصرف ، ثم ما يتّصل بعلم النحو ، وفي النهاية ما يتّصل بعلم المعجم »

وقد بدأت اللجنة بالجانب الصوتي،وراعت ما يأتي :

١ ـ التعريف بالمصطلح من الناحية اللغوية ما دعت الفائدة الى ذلك

٢ ـ التعريف بالمصطلح من الناحية الاصطلاحية كما عرَّفه اللغويون القدامـى .

٣ ـ اسناد الظاهرة الى القبائل التي توجد فيها .

٤ ـ مناقشة الآراء المختلفة التي قدّمها اللغويون للظواهر المدروسة

٥ ــ الاهتمام بما يشابه الظاهرة في اللغات الساميّة القديمة .

٦ ــ التعريف على ما يتّصل بهذه الظاهرة في اللهجات العربيـــة المعاصـــرة .

٧ ــ تقديم التفسير اللغوي الحديث .

وكان سَبَق لِلّجْنة ان عرضت على مجلس المجمع ومؤتمره في الدوروة الحاديـة والاربعين ، مجموعة من المصطلـحات اللغويـة في اللهجات العربية القديمة ، نوافق على ستّة منها واقرُّها وهـي :

ا ــ **التلتلـة** (١) ب ــ **الشنشنـة** (٢) ج ــ **الطمطمانيـة** (٣)

د ــ **الفحفحة** (٤) . هـ ــ **العنعنة** (٥) . و ــ **العجعجة** (٦) .

وفي هذه الدورة عرضت اللجنة المصطلحات الاتية :

ا ــ **الكَسْكَسة** : ــ ويراد بها زيادة السين بعد كاف المؤنث ، وابدال السين من كاف الخطاب مثل (مِنْكَسْ) و (أبوس) في منـك وابـوك .

ب ــ **الكَشْكَشة** : ــ ويراد بها لحوق الشين كاف الخطـاب ، او ظهورها بدلا منها . مثل (مِنْكَش) او (مِنْش) فيمنك

هـ ــ **اللخلخانية** : ــ ويراد بها ظاهرة اسقاط بعض الحـروف في الكلمات التي يكثر دورانها على الالسنة،مثـل (انشا اللـه) في ان شاء اللـه .

---

(١) التلتلة في الاصطلاح : كسر حروف المضارعة او أحدهـا .

(٢) الشنشنة في الاصطلاح : جعـل الكاف شينا .

(٣) الطمطمانية في الاصطلاح : ابدال لام التعريف ميمـا .

(٤) العجعجة في الاصطلاح : ابدال الياء جيمـا .

(٥) العنعنة في الاصطلاح : ابدال العين مـن الهمزة المفتوحة .

(٦) الفحفحة في الاصطلاح : جعل الحاء عينـا .

د ــ **الاستنطاء** : ــ ويراد بها ايراد النون في موضع العين الساكنة قبل طاء (انطى بدل أعطى) .

هـ ــ **الوَتْـم** : ــ ويراد به قلب السين تاء ، نحو (النات) في الناس

و ــ **الوَكْم** : ــ ويراد به كسر كاف جماعة المخاطبين اذا كان قبلها ياء أو كسرة ، نحو : السلام (عليكِم) .

ز ــ **الوهم** : ــ ويراد به كسر هاء جماعة الغائبين في الضمير المتصل (هِم) مطلقا مثل : فيهِم وعَنهِم .

المسالة الثالثة : حرف الضاد واللغة العربية

كانت لجنة اللهجات درست السؤال المحال اليها حول **سبب تسمية العربية بلغة الضاد** ، ومثل هذا الحرف يُسمع في بعض اللغات ، **بينما حرف الظاء لا يُسمع ابدا في غير العربية** .

وانتهت دراسة اللجنة الى القرار الآتي : ــ

« للضاد ــ في العربية ــ صور شتى، غير أن **مخرج الفصحى منها** بالاستناد الى اقوال الائمة واللغويين يُعتبر **من اصعب الاصوات نطقا على ابناء العربية ، بَلْه الاعاجم** ، ومن ثم قد ساد وصف العربية بأنها **(لغة الضاد)** أو اللسان الضادي ، كما جاء في شعر المتنبي .

وَهُمو فخر كل من نطق الضا د وعوذ الجاني وغوث الطريد

وجاء ايضا في استعمالات اللغويين ، ومن بينهم الفيروزبادي صاحب القاموس .

اما الصور الاخرى للضاد ، كنطقها في لسان اهل مصر (مطبق الدال) او نطقها في لسان اهل العراق (ظاء) او قريبا منها ــ فلها ما يناظرها في بعض اللغات غير العربية » .

وجرت مناقشات مطوّلة وحادّة ، انتهت بموافقة الأغلبية على القرار، ولا سيما أن تسمية العربية بلغة الضاد ، وإن تأخرت عن القرنين الاول والثاني ، قديمة مشهورة ، وليس تعليل الأسماء ضربة لازب .

المسألة الرابعة : الافادة من المقطعية في تدريس العربية

كان المؤتمر ، في دورته السابقة ، احال الى لجنة اللهجات بحث الدكتور اسحُق موسى الحسيني المعنون : « الافادة من المقطعية في تدريس العربية » .

وقد ناقشت اللجنة البحث المذكور، واستمعت الى آراء بعض الخبراء، وانتهت الى :

« أن اعتماد المقطع (الوحدة الصوتية) في تعليم القراءة العربية **يحتاج الى تجربة ميدانية**، وتطبيق تربوي في مختلف المستويات، لمعرفة اثره في تقويم القراءة الصحيحة ، وكذلك اعتماد ذلك في وزن العروض، وفي تعليل اللهجات يحتاج **الى متابعة للبحث ومزيد من الدراسة** لاستخلاص ما يترتب على ذلك للاستفادة والتيسير ».

وأقرّ المؤتمرون ما انتهت اليه اللجنة، مقدرين الجهود التي بذلتها في دراساتها المعروضة على المؤتمر .

سادسا : اعمال لجنة الاصول

نظر المؤتمرون في اربع مسائل أقرّتها لجنة الاصول ورُفِعَت اليهم بموافقة مجلس المجمع ، وجرت مناقشات حارّة حول اولاها انتهت برفض قرار اللجنة فيها ، وقُبِلَ قرار اللجنة في المسألة الثانية ، وفي الثالثة بعد تعديل طفيف فيه ؛ أما موضوع المسألة الرابعة فتقرّر تأجيله الى مؤتمر العام القادم . وفيما يلي موجز عن المسائل التي عُرِضت :

المسألة الاولى : جواز وصف المراة دون علامة التانيث في القاب المناصب والاعمال :

اتخذت لجنة الاصول ، بعد دراسة طويلة ، قرارًا هذا نصه :

« يجوز في القاب المناصب والاعمال ، اسماءً كانت ام صفات ، **ان يوصف المؤنث بالتذكير** ، بشرط ذكر الموصوف منعا لِلّبس، فيقال :

فلانة استاذ او عضـــو او رئيس او مديـــر، استنادا الى ما نقله ابـــن السكيت عن العرب ومـــا أورده من أمثلـــة » .

وقـــد اعتمدت اللجنة في قرارها هـــذا على ما نقله صاحب المصباح عن ابن السكيت عـــن الفراء : « تقول العرب : عامِلُنا امـــراة ، وأميرنا امـــراة ؛ وفلانة وصيّ ، وفلانة وكيل فلان ؛ وانما ذُكِّـــر لأنه انما يكون في الرجال اكثر ممـــا يكون في النساء ، فلمـــا احتاجوا اليه في النســـاء اجروه على الأكثر في موضعـــه ؛ وانت قائل : مؤذّنُ بني فـــلان امـــراة ، وفلانة شـاهد بكذا ، لان هـــذا يكثر في الرجال ويقـــل في النساء ؛ وقال تعالى:« انهـــا لاحدى الكبر نذيرا للبشر » فذكّر « نذيـــرا » وهو لإحدى ، وليس بخطأ ان نقـــول : « وصية ووكيلة،بالتانيث ، لانهـــا صفة للمراة اذا كان لها فيه حظ ؛ وعلى هـــذا لا يمتنع ان يقال : امـــراة إمامة ، لأن في الامـــام معنى الصفة » .

فلمـــا عُرض قرار اللجنة على المؤتمـــر ، **كان محلَّ نقـــدِ الاكثرية ؛ فلا قَولُ ابـــن السكيت اقنعهم ، ولا وجدوا ذوقَ مَـــن يحذف علامة التانيث من المترجمين او ممـــن لا تهمّهم قواعد اللغة مقبولا** ، كما انهـــم لـــم يقتنعوا بوجود ضرورة مُلِحّة للخروج على قواعد اللغـــة ، وبخاصة حيث تكثر الاسماء المشتركة بـــين الرجال والنساء ؛ **وفازت الاغلبيـــة بالتصويت معلنة ضرورة التفرقة بـــين الذكر والانثى في أُلقـــاب المناصـــب والاعمـــال .**

المسالة الثانية : جواز مجيء فعـــل مصدرا لفعل اللازم

انتهت لجنة الاصول ، بعـــد دراسةِ مذكراتٍ وأبحاثٍ قُدِّمت اليها ، الى القـــرار الآتي :

« المشهور في قواعـــد اللغة انّ فَعَلَ اللازم مصدرهُ فُعولٌ كسَجَـــدَ سُجودا ؛ وذلك مـــا ذهب اليه المجمع في قراره الخاص بتكملـــة فروع

مـــادة لغوية لم تذكر بقيتها (*) ونظرًا لمـا رواه الفَرّاء من انـــه : « اذا جاء فعل لم يسمع مصدره فاجعله فَعْـلا للحجاز وفُعولا لنجـد ؛ ونظرًا لورود افعـــال كثيرة لازمة مصدرها على فَعْل،كهمَسَ هَمْسًا ، ترى اللجنة **اجازة ما يجيء من المصادر على فَعْل وفِعْله لازمًا وان كان المسموع على فُعـــول** » .

وبعـــد مناقشات هادئة **وافـــق المؤتمرون على القرار** .

المسالة الثالثة : جـــواز تسكين الأعلام المتتابعة مع حذف ابن

هـــذه المسألة من الموضوعات المزمنة في مجمع اللغـــة العربية ، فقد عُرِضَت عليه اكثر من مـــرة دون ان يتّخذ قرارًا فيهـــا ، واستطاعت لجنـــة الاصول اخيرا ان تتّخـــذ القرار الآتي :

« بعد مناقشة الموضوع وما قُدِّم فيه من مذكرات،انتهت اللجنة الى :

ترى اللجنة **اجازة مـــــا يجري على الالسنة من حذف ابن فـــي الاعلام المتتابعة** في مثل : سافر محمـــد علي حسن ، وتضبط هـــذه الاعلام على احـــد الوجوه الآتية :

١ ــ يُعْرَب العَلَم الاول بحســـب موقعه،ويُجَرّ ما يليه بالاضافـــة .

٢ ــ يُسَكَّن العَلَمان الأولان ويُعربُ الاخير بما يستحقه الأول من اعراب .

٣ ــ تُسَكّن الأعلام كلها اجـــراء للوصل مجرى الوقـــف » .

وبعـــد مناقشة هادئة،واعتراض الاستاذ عبد اللـــه كَنّون على الوجـــه الثاني الوارد في قرار اللجنة بقولـــه : « **لا يصحّ الإعراب بعـــد القطع** »قرر المؤتمرون **الموافقة على قـــرار اللجنة** بعد حذف الوجـــه الثاني المشار اليـــه .

(*) مـــن المصطلحات العلمية التي نظر فيها المؤتمـــر في دورته السابقة مصطلح (الطَّمِيّ) بمعنى : الغرين يحمله السيل او النهـــر فيستقرّ في الارض . ولمـــا كان مصدر فعل طما النهر بمعنى : ارتفع وامتلأ وغَزُر ، في المعجـــم العربي (طُمُوًّا) ، وليس فيـــه (طَمًا طَمْيًا) فقد اقـــرَّ المجمع احالة هـــذا الامر على لجنة الاصول ، لتنظر فـــي جواز تكملة مـــادة (طمى) في المعجم .

المسألة الرابعة : تنسيق ابواب النحو

عرض الاستاذ شوقي امين على المؤتمرين فكرة موجزة عن موضوع تنسيق النحو ، قائلا بأن الدكتور شوقي ضيف قَدَّم بحثا يصوغ النحوَ صياغةً تيسر ويتألف من قسمين ، انهت لجنة الاصول دراسة القسم الأول منه ، **ورأى مجلس المجمع تأجيل النظر فيه الى ان تستكمل دراسة الموضوع كله .**

ووافق المؤتمر على ارجاء بحثه الى العام القادم لتستكمل اللجنة دراستها .

سابعا : اعمال لجنة الالفاظ والاساليب

نظر المؤتمرون في اعمال لجنة الالفاظ والاساليب المحالة الى المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة ، فأقر المؤتمرون اكثرها ، بينما دار بينهم نقاش شديد حول بعضها انتهى الى رفضه او اعادته الى اللجنة لدراسته في ضوء ملاحظات الاعضاء .

وفيما يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر من مسائل وما انتهى اليه في شانها :

١ ــ أَبَدًا في معنى النفي

تقول لجنة الالفاظ والاساليب : « يجري في الاستعمال العصري مثل قولهم (لم افعل هذا ابدا) ويأخذ النقاد النحاة على هذا الاستعمال ان (ابدًا) تُستعمل ظَرْفًا منكَّرًا لتأكيد الاثبات او النفي في المستقبل ؛ والفصيح ان يقال : **لم افعل هذا قَطّ ، ولا افعله او لن افعله ابدًا ؛ واللجنة ترى جواز الاستعمال العصري** ، فقد اثبتت اللغة من معاني الابد الدهر مطلقًا،او الدهر القديم او الطويل ، وورد الأبد في الشعر المستَشْهَد به بمعنى الزمن الماضي ؛ ووروده بهذا المعنى في المثل السائر : (طال الأبد على لُبَد) وكذلك ورد (الابد) ظرفا منكَّرًا لتأكيد الماضي المنفي في قول المتنبي :

لـــم يُخلِق الرحمٰن مثل محمد ابدًا،وظني انـــه لا يُخلق »

وجرت مناقشة بـــين الاعضاء،أيَّـدَ خلالها الدكتور شوقي ضيف قرار اللجنة مستشهدا بقوله تعـــالى في سورة النور : (لولا فضل اللـــه عليكم ورحمته مـــا زكى منكم من أحـــد ابدا) ولكن هـــذا النص القرآني غير مقصود بـــه الماضي فحسب بل الحاضر والمستقبل ، **وانتهى المؤتمرون الى الموافقة على قـــرار اللجنة .**

٢ ــ القيـــد بمعنى التقييد

تقول اللجنة : « يشيع في اللغـــة المعاصرة قولهم"احضر فلان القيد"، وقد يُظَنّ أن اللفظة مخالفـــة للأصول اللغوية ، غير انـــه ذُكِر في معيار اللغة (باب الدال فصل القاف) مـــا يأتي : « .. قاده يقيده قيدا كباع : **جعل في رجله القيـــد كقيَّده تقييدا** » . واذن فكلمة القيد تحـــلّ محلّ كلمة التقييد ، وهـــي شائعة الاستخدام في الكتابات الديوانيـــة والقانونية . **وواضح انهـــا صحيحة** » .

وأقـــرّ المؤتمرون ما انتهت اليـــه اللجنة .

٣ ــ المديونيـــة

جـــاء في قرار اللجنة : « يشيع استعمال مصطلـــح"المديونية"في لغـــة القضاء المدني،مُزادًا بـــه حالة كون الانسان مَدينا ؛ وفي راي بعض النقاد انـــه خطأ،على اساس أن القياس في اســـم المفعول من (دان) هـــو (مدين) فيجب أن يكـــون « مُدينيّة » لا مديونيـــة .

وبدراسة المسالة وُجِدت اللجنـــة **أن بعض قبائل العـــرب تجري في لغتها على التصحيح في صيغة اسم المفعول مـــن الثلاثي المعتل العـــين بالياء** ، وقـــد نَصَّت المعجمات على صيغة (مديون) بالتصحيح ، وعلـــى هـــذا **تكون المديونية مصـــدرا صناعيا** » .

واقـر المؤتمرون قـرار اللجنة .

٤ ــ سواء كذا او كذا ــ لا خلاف بين هـذا او ذاك

عُرِض على المؤتمر قرار اللجنة الذي تقول فيـه : « يُشيع في اللغة المعاصرة قولهم:سواء كـذا او كذا ، وقولهم:سيان كذا او كذا ؛ وقولهـم: لا خلاف بين هـذا او ذاك ؛ وقد يرى بعض نُقّـاد اللغة **ان استعمال (او) في هـذه العبارات على غـير صواب** ، اذ الصواب ان تُسْتَعْمَل (الواو) هنا مكان (أو)،فالمقام مقام جمـع يستدعي العطف بأداته وهي (الواو) . وقد درست اللجنةُ هـذه الاستعمالات العصرية،**وانتهـت الى اجازتها** استنادا الـى انّ جمهرةً كبيرةً من النحـاة يُنصّون على ان من معاني (أو) مطلق الجمـع ؛ يضاف الى ذلك المروي من الشواهـد على ذلك شعـرا ونثرا » .

واحتدم جدال عنيف بـين مؤيدي القرار ومخالفيه ، وبـرّأ خلاله الاستاذ سعيـد الافغاني اللغة من كـل شواهد البحث الذي استندت اليه اللجنة في قرارهـا . **وحسم الرئيسُ الامر بأن اقترح اعادة القـرار الى اللجنة لدراسته مجددا،فاقـر المؤتمرون الاقتراح .**

هـ ــ هـذا منزل آيل للسقوط ــ فلان آيب مـن سفر

جـاء في قرار اللجنة : « يشيع في اللغـة المعاصرة قولهم:هـذا المنزل آيل للسقوط ، كمـا يشيع قولهم:فلان آيب مـن سفره ، **بتسهيل الهمزة في كـل من آيل وآيب** . وقـد يبدو للناقد اللغوي في مثل ذلـك خروج على القاعـدة الصرفية ، اذ الاصل ان يقـال آئل وآئب،بهمزتين محقّقتين . واللجنة ترى أن استعمـال الكلمتين على هـذه الصورة صحيح استنادا الـى أن :

ا ــ اهـل الحجاز يستثقلون **تحقيق الهمزة الواحـدة** .

ب ــ ورد تسهيل الهمزة في اسـم الفاعل الأجوف **في بعض القـراءات القرآنية السبـع والعشر** » .

واقـــر المؤتمرون هـــذا القرار .

٦ ــ لعـــب دورا

يشيع في هـــذه الايام القول:(لعب دورا) وهو من لغـــة التمثيل المسرحي ، نُقِـــل الى العربية مترجما من لغـــات اجنبية ، ودخل الى لغـــة الكتابة والحديث وفيهما عَـــمَّ وانتشر ؛ وقد تناولت لجنـــة الالفـــاظ والاساليب هـــذا التعبير البعيد عـــن العربية ، بالمناقشة والبحث،وانتهت فيه الى القـــرار التالي :

« يشيع في اللغـــة المعاصرة قولهم (لعب دورا) يريدون بـــه اداء مهمة من المهمات في اي عمـــل من اعمال الحياة ؛ وربما يسبق الـــى الخاطر ان **العبارة غـــير صحيحة** ، على اساس ان الفعل (لعـــب) لازم . **ولكن اللجنة لا ترى مانعا من استعماله** ، ويمكن تخريج صحته من وجهين :

اولهما ــ ان يُجْعَل (دورًا) **مفعولا مطلقا مباشرا** ؛ ومعلوم ان المفعـــول المطلق يصف الفعل من اي وجـــه كان ، وكلمة دور في اللغـــة العربية المعاصرة تعني : مهمّـــة او نصيبا ، وهي وصف للفعـــل ؛ فلعب دورا اي نصيبـــا ، ولذلك تصبح كلمة (دور) مفعولا مطلقا .

ثانيهما ــ ان قائل هـــذه العبارة ومـــا يشبهها لا يريد بالفعل (لعـــب) معناه الحقيقي الذي يـــدل لفظه عليه ، **بل يريد معنى : أدَّى ونحوه** ؛ امـــا لفظ (دور) فمصدر (دار) ويراد بـــه في العبارة معنى : المهمة او القدر او النصيب ؛ واذًا يكون الفعل (لعـــب) فيما يعنيه الاستعمال المعاصر في العبارة **مضمَّنًا معنى : ادّى مثلا** وهو متعـــدٍّ ، واذًا يكون (دور) مفعولا بـــه للعب .

ويتضح ممـــا سبق **ان صيغة (لعـــب دورا) صحيحة لغويا** ، إمّا على ان كلمة (دورا) مفعول مطلق ، وإمّـــا على انها مفعول بـــه لفعل لعب **المضمن معنى : ادى** » .

وادى عرض قـــرار اللجنة على المؤتمـــر الى انقسام شديد في الراي ؛ فمـــن رافضٍ لـــه الى مدافع عنـــه مؤيد لضرورة اقراره .

واكـد الاستاذ الشاذلي القليبي، عضو المجمـع من تونس، **ان العربية في غنى عن هـذا التعبير المترجـم** ؛ وتساءل الاستاذ محمد عبد الغني حسن، عضو المجمع في مصر : لمـاذا نضيق بهذه اللفظة ونحـن مهتمون بإثراء اللغة العربية ؟ مؤكّدًا **ان امثال هـذه التعبيرات المستحدثة ضرورة حتمية للنموّ والتطور اللغوي** ، وقـال الدكتور حامد عبـد الفتاح جوهر، عضو المجمـع من مصر : إن من اكبر الخطأ ان يُصدِر مجمع اللغـة العربية رخصة لا سند لهـا من ضوابط اللغة ؛ ولسوف يقال هـذا راي المجمع ، **واخشى ان ننشر العامية بمثل هـذه الرخص** . وقال الدكتور اسحُـق موسى الحسيني، عضو المجمـع من فلسطين، إن اللعب على المسرح هـو البراعة في الأداء ، ومـا دام في الكلمة **ظلال مـن المعاني** فلا باس مـن قبولها . وقال الدكتور محمـد محمود الصياد، عضو المجمـع من مصر، إن اللعب في المعجـم العربي **يقتصر على معنى اللهو** ؛ وتساءل الاستـاذ حمـد الجاسر، عضو المجمـع من العربية السعودية ، واذا ما اجيـز التعبير ، هـل يجوز لواحد ان يقول : لعب القـرآن دورا في تخليـد اللغـة العربيـة ؟

واقترح البعض اعـادة الموضوع الى اللجنة للاستزادة مـن الدراسة ، وعرض الامـر على التصويت **فرجحت كفـة الرافضين لقـرار اللجنـة** .

٧ ــ يلعـب الكـرة

تقول لجنـة الالفاظ والاساليب في قرارها : « يشيع في اللغـة المعاصرة قولهم (يلعـب الكرة) ويريدون بـه ممارسة اللعب بالكرة ؛ وربما يسبق الى الخاطـر ان العبارة غير صحيحة، على اساس ان الفعـل لازم والكرة اداة فيجـب وصلها بالباء ليقال : يلعب بالكرة، كما هـو وارد في اللغـة .

وبدراسة المسائل انتهت اللجنـة الى ان قول المعاصرين: يلعـب الكرة **يمكن توجيهه** باحـد وجهين :

الاول ــ ان تكون الكرة (مفعولا مطلقا) اذ هــي اداة الفعل ، والادوات تنوب عــن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة،على حــدّ (ضربته سوطا او عصًا) والاصل كما قــال النحاة : ضربته ضربا بسوط او عصا ، ثــم حذف المصدر واقيمت الآلــة مقامه .

الثاني ــ ان يكون الكلام **من قبيل الحذف والايصال** : حذف حرف الجــر ، ثــم وصل الفعل بالاداة فقيل :(يلعب الكــرة).ولهذا ترى اللجنة ان قولهم (يلعب الكــرة) **صحيح لا بأس في استعمالــه** ، اما اذا كان المراد نوعــا معينا من اللعب لكــرة القــدم او كرة السلة ، فترى اللجنة : ان التعبير صحيح ايضا على انــه مفعول مطلق » .

وعنــد التصويت : **وافــق المؤتمرون على القرار** .

٨ ــ تــراوح الشيء بين كــذا وكــذا

تلــي قرار لجنة الالفاظ والاساليب المتضمــن : « يستعمل الكُتّاب المعاصرون مثل قولهم :(السعر يتراوح بــين الارتفاع والانخفاض) او (الجــو يتراوح بين الحرارة والبرودة).وقد يُعْتَرَضُ على هــذا التعبير بأن الصواب : **راوح بدلا من تراوح** ، كما هــو مأثور في اللغة ؛ وتــرى اللجنة **اجازة التعبير** علــى اساس :

١ ــ انّ تراوح في معنى راوح ، تنظيرا بينــه وبين ما ورد في اللغــة من صيغ الزوائــد المتعاقبة .

٢ ــ ان تراوح من بــاب المطاوعة،لأنّ قولهم:راوح بــين الامرين ، وإن كان لازما في الظاهر، هــو مُتَعَدٍّ في المعنى » .

وعنــد التصويت على هذا الموضوع ، **أقــرّ المؤتمرون قرار اللجنة** .

٩ ــ غَشَّ في الامتحــان

جــاء في القرار الذي عُرض على المؤتمــر : « يجري على اقــلام الكُتّاب المعاصرين قولهــم : غَشَّ الطالب في الامتحان ، او غَشَّ الاجابــة

من الاسئلة ، او غَشَّ عـن زميله ؛ او ورَّتَـه مغشوشة ؛ يراد بذلك كلّه **النقل عن آخر،ونسبة المنقول الى غـير صاحبه في غفلة من الرقيب** .

وتجيز اللجنة هـذه الاستعمالات على اساس ان مدلول الغش في اللغة اظهار غـير الصحيح،ومجانبة الامانة في الأداء ؛ ومنـه الغش بمعنى الخلط والشَّوْب ؛ ولا بأس بالاتساع في هـذا المدلول ، بحيث يَسْتَوْعِب مـا تحمله الاستعمالات العصرية مـن معنى مجانبة الخلوص ، وذلك في اظهـار المتحن خلاف ما هو لـه » .

واُقـرّ المؤتمرون اللجنـة على قرارها .

١٠ ــ عـزف لحنـا

تلـي قرار لجنة الالفاظ والاساليـب المتضمن : « يُستعمل الكُتّاب المعاصرون مثل قولهم : عَزَف لحنـا ، وهذه معزوفة مـن معزوفاته ، وعَزَف على العـود ؛ على حين **ان فعل عزف بمعنى صوَّتَ لازم في اللغة** .

واللجنة تجيز الاستعمالات العصرية : إمّـا على ان فعل عـزف المتعدي **ماخوذ من المعزف اسما للآلـة** (١) ، وإمّا على إعراب (لحنـا) في قولهم (عزف لحنا) مفعولا مطلقا ، وإمّـا على ان (عزف) **مضمَّـن معنـى : أدّى** » .

واقـر المؤتمرون قـرار اللجنة .

١١ ــ ادانت المحكمة فلانا،او حكمت المحكمـة بالادانة

تضمن قرار لجنـة الالفاظ والاساليب ما يلـي : « يُشيع في لغة ــ القانون ــ قولهم : ادانت المحكمة فلانـا او حكمت المحكمة بادانتـه ، **بمعنى اثبتت الجريمة عليه** ؛ وهو معنى يبـدو في ظاهره مخالفا لمـا نَصَّت عليه المعجمات في معاني (ادان) **التي تاتي في الاصل بمعنى اقرض** .

---

(١) كـان مجمع القاهرة أقـر في دورته الاولى جواز الاشتقاق من أسمـاء الاعيان . وفي دورات لاحقة وضع قواعد لهـذا الاشتقاق . وفي منشورات المجمع ابحاث كثيرة حول هـذا الموضوع . انظـر كتاب (مجموعة القرارات العلمية) القاهرة ١٩٦٢ . وكتاب « في اصول اللغـة » القاهرة ١٩٦٩ م .

درست اللجنة هـذا ، وانتهت الى أن (دان) الثلاثي المتعدي يشترك مع الرباعي في معنى الاقراض ، وينفرد بمعنى المجازاة ، كما جاء في اللسان ؛ وليس ببعيد في راي اللغة أن **يُحْمَل الرباعيّ على الثلاثيّ في دلالة المجازاة** ، ليكون ادانه بمعنى جازاه ، وتكون الإدانة بمعنى المجازاة . وثمة توجيهٌ آخر : أن قولهم (دان شخصا) معناه في اللغة ايضا : **حمله على ما يكره** ؛ ومن الممكن ان (ادانه) محمول على هذا المعنى،اذ الحكم بالادانة أساسه الحمل على غير المحبوب » .

وعند التصويت على قرار اللجنة هذا ، اقرّه المؤتمرون .

١٢ ــ امعن النظر وانعم النظر

تقول اللجنة في قرارها : « يشيع في استعمال المعاصرين مثل قولهم : امعن النظر في الامر متعديا بنفسه ؛ والمثبت في المعجمات : **ان امعن فعل لازم يتعدى بالحرف . واللجنة تجيز ذلك الاستعمال** لوروده في نصين من الشعر الجاهلي ، إمّا على ان الاسم مفعول به ، وإمّا على أن الاسم منصوب **على نزع الخافض** ؛ يضاف الى ذلك ان من المثبت في المعجمات : انعم النظر في معنى امعن في النظر ، ومن المحتمل ان يكون بين الفعلين قَلْب مكانيّ » .

وقد اقر المؤتمرون هذا القرار .

ثامنا : ختام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في السابع والعشرين من آذار (مارس) سنة ١٩٧٨م ، عرض فيها الدكتور مهدي علام أمين المجمع ما انجزه المؤتمر خلال هذه الدورة ، ثم ابدى الاعضاء ملاحظاتهم وقدموا الاقتراحات التي يرونها : وبعد مناقشتها اتخذوا التوصيات والمقررات التالية :

١ ــ تعريب التعليم الجامعي هدف يُسْعَى اليه في العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق **تزويد مكتباتنا بمراجع عربية حديثة وافية** ،

وقيام الاستاذ بواجبه قياما حقًّا نحـو مادته ولغته ، وتَمكّن الطالب من لغته القومية ومن لغـة اخرى اجنبية تربطه بسير العلم وتقدّمه .

٢ ــ تتقارب اللهجات الدارجة في العالـم العربي في العشرين سنـة الماضية تقاربا ملحوظـا ؛ وللمدرسة والمدرّس شـأن في ذلك ، **ولوسائل الاعلام من صحافة واذاعة ، ومسرح وسينما شأن أوضح** . وما اجدرنا ان نتعهد ذلك ونرعاه كي ينتهي بنـا الى الهدف المنشود .

٣ ــ توحيـد المصطلح العلمي والأدبي والفنّي هـدف منشود لعالمنا العربي ؛ ولكن بعض الهيئـات والافراد يعمد الى اصدار معاجـم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنهـا بلبلة في استعمال المصطلحـات العربية لـدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنـون . والمؤتمـر يوصي : **بأن يُتْرَك امـر المصطلحات للمجامع العربيـة** ، على أن يُنَسَّق ذلك في اطار اتحـاد المجامع اللغوية العلمية العربيـة .

٤ ــ يأسف المؤتمـر لمـا يبدو من تحريفٍ في نطق بعض الحروف علـى السنة العاملين في الاذاعات : المسموعة والمرئيـة . لذلك يوصي المؤتمـر : **بان تعنى وزارات الاعلام بتدريبهم على نطـق الحروف العربية مـن مخارجها الصحيحة ، مستعينة في ذلـك** بالاساتذة المتخصصين في هـذا الميدان .

٥ ــ مـا زال الكتاب المدرسي العربي في حاجـة الى اخراجه بصورة تجتـذب الطلاب وتُحَبِّبُه اليهـم ، كنظائره في كثير من البـلاد الاجنبية . والمؤتمـر يوصي **وزارات التربية والتعليم بـان تحرص على تحقيق ذلـك** في الكتاب المدرسي ، كحرصها علـى اختيـار موضوعاته ، وضبـط كلماته .

٦ ــ يُشَجِّع المؤتمـر ما بدأته وزارة الثقافة والاعـلام في مصر من اقامة امسيات شعرية ، لأعلام الشعراء ؛ ويَستَحِثّها على المضي في هـذا السبيل ، **ويامل ان تأخـذ بذلك وزارات الثقافة والاعلام في وطننـا العربي** ، ففيه احيـاء لتراثنا الشعري لدى ابنـاء هذا الجيل ، وترغيب لهـم فيه ، ليُقبلوا عليه ، ويفيدوا منـه .

٧ ــ تبلــغ توصيات المؤتمر وقراراته **للمجامع اللغويــة والعلميــة ، واتحاد المجامع ، والجامعات ، وجامعة الــدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافــة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم ، والثقافة والاعلام** ، في العالم العــربي جميعه .

وبعــد اتخاذ هذه القرارات والتوصيات استمــع المؤتمــرون الى قصيدة لشاعر الاهرام، عضو المجمــع، الاستاذ محمد عبــد الغني حسن بمناسبة انتهاء أعمال المؤتمــر ، كما استمعوا الى تحيّــة منظومة من الدكتور حسين على محفوظ، عضو المجمــع المراسل مــن العراق .

ثــم أعلن الدكتور ابراهيم مدكور، رئيس المجمــع، **ختــام دورة المؤتمر**، متمنيا للأعضــاء الوافدين عودا حميدا ، آمــلا لقاء الجميع **في المؤتمــر القادم** الذي سيُعقَد في الاسبوع الاخير مــن شهر شباط (فبراير) سنــة ١٩٧٩، ان شاء اللــه .

تعليقات ومناقشات

١ ــ ندوة حول : تجربة جامعة دمشق في تعريب تعليم العلوم، قدّم لها : الدكتور عبد الكريم خليفة ــ رئيس المجمع الاردني، وادارها : الدكتور حسني سبح ــ رئيس مجمع دمشق، وشارك فيها: الاستاذ وجيه السمان، والدكتور هيثم الخياط ــ من اعضاء مجمع دمشق .

يوم السبت ــ ١٣٩٨/٥/١٦هـ.
الموافق ــ ١٩٧٨/٤/٢٢م.

الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم السبت ، السادس عشر من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٩٨هـ. الموافق ٢٢/نيسان/١٩٧٨م. عُقِدت الندوة في قاعة الندوات في كلية التجارة والاقتصاد بالجامعة الاردنية ، بدعوة من مجمع اللغة العربية الاردني ، وحضرها جمهور كبير من اساتذة الجامعة وطلابها ، ومن المعنيين بشؤون اللغة العربية

وقد تفضل الاستاذ الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق ، بادارة الندوة ، وشارك فيها المهندس الاستاذ وجيه السمان ، والاستاذ الدكتور هيثم الخياط ، من اعضاء مجمع دمشق .

بدأ الندوة الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفه ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ، بكلمة قال فيها :

انه لمن دواعي سروري ان أرحب ، باسم مجمع اللغة العربية الاردني ، باساتذتنا من مجمع اللغة العربية في دمشق ، ومن جامعة

دمشق . ولا شك في ان موضوع تعريب العلوم الذي يُطرَح في الوطن العربي في هذه الفترة التاريخية ، لهو في غاية الأهمّية ، لانه يتمشى مع طموح هذه الامة الى حريتها واستقلالها،ومشاركتها في ركب الحضارة العالمية ؛ ولم يعد من الجائز مطلقا ان يُطْرَح مبدأ « هل تصلح هذه اللغة العربية لان تكون لغة العلم أم لا ؟ » فلقد انتهت الفترة التاريخية التي كانت تُطْرَح فيها هذه القضية للمناقشة ، ومرّت اللغة العربية بهذه التجربة ، وكانت دمشق أول بلد أدرك،منذ عهد بني امية،انه لا بدّ من التعريب من اجل بناء حضارة عربية اسلامية أصيلة . ومن دمشق ايضا بدأ التعريب في العصر الحديث .

لهذا كانت الفكرة تراودنا لندعو استاذنا الكريم الاستاذ حسني سبح ، شيخ الاطباء ، ومن رُوّاد التعريب في العصر الحديث ، لكي يلتقي مع هذه الفئة من الغيورين على لغتهم وعلى امتهم ، بدعوة من مجمعنا الاردني الفتيّ الذي يُعْتَبر نفسه لجنة في مجمع عربي واحد . وفي رحاب هذه الجامعة الاردنية تنعقد الآن هذه الندوة .

واضاف الدكتور خليفه قائلا :

هناك تيارات وتيارات تتصارع في هذه القضية ، في مشرق البلاد ومغربها ؛ فان كانت في المغرب اللغة الفرنسية ، ففي المشرق اللغة الانكليزية . لكن الشعوب الحديثة أصبحت تدرك انه لا يمكنها الوصول الى حدّ الابداع والمشاركة الاصيلة إلاّ من خلال لغاتها .

ثم انتقل الى تقديم الدكتور حسني سبح وزميليه ، وذكر ما قام به كل منهم في مجال اختصاصه من جهد كبير مشكور في تعريب العلوم ، وتعريب التعليم العلمي الجامعي .

واعطيت الكلمة للدكتور حسني سبح ، فقال :

اشكر اولا مجمع اللغة العربية الاردني،الذي تفضّل فدعانا الى هذا اللقاء . وإنها لبادرة حسنة وطيّبة،تدلّ على المسمى الطيّب الذي يقوم به هذا المجمع الفتيّ من اجل المضيّ في ترقية اللغة العربية

لتلحق بركب الحضارة ، وتصبح مؤهّلة لاستيعاب جميع العلوم والفنون والتكنولوجيا ..

ومضى يقول :

من نافلة القول ان نبحث في ضرورة التعليم باللغة العربية ، فما من امة في العالم الا تحترم لغتها ، وتسعى جهدها لتكون هذه اللغة هي الوحيدة التي تعبّر عن جميع شؤونها ، وتعلّم بها في جميع مراحل التعليم . وذلك لان التعليم بلغة اجنبية دليل على الضعف وعدم الثقة بالنفس ، بل دليل على خمول العزيمة في اهلها .

ثم مضى الدكتور سبح يتحدث حول تعليم العلوم بالعربية في مصر وسوريا فقال : اترك الآن الامور العلمية المتعددة لأنظر في الطب وحده ، لأنني عانيته واشتغلتُ به ، ولي قسط متواضع في وضع بعض مصطلحاته العربية . لقد كان الطبّ يُدَرَّس في مدرسة القصر العيني ، في مصر ، وبعد ان تولّت الأسرة العلوية الحكم في مصر اتجهت الى اصلاحات كبيرة ، كان من جملتها الالتفات الى العلوم ، والنهوض بمصر لكي تستفيد قدر المستطاع مما بلغته ديار المغرب من رقيّ ، فارسلت البعثات ، وعُنِيَت بتدريس العلوم العصرية ، وأسّست مدرسة القصر العيني ، وكان التدريس فيها باللغة العربية ، وتَخَرَّج فيها مئات الاطباء ، وانتشروا في جميع الأقطار العربية ، وظلّ التعليم في هذه المدرسة سبعين سنة باللغة العربية .

وتابع الدكتور سبح كلامه قائلا :

ثم احتلّ الانكليز مصر ، وكان من الطبيعي أن لا يوافقوا على بقاء اللغة العربية لغة التدريس ، ذلك لأن الاستعمار لا يكون ابدا استعمارًا ماديًّا فحسب ، بل لا بدّ له من السيطرة الثقافية كذلك . وهكذا بدّل المستعمرون لغة التدريس من العربية الى الانكليزية ، وظل الامر كذلك حتى عصرنا الحاضر .

ثـم أُنتقل الى الحديث على جامعة دمشق ــ او الجامعة السورية ، كما كانت تدعى ــ فذكر ان كليـة الطبّ فيها قد أُنشئت في العهد الفيصلي ، وفي زمن رئاسة أحمـد رضا الركابي للحكومة السوريـة .

وقـد دُعِيَت يومئذ (المدرسة الطبية) وبـدأ التعليم فيها باللغـة العربية ، بعد ان كـان التعليم في بيروت والقسطنطينية باللغـة التركية .

وقال الدكتور سبـح :

ولمـا جـاء الانتداب الفرنسي لم يستطع فرض الفرنسية لغـةً للتدريس في مدرسة الطـب ، لان للمواطنين من وعيهم وحبّهم للغتهـم ما يُعَـدّ مضرب الامثـال .

وتحدّث على المجمـع العلمي العربي بدمشق ، فقال إنـه قد أُنشىء في أواخر الحرب العالمية الاولـى ، وكان العمل الذي قام بـه هو تحويل المصطلحات التركيـة السائدة الى مصطلحات عربيـة . وهكذا وُجِدَت جميع المقوّمات لأجـل الادارة والتدريس بالعربيـة ، ولا سيّما فـي المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وكان المجمـع يشرف على كلّ مـا يُطبَـع من الكتب المدرسية اشرافـا فعليا . وكان يَنْظر في جميـع المصطلحات التي تَرِد عليه ، كما كـان يجيب عن كل ما يوجَّه اليـه من اسئلة فردية وجماعية ، في الصحـف او سواها .

واضاف الدكتور سبح قائـلا :

وبعـد ان أَنْهَيْتُ دراسة الطـب في دمشق ثم في أوروبا ، عُهِدَ اليَّ بالتدريس في مدرسة الطـبّ في دمشق ، وقمتُ بما يفرضه علي الواجب ، ووضعتُ كُتبـًا شـارَكْتُ فيها في تعريب الطـب . وعَقّب على ذلك بقوله :

ان التعليم باللغـة القومية ينبع من مشيئة الناس ؛ وعلى هـذه الارادة الوطنية قامـت تجربة دمشق في تعريب التعليـم العلمي .

وقـال ان في سوريا الآن ثلاث جامعات ، واغلـبُ الاساتذة فيها دَرَسوا في بلـدان غربية عديدة وبلغات غربية مختلفـة . وهذا كاد يؤدي

الى مشكلة في لغة التدريس الجامعية ، غير أنّ مجمع دمشق ألحّ على الحكومة ان تشترط على كلّ عضو في هيأة التدريس اتقانَ اللغة العربية . وقد استجابت الحكومة لطلب المجمع ، واصبَحَ المؤهّلُ الآن لكلّ مَن ينضَمُّ الى التدريس في اي من الجامعات الثلاث هو اجادة اللغة العربية .

وحَوْلَ الانتقال في التدريس من اللغة الاجنبية قال الدكتور سبح:

انا لا أميل الآن الى فكرة الطفرة ، بأن نُلْزِمَ الاساتذة والطلاّب بين عشية وضحاها أن يُبَدّلوا التدريس من لغة الى لغة اخرى ؛ وارى ان نجد اولا الاساتذة المتمكّنين من لغتهم العربية ، وان نجِدَ لهم كُتبًا في المصطلحات الجديدة بعد ان كثرت هذه المصطلحات في جميع العلوم والفنون،واصبحت لا تُقَدَّر او تُحصَى . وانا مؤمن بأن الطبيب الذي يُدَرِّسُ الطبّ بالعربية أقْدَرُ على التفاهم مع مريضه باللغة التي يفهمها مريضه . وقد ثَبَتَ لي بالتجربة أنّ خريجي كلية الطبّ في جامعة دمشق ، وهم يتعلّمون الطبّ باللغة العربية لا بالانكليزية ، ليسوا اقلّ مقدرةً ممّن دَرَسوا بالانكليزية على اجتياز الامتحانات الطبية المؤهِّلَة للبعثات في أميركا ، فهم يُنْجَحون فيها في الطب وفي اللغة الانكليزية ، وفي دراساتهم بعدئذ في أميركا لا يعجزون عن فهم الدروس التخصصية التي يتلقونها ، واحيانا كثيرة يتفوّقون على زملائهم الذين دَرَسوا الطب باللغة الانكليزية .

وانا اودّ ههنا ان اشير على المدرّسين بان يأخذوا انفسهم بتدريس المواد العلمية باللغة العربية ، وعندما يحتاجون الى مصطلح لا يعرفون مقابله العربي ، فلا ضيرَ عليهم من استعمال المصطلح الاجنبي مع شرحه بالعربية .

وختم الدكتور حسني سبح كلمته بقوله :

وختاما لا يسعني الآن ان أكرّر الشكر للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفه على اتاحته هذه الفرصة للقائكم ، وانني على استعداد للردّ على اي سؤال .

* * *

ثـم أُعطيت الكلمة الى المهندس الاستاذ وجيـه السَمّان . فقال :

مِمّا تقدم بـه الدكتور حسني سبح نستطيع أن نستنتج ان تعليـم الطـب باللغة العربية قد نَجح.وليس لديّ شكّ في سلامة هـذه التجربة ، وفي انها اعطت احسن النتائج . فهـل تُرى نجحت التجربة في فـروع اخرى من العلـم ؟

لقـد كانت كليةُ الطب الكليةَ العلمية في دمشـق حتى سنة ١٩٤٦ . وبعد الاستقلال قامت سوريـا بتوسيع الجامعة ، فأنشئت كليـة للعلوم ، وكلية للهندسة ، ودارٌ عليـا للمعلمين . ثـم توالت الكليات بعد ذلـك ، فأنشئت كليـة الفنون الجميلة ، وكلية الزراعة . وانشئت بعـد ذلك جامعة تشرين.وطبعا لـم تقتصر هذه الجامعات على كليات الطب وحدها ، بل اشتملت على كليـات اخرى متعددة . والآن تنشأ جامعة رابعة بـين حمص وحماة ، بدىء فيها بكلية الطـبّ البيطري،وكلية النفـط .

ولقـد كان لي شرف الانتماء الى كليـة الهندسة في جامعة حلب . وكان تدريس العلـوم بالعربية سهلا جـدا ، لان مصطلحاتها في السنة الجامعية الاولى كـان اكثرُها من جملة مصطلحات التعليـم الثانوي المألوفة في سوريـا وفي اكثر البلدان العربية . وامـا تعليمُ الهندسة فقد لقي صعوبة ، لان مصطلحاتها لـم تكن لها أُسُس سابقة . ومـع ذلك صَمَّم الاساتذة على ان يتخَطّوا المصاعب بهمّـة الشباب واخلاص العلماء، وراحوا يضعون المصطلحـات العربية لكل سنة . ووَضْعُ المصطلحـات لا يمكن الا أن يكـون تدريجيًّا : عمل بنـاءٍ بطيء ، ثم لا بـدّ من الرجوع اليه ، واعادة النظر فيـه ، والاستفادة من كـلّ مصطلح جديـد . وهكذا نستطيع أن نقول الآن بكـل اطمئنان إن كلّيات العلوم وكليـات الهندسة ، بجميع فروعها ، تجـد كل مصطلحاتها حاضرة ، يُعَلّمهـا المدرسون ويفهمهـا الدارسون .

وتبقى ثمـة قضية المراجع لمـن يريد الاستزادة . وهنا اقول إن الشعوب الغربيّة المتقدمة لا تكتفي بإلـزام طلّابها بمعرفة لغتهم القوميـة وحدها ، بـل تطلب منهم معرفة لغتين أو اكثر من اجـل التوسّع فـي

البحث العلمي . وهـذا يعني ان نقتدي بهم ، فنلزم الطالـب باتقان لغتـه العربية اولا ، ثم باتقان لغـة اجنبية او اكثر من اجـل الاستزادة العلمية . وهـذا طبعا يتطلّب جهدا اضافيًا ؛ ولا بـدّ من هذا اذا كان العرب يطمحون الـى مستقبل مشرّف .

واضاف الاستاذ السمان قائـلا :

اعتقـد ان السبب في تهرّب البعض من تعليـم العلوم باللغة العربية هو قلّة الإقدام ، وعـدم الاعتماد على النفس . وقـد جرّبنا نحن ونجحت تجربتنا في سوريـا ، فلدينا الآن كليات للطـب ، وللهندسة ، وللعلـوم ، وللزراعة ، وكلهـا تدرّس بالعربية . وهي ايضـا تدرّس اللغات الاجنبية لكي يتمكّن الطلاب مـن الرجوع الى المراجع العلميـة الأجنبية . وفي كل جامعة لجنـة خاصة لنشر المراجع العلميـة المترجمة وكتب الاساتذة ، وهي تُصْدِر كـلّ سنة عشرات ، ان لم نقـل مئات ، من الكتب العلمية .

ولـم يقتصر الامر على الكتب التدريسية ، بـل هناك مراجع عديدة ، وقد ساهمتُ انـا شخصيا بترجمة بعضها . لقـد ترجمنا موسوعةً فـي الفيزياء من اللغـة الفرنسية بتعاون عدد كبير مـن الاساتذة . وكنّا قبل الترجمة نجتمع ونتّفق علـى تعريب المصطلحات معا ، ثـم يمضي كلّ واحد في ترجمـة نصيبه من الموضوع . ولم نصادف ايـة مشكلة ، لان لدى الاساتذة والطلاب رغبة تامـة في جعل لغتهم العربية جديرة بأمتهـا المجيـدة .

واضاف الاستاذ السمّان قائـلا :

وانني لاشعر بالأسف والألـم حين اسمع بعض المثقفين عندمـا يتكلمون في الشؤون العلميـة لا يختلفون عن العامة ، لجهلهم المصطلحات العربية . كما ان من المؤسف ان نسمع من اصحاب المهـن المختلفة تعابير مستغربة تختلف بين كل بلـد والبلد الآخر . وهذا ما يجب ان يوضع لـه حـدّ ، والا كانت العربية غـير جديرة بالحياة ، لانها لا تعود لغـة واحدة بل عـدّة لغات .

* * *

ثـم اعطيت الكلمة للدكتور هيثـم الخياط ، فقال :

موضوع القديم والجديد اخشى ان اخوض فيه ، ويخيّل اليّ ان هذه القضية ليست بهـذه الدرجة من الأهميّة . واعتقـد ان الموضوع قـد عولج من عـدّة نقاط ، وسيجد المزيـد من المعالجة بما سيتقدم بـه الاخوة الحاضرون من اسئلـة ومناقشات . وما اريده هـو ان أُعلّق تعليقين او ثلاثـة .

قبـل كل شيء احبّ ان اطرق موضـوع التعليم بالعربية ، وموضوع المصطلحات ، وهمـا امران مختلفان تمامـا : فالمهمّ في التعليم هـو البيان : أن يتكلم الاستاذ باللغـة العربية التي يفهمها هو اكثر مما يفهـم اللغة الاجنبية ، ويفهمها كذلك الناس منـه اكثر مما يفهمون حـين يخاطبهم بلغـة اجنبية .

هـذا شيء ، والشيء الآخر موضوع المصطلحـات، التي هي الفاظ اصطلح عليها القـوم ـ او تصالحوا ـ على ان تدلّ على معنى معـيّن ، او على فكرة معيّنة . وهذا أمـر قد يكون فيه بعض الصعوبة احيانـا ؛ والعصر الحديث فيـه صعوبات اكثر ، لانـه يصدر في كل يـوم عدد كبير من المصطلحات التـي تحتاج الى نقل الى العربيـة .

ولقد اصبحَت العربيةُ اليوم لغـة رسمية في الأمم المتحدة ، ولغـة رسمية في المحافـل الدولية عامة ، ومنها منظمـة الصحة العالمية . ونحن مـا زلنا نتردّد في استعمال المصطلحات الطبيـة ، مثلا، في كليات الطـب عندنا . والتعليم بالعربية امر لا بـد منه ، ولكنّ هناك فجوة نفصلنا عنـه . واعتقد ان الكليات الطبية في العالم العـربي ستبدأ عاجلا او آجلا بالتعليم بالعربيـة ، على ان السبق سيكون للذين يبدأون بالتعليم بالعربية قبـل ان يعرّبوا المصطلحات . ولست احبّ ان أُذكّـر ههنـا بالنواحي القوميّة والوطنية التـي تقتضي ذلك ، فهذه امـور كُثُر الحديث حولها ، وانما احب ان اذكـر نقطة مهمة جـدًّا ننساها جميعا ، وهي قضية الابداع : الاستاذ الـذي يستطيع ان يُبدِع هـو الاستاذ الذي يقـرأ بلغته ويعلّم بلغته . والدليل على ذلـك ان الجامعات العربية التي

ما تزال تعلّم بالانجليزية منذ عشرات السنين ، لم ينبغ فيها أحد ، ولم تتقدّم ببحث علمي مبتكَر ، ولم تُخرُج علينا بشيء جديد .

نحن نقول إننا نريد أن نعلّم طلابنا باللغة الاجنبية ليظلّوا على اتصال دائم بما يجدّ في العلوم ، ،ويستطيعوا متابعة البحث العلمي، والمساهمة في البحث العلمي ؛ ولكن التجربة تُثبت خلاف ذلك . والقضية أننا نثير بعض الحجاج حول قضية ما زلنا نَجِدُ بعض الحرج في التخلّي عنها ، أو ما زلنا نحتاج الى بعض الشجاعة للإقدام عليها .

وأما المصطلحات فأمر آخر ؛ وأنا لا أُقلّل من شأنها . والمصطلحات العربية التي ستصبح دَوْليَّة ، هي أيضا المصطلحات التي تُسْتَعْمَل في اللغة الفارسية ، واللغة الاوردية في تدريس الطب . اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، وهي لذلك لغة هؤلاء الذين يعرفون لغة القرآن ؛ وهم حين ارادوا ترجمة العلوم الى لغاتهم،لجأوا الى المصطلحات التي وجدت في لغة القرآن . وهم يكتبون الينا دائما لنرسل اليهم مصطلحاتنا . ونحن نقرأ مجلاّتهم التي تكتب بحروف عربية،فنجد المصطلحات المستعملة فيها مصطلحات عربية .

لقد احببتُ أن نضع انفسنا أمام هذا الموقف الذي نعيشه . هذه مجموعة من المتناقضات في الحقيقة ، فالناس يطلبون منا اشياء، ونحن نديرُ ظهورنا لهم ، ونريد أن نتقوقع ، وأن ننكمش عند لغة من اللغات الاجنبية . ومن المؤسف اننا نرى أن أكثر المدافعين عن التعليم بلغة اجنبية هم مِمّن لا يُجيدون اللغة الاجنبية ؛ والغريب أن الذين درسوا باللغة الاجنبية واتقنوها هم من كبار المدافعين عن التعليم بالعربية .

انني اخشى أن تكون هذه القضية مُظهرًا من مظاهر التخلّف والاستعمار الفكري ؛ والاستعمار ليس في حقيقة الامر من طرف المستعمر فحسب ، وانما هو قابليةٌ للاستعمار ... والأُمم التي ليست لديها قابلية للاستعمار لا يمكن استعمارها . وأنا اخشى أن يتسرّب الينا بعض القابلية حينما نقف مثل هذا الموقف .

كثيرون يقولون : نحـــن مؤمنون بالتعليم بالعربية ومستعدّون لـــه ، ولكن يجب قبل ذلـــك أن تتوافر لنـــا الكتب العربية ، وأن تكون لدينـــا المصطلحات التي يستطيع الطـــلاب ان يتعلموها . وانـــا قلتُ من قبل إنّ القضية قضية بيـــان ؛ فلنُدَرِّسْ بالعربية ، ولنستعمل ــ مثلما استعمـــل التراجمة الأولون ــ المصطلحات الدخيلة كما هـــي ؛ فالنقطة الأولى هـــي نقطة الحديث بالعربية اولا ، ثـــم نؤلّف الكتب . ولا يجوز ان نوقف شيئا على شيء،والا بقينا ندور في حلقة مفرغـــة . وفي وسع العرب أن يترجموا كلَّ ما يصدر باللغـــات الاجنبية من كتـــب علمية ، كما يفعل الروس الآن . وسينتشر بذلك الكتـــاب العلمي العربي ، وتنتشر كذلك المجـــلّات العلميّة العربية ، وستجد لهـــا قُرّاء كثيرين في جميع أرجـــاء الوطن العربي . قد تطول هـــذه القضية بعض الشيء ، ولكنها في النهاية لـــن تقاوم التجارب الحديثـــة .

ان الطالب يتعلّـــم في الدراسة الثانوية بلغته ، ثـــم ينتقل فجأة الى اللغـــة الاجنبية في الجامعة . ونحـــن طبعا مؤمنون بأنـــه يجب أن يعرف لغـــة اجنبية لكي يستطيع ان يتابـــع البحوث العلمية الجديدة ، لكن أيُّها اهون علـــى الطالب ، وأيُّها ادعى الى الفهـــم : ان ينتقل هـــذه النقلة في نهايـــة الدراسة الثانوية،أم في نهاية الدراسة الجامعيـــة ؟ اعتقد أن الافضل والأهون هـــو ان يُدَع هذه النقلة الى نهايـــة الدراسة الجامعية ، فهناك يستطيع ان يتخصص ، وان يتابـــع قضية تقوية لغتـــه الاجنبية .

وقـــال الدكتور الخياط :

نحـــن نريد توحيد المصطلحات التـــي تُستَعْمَل في التعليم المـــام والتعليم الثانوي علـــى مستوى الوطن العربي كلّـــه ، لأن العربية ستدخل، إن عاجلا أم آجـــلا،في التعليم في الجامعات العربية كلّهـــا .

ثـــم تَطَرَّق الى بعض المعاجـــم الجديدة الموحّدة فقـــال :

التجربة الاولى كانت في المعجـــم العسكري الموحّـــد ، والمعجم الطبي الموحّد ؛ فقد صدر معجـــم للعلوم الطبية مختصر ، اصدره اتحـــاد الاطباء

العرب ، وحاول أن يوحّد فيه المصطلحات الطبية بقدر الامكان ؛ وقد بنت منظمة الصحة العالمية الآن هذا العمل ، وعهدت الى لجنة تضمّ الاعضاء الأقدمين مع اعضاء من المغرب العربي لمتابعة هذا العمل ، وتوسيعه واقراره بصفة نهائية . ونرجو أن تكون هذه خطوة اولى وجيدة في سبيل توحيد مصطلحات التعليم العالي .

* * *

ثم دار نقاش طويل اشترك فيه عدد كبير من الحاضرين ، وكان كل من الاساتذة الثلاثة يجيب بدوره عن الاسئلة والمناقشات، مما زاد الموضوع وضوحا . واختتم رئيس المجمع الأردني الدكتور عبد الكريم خليفه الندوة بتوجيه الشكر الى الاساتذة الثلاثة والى الحضور .

---

٢ ـ تعليق الدكتور عدنان الخطيب
على العدد الأوّل من المجلة

مـــا كدتُ اتناول العدد الاول من مجلـــة مجمع اللغة العربية الاردني، حتى ادهشتني المفاجأة،وملأت نفسي غبطة وحبورا لهـــذه البداية الجميلة ؛ ولم اكن لاتوقع مبلغها من حسن الاختيار ومن جمـــال الاخراج ، وما كان عـــددٌ أوّلُ من اي مجلـــة يستطيع حملَ كل رغبات مُصْدِريه كاملة ؛ وما العدد الاول عـــادة الا الخطوة الاولى في سبيل الكمـــال المنشود .

ان التهاني التي ازجيها الـــى القائمين على المجلّـــة ، بمناسبةْ صدور العدد الاول ، لا تعني اني رايت فيـــه الكمال الذي لا ينفذ معـــه اي نقد الى جوانبه المتعددة ؛ فليس مثل هٰـــذا الكمال بمستطاع ولـــو توافرت كل الجهود الخيّرة من اجلـــه .

ولـــي ملاحظات على العدد الاول ليكون اقرب الى الكمال ممـــا صدر عليه ، فانـــا كنت اتوقع ـــ ولست ازعم بـــأن رايي دوما على صواب ـــ ان اقـــرأ شيئا عن الغاية التي دَفَعت المجمع الاردني الى اصدار المجلـــة ، وهـــل هي تحقيق الاهداف التي يرمي اليها المجمـــــع ، أم هي احدى الوسائل الى تحقيقها ، وهـــل يُفْتَرَض في كلّ من يقع العـــدد الاول بين يديـــه ان يكون عارفا بالاغراض السامية التي قـــام المجمع الاردني من اجـــل تحقيقهـــا ؟ !

اليس من حـــقّ كلّ من يقـــرأ عددا اول من مجلة ما ، ان يقـــرأ فيه موعده مع العـــدد الثاني ـــ ولـــو بالأمل ـــ ؟ لا شكّ ان من حقّه ذلك ، كما من حقـــه ان يقرأ خطّتها،وهل هي فصلية او نصـــف سنوية ، ليتمكن من ترقب صدور العـــدد الثاني ؛ كما ان من حقّـــه ان يعرف كيف يمكنه الحصول عليـــه،والثمن الذي يجب ان يدفعه لقـــاء ذلك . لقد خلا

عـــدد المجلّـــة حتى من العنوان الذي يتمكّن معـــه القارىء من مراسلة الادارة اذا ما احب مراسلتها ؛ لا بـــل اني افتقدت في المجلـــة ، وفي باطن غلافها على اقـــلّ تقدير ، رقم صندوق بريد المجمـــع الأُردني نفسه !

وهناك امـــر آخر ، هو من وجهة نظري في غايـــة الاهمية ؛ ذلك ان المجلـــة تصدر عن مؤسسة عامـــة ، وعن مجمع قـــام لخدمة اللغة وللمحافظة على سلامتها ؛ ولا يُعْقَـــل ان يكون كلّ ما يُنشَر فيهـــا معبّرًا عن راي المؤسسة،او يمثّل الـــرايَ الرسمي للمجمع ؛ فلا بـــد اذن من ان يعلن للناس ان ما يُنشر في المجلـــة لا يعبّر الا عن راي كاتبـــه ؛ فيبقى لأيّ واحد ان يناقشه في رايـــه وصولا إلى الحـــق والصواب المنشود • ومما يتصل بهـــذا وجوب قيام لجنة المجلّـــة بالتعليق على ما يُنشَر فـــي المجلّـــة ، وبخاصة اذا ما كان فيه مـــا يمسّ بالاغراض المجمعية ، او باي قرار مجمعيّ معتمَـــد .

لقـــد قرأتُ كلّ ما نُشر بين دفتي العـــدد الأول ، وسجّلت ملاحظاتٍ كثيرة على اكثـــر موضوعاته ؛ وها اني موجـــز تلك الملاحظات :

كـــان بحث الدكتور خليفه عن ابـــن رشد في ادبـــه ، اوفى بحث قرأته في موضوعه ، بلـــغ الكاتب فيه الذروة في تقويم المكانـــة العلمية، وتحليل شخصية ابـــن رشد من خلال اتجاهاته الادبيـــة ؛ فهو مشكور على بحثه الممتـــع .

وبَحْـــثُ الدكتور الدوري عن نشاة الثقافـــة العربية الاسلامية ، بحثٌ جـــدّ قيّم ؛ واذا كان الكاتب وَصَفه بنفسه انـــه محاولة اولية لرسم الخطوط العامة لتلـــك النشاة ، فهو بالواقع اكثرُ من محاولة ؛ انـــه ثبتٌ بمعالم واضحة مترابطة الاجزاء تنـــير السبيل لتاريخ انتشار العربيـــة بالاسلام ، وقيـــام أضخم حضارة عرفتهـــا البشرية في اقصر زمن يمكن أن تقوم فيه حضارة تزخر بالقيـــم الانسانية الرفيعة . ان البحث بارقـــة امـــل لاعادة تدوين تاريخ الحضارة العربيـــة الاسلامية في موسوعـــة علميـــة حديثـــة .

وامـــا بحث الدكتور سعيدان حول تعريب التعليـــم الجامعي ، فهو بحث واقعيّ فَـــذّ في أسلوبه ؛ ولكنّي رأيت الكاتب يمشي في دروبـــــه وهـــو شديد الحذر، وكأنه لا يقول كلّ مـــا في نفسه ؛ ولعلّ ما في نفسه ، لـــو كُتِبَه ، لا يُرضي الكثيرين .

وفي المجلّـــة بحث طريف هو بحث الاستاذ تروبـــو، الذي يرفع بـــه عن نحو العربية بعض مزاعـــم المستشرقين القُدامى ، وقـــد دأبوا على زرع الشكوك في مختلف الجوانـــب المتصلة بالحضارة الاسلامية وعلومها . لقد كان الاستاذ تروبـــو في نقضه زَعْـــمَ المستشرق الالماني مركس منطقيًّا منهجيا ، بـــداه وكأنّ مقولة المستشرق حقيقة ، ثـــم اخـــذ ينقض أطرافها جزءًا جزءًا الى ان اعلـــن خطأ المقولة ، ثـــم اثبت ارتباط النحو العربي بعِلْمَيْ الحديث والفقـــه ارتباطا وثيقا ، دَفَعَه الى تأكيـــد اعتقاده بأن « علـــم النحو ـــ هو ـــ أعرب العلوم الاسلامية » . والحمد للّـــه انْ بعث مستشرقا يفنّـــد بعض مزاعم المستشرقين .

وهـــا اني سأقف قليلا أمام البحث اللغـــوي الممتع حقا ؛ إنّـــه بحث الدكتور الأسد ؛ وكـــم كنت احبّ الاصغاء الـــى الصديق الكريم يبين عن رأيـــه الطريف يـــوم عَرَضَ مؤتمر مجمع اللغة العربية لهـــذا الموضوع في دورتـــه التاسعة والثلاثين . وحَسْبُه في مقاله هـــذا اثبات ان العرب قالوا : العشرين والثلاثين .. الى آخـــر اسماء العقود، للدلالة على السنوات المضافة الى احـــد هذه الاسماء . ولكنْ ليسمحْ لـــي الدكتور الأسد ان أقول لـــه : إن الفاظ العقود بالدلالة المشار اليهـــا ، الفاظ شاعرية لا تعطي الدلالـــة المقصودة الا في الشعـــر ، واما في النثر فكل لفظة لا تـــدلّ الاّ على سنة بذاتهـــا .

امـــا ما ذكره من جواز جمع الفـــاظ العقود بالالف والتاء، مثل : عشرين وعشرينات ، فما اظن احـــدًا ينكر عليه قوله ؛ والاستاذ الـــذي استشهد بمقالـــه في جريدة اخبار اليوم بتاريـــخ ١٩٧٧/٩/٢١ ما اظنه بحاجة لمـــن يدافع عن رأيـــه في تخطئة من يُجْمع عشرين على عشرينات ؛ وعلى مـــا اعتقد ، لا يخطىء الا من يريـــد بالجمع الدلالة على احـــدى

السنوات المضافة الى العشرين ، لان الجمع في موطن النسبة خطأ ولا شك ، ولهذا اقر مؤتمر مجمع اللغة العربية في جلسة ١٩٧٣/٢/٢٠ : « أن الفاظ العقود يجوز أن تُجْمَع بالالف والتاء اذا لُحِقَت بها ياء النسب ، فيقال : ثلاثينيات ... ويدل اللفظ حينئذ على الواحد والثلاثين الى التاسع والثلاثين » ولم اسمع احداً يقول بأن جمع ثلاثين على ثلاثينيات خطأ،الا اذا كان يُقصد بالجمع الدلالة المشار اليها في قرار مؤتمر المجمع ؛ لهذا اردف المؤتمر في قرارة نفسه يقول : « وفي هذا المعنى لا يقال : ثلاثينات بغير ياء النسب (١) » . وهذا في رايي صواب لا يُرِدُ عليه اي اعتراض (٢) .

بقي بحثُ تعريب رموز الوحدات الدولية،للدكتور بدران ؛ إنّ هذا البحث قيّم ، ولا بد للافادة منه من عناية فائقة من قِبَل المختصّين في المنظمات العربية التابعة للجامعة العربية ؛ وهو جدير بالاخذ بعين الاعتبار . ولكن اذا كانت مرونة الحرف العربي دَفَعَت صاحب المقال الى اقتراح استخدام صور مستحدثة للحرف من أجل نظام متكامل للوحدات الدولية ، فأنا اعلّق على هذا الاقتراح بأن الحرف العربي على انواع كثيرة شائعة ، وقد لا يكون ثمة من ضرورة لاستخدام صور مستحدَثة . ان الفارق العظيم في صورة الحرف العربي الواحد بين الخط الرقعي عنه في الخط النسخي ، فضلا عن الخط الكوفي او الديواني او خَطَّي التعليق والثلث ، يُغني عن استحداث كثير من الصور المقترحة .

ولست اريد أن اكيل الثناء على الوصف الرائع والمقارنات الموفقة في بحث « الاندلس في المغرب » . لقد استمتعتُ بقراءته المتعة كلّها،

---

(١) انظر قرار المؤتمر والمذكرات المستند اليها في « كتاب الالفاظ والاساليب » من مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٧ ـ وانظر المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع في جلسة المؤتمر في كتاب المؤتمر في دورته التاسعة والثلاثين ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٢) مما يلاحظ ان اكثر من واحد من كُتّاب العدد الاول استعملوا الفاظ العقود بصيغة الجمع من دون ياء النسب،للدلالة على سنوات منسوبة الى العقد .

ومشيت مع المؤلف في رحلته خطوة خطوة واندت من بيانه . واذا كان لي من تعليق على المقال ، فهو ينصبّ على راي ــ ارى ان المؤلف تَنَفَ به دون ان يراجع فيه معجما واحدا ، او يذكر مصدرا يدعمه ــ ذكره وهو يشير الى الزخارف والنقوش الاندلسية مُتِمًّا كلامه بجملة : (والمقربصات الرائعة البارزة في الجبص و في الخشب ــ والمقربصات تعني « النقوش المجسَّمة النافرة »؛ وهي **ماخوذة من الكلمة اللاتينية** (Corpus) التي تعني « الجسم ». **ويخطيء من يدعوها « المقرنسات » او « المقرنصات »**، فهي كلها مجسمات نافرة) ! وليت المؤلف نظر فيما تحت يده من معجم ، حتى ولو كان « المنجد » او « الوسيط » او « متن اللغة » ان لم يكن « التاج » او « اللسان ». ويكفي ان انقل من « تكملة » الصاغاني قوله : « القرناس : انف الجبل ، وسقف مقرنس : عمل على هيأة السلم ». اما صاحب « الصحاح » فقد اورد شعرا لمالك بن خويلد الخناعي ، ذكره صاحب « لسان العرب » منسوبا لمالك بن خالد الهزلي ، وَصَفَ وَعْلاً فقال :

تاللهِ يبقى على الايام ذو حِيَدٍ ،
بِمُشْمَخِرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ
في راسِ شاهقةٍ أنبوبُها خَضِرٌ ،
دونَ السماءِ له في الجوِّ قُرناسُ

واذا عرفنا ان « القرناص » لغة في « القرناس » فهل يُصِرّ المؤلف على ان « المقربصات » كانت من جملة الروائع التي رآها في المغرب ! وما هو سندك في هذا الراي ؟ ارجو افادتي .

---

٣ ـ تعليق الاستاذ روكس بن زائد العزيزي

سيادة الاستاذ الكبـــير

الدكتور عبـــد الكريم خليفه،حفظه اللـــه

رئيس مجمـــع اللغة العربية الاردني

تحيتي واحترامي وبعـــد ،

ارجـــو أن تسمحوا لي ، لأُبعث اليكم بهـــذه الملاحظات على العدد الأول من مجلتكم الزاهـــرة .

قرأتُ العدد الاول من مجلّتكـــم بتقدير واعجاب ؛ فأهنئكم أصـــدق تهنئـــة ، راجيا للمجمع كل ازدهار ، ولمجلتـــه أعظم انتشار ، بتوجيهاتكم السديـــــدة .

في مقال الاستاذ العالـــم الدكتور (ناصر الدين الاسد) مـــا دعاني الى التوقّف عنـــد قوله : « والجمع الذي ينتهي بالالف والتاء ، والـــذي يسمّونه جمعـــا مؤنثا سالما ، اذ كثيرا مـــا جمعت عليه ألفاظ لمذكّـــر غير عاقل ، اذ لـــم يكن لهذه الالفاظ جمـــع تكسير ، فألفاظ مثل حَمَّام ، وهَزَّان ، وسِجِلّ ، وقَرار ، ومُسَوِّغ ، تُجمع على: ـــ حَمَّامات ، وخَزّانات ، وسِجِلّات ، وقَرارات ، ومُسَوِّغات . وكلُّها ، في مفردها ، تَدلّ على مذكّـــر غير عاقل . بـــل استعملوه ايضا في القديم والحديث لجمع الجمع للمذكر العاقل وغـــير العاقل ، ففي العربية رجـــال رجالات ، وجمال جمالات ، وبيوت بيوتات ، وبيوع بيوعات ، وأهرام أهرامات ، ومفردها مذكّـــر .

والحقيقة ، ان المفـــرد المذكر العاقل الأعجمي ، اذا لـــم يُذكر معه جَمعه ، يُجمَع جمعـــا مؤنثا سالما ؛ مثل باشا ، باشوات؛وبك ، بيكات وبيكـــوات .

ورايت الاستاذ العالـــم يتوقّف عند (تين ايجرز) بالانكليزيـــة ولا يجـــد في اللغة العربية الفصحى ما يعبّر بـــه عن هذا الاصطلاح ؛ وقوله

صحيح ، لكـن الارادنة يقولون،وهـم يذكرون الفتاة والفتى في مـا بين الحادية عشرة والتاسعة عشرة : « بالطّمش » .

وقـد توقّفتُ عند قول الاستاذ : « وانكار المبـرّد لا ينصرف الى تثنية العقد ، وانمـا انصرف الى وجود إعرابين ؛ فالواو والنّون للرفـع في جمع المذكـر السالم ، والالف والنون للرفع في المثنى ؛ ولـو قال : « لـي عشرينان ثنتان » ما أنكر المبرّد شيئا . وقـول الاستاذ فيه نظر ، فلو قال لـي عشرينان ثنتان لوقع في وهمين : —

١ — الاول ان الجارّ والمجرور متعلّقان بخبر مقدّم ، وهـذا الخبر يحتاج الـى مبتـدا .

٢ — وعشرينان مبتـدا مؤخر من حقّـه الرفع،وهذا يفرض عليه خطأين في كلمة واحدة : جَعْلَه المبتـدا منصوبا بلا موجب ، فابقاء إعرابَي الرفع أولَى من هـذا التمحّل .

ثـم رأيتُ الدكتور الفاضل يكتفي برواية واحـدة لقول (سحيم بن وثيـل الرياحـي) .

ومـاذا يَدَّري الشعراءُ منّي ، وقد جاوزتُ راس الاربعينِ ؟

والمعروف ، ان للبيـت ، روايتين اخريين : —

ومـاذا يبتغي الشعراء مني ، وقد جاوزتُ حـد الاربعينِ ؟

ومـاذا يدَّري الشعراءُ مني ، وقد جاوزتُ حـدَّ الاربعينِ ؟

ولـو وَقَف عند الرواية وحدها ، لهان الامر ، لكنـه فسَّر راس الاربعين ببلوغ الشاعـر التاسعة والأربعين ، في حين ان الراس هـو البداية ، لا النهاية . جـاء في لسان العرب لابن منظور،مـادة (راس) : « انت على راس امرك ، ورِئاسـه ، اي مشرف على شرف منه . قـال الجوهري : — قولهم انـت على رئاس امرك ، اي اولـه ، والعامة تقـول : — راس امرك » .

ومما يؤيد ما ذهبنا اليه ، قول الشاعر بعد البيت المتقدم ذكره : ــ

اخو خمسين مجتمعا اشدي وتجذبني مداورة الشؤون

اذا ، فالصواب هو : ــ حَدّ الاربعين الذي هو التاسعة والاربعون،لا راس الاربعين الذي هو الحادية والاربعون .

* * *

وتوقفتُ عند مقال الاستاذ العالم ، الدكتور (ابرُهيم بدران) المعنون بـ (تعريب رموز نظام الوحدات الدولية) . فقد تتابَعت الاضافات ، تتابُعًا ، لا تسيغه البلاغة العربية . وصدمني هذا الاصطلاح الذي أَصَرَّ عليه في مقاله ، فكرَّره ثلاث عشرة مرة ، وهو (الترميز)؛والترميز ، هو الهزال . جاء في لسان العرب مادة (ر م ز) : « الترميز من رمزت الشاة ، اذ هُزلت » .

وقد تسرّب في مقال الدكتور أوهام منها : ــ

قوله : الكهربائية ، وقد كرّرها مرارا . والصواب الكهربية ، والكهربا بلا مَدّ . لأنّها من الفارسية (كاه ربا) ــ اي جاذب التِّبْن ــ ،وليس في اصل الكلمة همزة .وكان اول من اشاع هذا الوهم العلّامة المرحوم (بطرس البستاني) في (محيط المحيط).ومن الأوهام قوله : ــ

« احرف العربية » ، وهذا جمع قلّة ، وهو ما دلّ على ثلاثة ، الى العشرة ومن المعروف ان حروف العربية تسعة وعشرون حرفا .

وقوله : « الدَّوْليّة ، والصواب الدُّوَليَّة » لكي يفرّق بين ما هو للمفرد ، وما هو للجمع ؛ فقد قالوا الانصاري والاكفاني والغضائري؛ وأجاز الصرفيون النسبة الى جمع التكسير.وقوله : « الكيميائية » والصواب (الكيماوية) ففي كتابة الكلمة خطأ ، وفي اثبات الهمزة خطأ ثان.

وقوله : « ولا سيما في مجالات التعليم الجامعي . ولا سيما عند استعمال المعادلات » . والذي يعرفه العرب الفصحاء ، أن (ولا سيما) يقع بعدها الاسم في واحدة من ثلاث حالات : ــ

١ ــ حالة الرفع نحــو ــ : « اجاد الخطباء ، ولا سيما مكرم .

٢ ــ حالة النصب ــ رُبّ عِبرة اصلحت امــة ، ولا سيما عِبرة مــن التاريـــخ .

٣ ــ حالة الجــر ، اكرم الادباء ، ولا سيما اديــب مخلص .

ولــم نــر من استعمل (ولا سيما) كمــا استعملها الاستاذ . وكتب اميركة بهــذه الصورة (امريكا) مرارا ، والصواب اميركــة او اميركا . لان الذي نُسِب اليــــه اكتشاف اميركا ــ ظُلمًا ــ هــــو (أميركو فسبوشي) Americo Vespucci ــ لا امريكو .

وكتــب اوربية هكذا :اوروبية؛وهــو خطــا .

وقــال : « مُرْضِيَة » وهو يريد ان يقــول:مرضيّ عنها .

وجعل المؤكد قبل المؤكد وهــو خطا . وجعل كلمة ذات ، مــن وسائل التوكيد المعنوي،وهــو استعمال خاطىء ؛ وغير مــا ذكرت من الاوهام ؛ حقــا ، اني ما كنت احاسب علــى ذلك ، لولا انه جاء من استــاذ كبير ، ونشر في مجلــة المجمــع اللغوي .

وتقبلــوا اسمى الاحترام ،